



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر
عليه
ص

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دو فصلنامه « ميقات الحج »

کاتب:

محمدي ري شهري

نشرت في الطبعه:

مشعر

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٦	ميقات الحج المجلد ٦
٦	اشارة
٦	الحج في احاديث الامام الخميني - قدس سره -
١١	الحج في أحاديث الامام الخامنئي - مد ظله العالى -
١٤	اضواء حول الحج
٣٥	تاملات جمالية
٧١	الجحفه
٧١	اشاره
٩٣	المنسك الصغير
١٠٨	الطواف ومسائله على ضوء المذاهب الاسلاميه
١٢٦	نشاء الحياة العلمية في الحجاز
١٦٩	ارض عرفات
١٩٣	ترنيمه عرفانية
١٩٦	ما أروع الحج
٢٠٠	لقاء مع المؤرخ الحجازى عاتق بن غيث البلادى
٢٢٢	الحج قبل مائه سنه
٢٤١	عبد الله بن عباس
٢٧١	المساجد والاماكن الاثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة الميمونة (٤)
٢٨١	من ألف في الحج من أهل هجر
٣١٩	تعريف مركز

میقات الحج المجلد ۶

اشاره

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج [بیابند: مجله]
 مشخصات نشر : تهران: منظمه الحج و الزیارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -
 فاصله انتشار : شش ماه یکبار

یادداشت : عربی

فهرست نویسی براساس سال ۳ شماره ۵ سال ۱۴۱۷ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می شود

یادداشت : مدیرالمسؤول: محمد محمدی ری شهری

رئیس التحریر: علی قاضی عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی ... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص: ۱

الحج في احاديث الامام الخميني - قدس سره -

ص: ٥

العدد السادس

الحجّ في أحاديث الإمام الخميني - قدس سره -

من النقاط المهمّة التي ينبغي على الحجاج الكرام الالتفات إليها أن مكّة المكرمة والمشاهد المشرفّة هي أساس الأحداث الكبيرة لنهضة الأنبياء والإسلام ورسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهي مكان نزل فيه الأنبياء وجبريل الأمين، هذا المكان الذي يذكّرنا بالمصائب والصعوبات، التي تحمّلها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في سبيل الإسلام والبشرية لسنين طويلة، وأن التواجد في هذه المشاهد المشرفّة والأماكن المقدسة لهو من الأهمية بمكان. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الشروط الصعبة لبعثه النبي عرفنا أكثر مسؤولية الحفاظ على إنجازات هذه النهضة وهذه الرسالة الإلهية، وكم عانى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام من الغربة لأجل دين الحق وإزهاق الباطل. لقد استقاموا ووقفوا ولم يهابوا أو يجزعوا على كثرة التهم والإهانات التي كالتها ألسنة أمثال أبي لهب وأبي جهل وأبي سفيان. وفي نفس الوقت استمروا وأكملوا طريقهم مع وجود الحصار

ص: ۶

الاقتصادى فى شعب أبى طالب، ولم يستسلموا ولم يهنوا ومن بعدها تحمّلوا الهجرة والغربة ومراراتها وآلامها فى سبيل دعوة الحق، وتبليغ رسالة الله، وتواجدوا فى الحروب المتتالية وغير المتكافئة. ورغم المؤامرات ومع كثرة المنافقين، قاموا بهداية وإرشاد الناس بهمة عالية وصلبة حيث شهد تصخور وحصى مكة والمدينة وصحاريها وجبالها وأزقتها وأسواقها آثار تبليغ رسالتهم.

وإذا ما رفعنا الستار وكشفنا النقاب عن سرّ ورمز تحقق، «فاستقم كما أمرت». لعرف وعلم زوّار بيت الله الحرام كم سعى رسول الله صلى الله عليه وآله لأجل هدايتنا وحصول المسلمين على الجنة، وكم أن مسؤولية أتباعه ثقيلة، ويقيناً أن حجم الظلم والعذاب والصعوبات التى مرت على أئمتنا كانت أكبر وأكثر بمراتب من مشاكلنا وآلامنا نحن، مع أن الشعب فى إيران قدم الشهداء وخاصة إبان الحرب الفروضة وأثناء أحداث الثورة المباركة، وعانى الكثير من الصعوبات والآلام، وتحمل الظلم الكبير وقدم الشباب الأعزاء فى سبيل الله.

*** إن الكعبة المعظمة هى المركز الأوحى لتعطيم الأصنام، لقد رفع نداء التوحيد من الكعبة إبراهيم الخليل فى أول الزمان، وسيرفعه حبيب الله ولده المهدي العزيز الموعود - روحى فداه - فى آخر الزمان، وسيبقى مرتفعاً. قال الله تعالى لخليله إبراهيم: «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق».

الحج فى أحاديث الامام الخامنئي - مد ظله العالی -

ص: ٧

الحج في أحاديث الإمام الخامنئى - مد ظله العالى -

الحجّ .. هذا ينبوع الفياض بالتقوى والمعنويّة والخير والبركة، يتدفّق بعطائه كلّ عام والى الأبد على العالم الإسلامى، وعلى كلّ مسلم موفّق لأداء هذه الفريضة المباركة، فينال كلّ فرد وكلّ جماعة من عطائه بقدر الوسع والقابليّة.

عطاء هذا ينبوع الفياض لا يقتصر على حجّاج بيت الله الحرام، إذ لو عرفت هذه الفريضة العظيمة وجرى العمل بها بشكل صحيح، فإن كل الافراد والشعوب فى جميع أرجاء العالم سينعمون ببركاتها.

الافراد والجماعات البشرية يتعرضون للكوارث والمصائب والآلام من جانبيين. الاول: من داخل أنفسهم، ومنشأ ذلك الضعف البشرى والاهواء الجامحة والشكوك ويحْدب الايمان والخصال المخزّبة. والثانى: الاعداء الخارجيون. فهم النكّد لحياء الافراد والجماعات بسبب طغيانهم وأطماعهم وعدوانهم ووحشيتهم، وهم البلاء الداھى بسبب حروبهم وظلمهم وتجبرهم وتعنتهم.

ص: ٨

العالم الاسلامى بأفراده وشعوبه كان دائماً عرضة لهذين التهديدين، وهو اليوم مهدد أكثر من ذى قبل. فمن جانب نرى إشاعة الفساد فى البلدان الاسلاميه وفق خطه مدروسه وضعها الأعداء، ونرى فرض الثقافه الغربيه- بمساعدة بعض الانظمه العميله- على مظاهر الحياه بدءاً من السلوك الفردي وحتى تخطيط المدن والحياه العاميه والصحافه وغيرها، هذا من جانب، ومن جانب آخر نشاهد الضغوط العسكريه والسياسيه والاقتصاديه على بعض الشعوب المسلمه، والمذابح الوحشيه فى لبنان وفلسطين والبوسنه وكشمير وافغانستان .. وكلها شواهد بارزه على هذين التهديدين فى أجوائنا الاسلاميه.

الحج، هو تلك الهديه الإلهيه، والرحمه التى لا ينضب معينها، به يستطيع المسلمون أن يتخلصوا الى الأبد من نكد العيش ومرارته، ومن مرض الانحراف ولوثته، وبمساعده هذا الذخر الأبدى يستطيعون تحصين أنفسهم فى كل زمان من هاتين الكارنتين.

ما فى الحج من عناصر التقوى والذكر وحضور القلب والخشوع والتوجه الى الله سبحانه وتعالى هى كفيله بمواجهه التهديد الاول، وما فيه من عناصر التجمع والتوحد والإحساس بعظمه الأمة الإسلاميه الكبرى وقدرتها على ساحة الحج هى كفيله بمقابله التهديد الثانى.

كلما قوى هذان الجانبان فى الحج ازدادت حصانه ومقاومه الافراد والمجتمعات الاسلاميه إزاء هذين التهديدين، ومتى ما ضعف او زال أحدهما أو كلاهما فإن الامه الاسلاميه بأفرادها وشعوبها وبلدانها تصبح أكثر عرضة للكوارث والمحن.

فى نص القرآن الكريم، وفى نصوص الشريعه الاسلاميه المقدسه تصريح بكلا الجانبين بحيث لا يبقى مجال للشك لكل ذى عين وقلب وإنصاف. ما فرضه

ص: ٩

اللَّهِ سبحانه في قوله: «فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشدّ ذكرا» (١)

جاء الى جانبه فريضة أخرى حيث يقول سبحانه: «وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأ-كبر أنّ الله برىء من المشركين ورسوله» (٢) واتساقا مع قول الحكيم جلت قدرته: «لن ينال الله لحومها ولا-دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم

لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين» (٣)

، نزل قول اللطيف سبحانه: «ليشهدوا منافع لهم» (٤).

كل توصية واعلام وسعى لتضعيف واحد من هذين الجانبين أو إبعاده إنّما هو مجابهة مع آيات القرآن الكريم وتعاليمه.

ليس ثمة خسارة للأمم الإسلامية أفدح من أن تتعرض تعاليم الإسلام وتوجيهاته، برصيدها الحياتى للمسلمين وجميع البشرية، لغفلة

وجهل الزعماء الدينيين والسياسيين، وأن يُحال بينها وبين أن يتزوّد من عطائها الناس جميعاً.

الحج جزء من هذا الرصيد الحياتى الدائم، وعلى كل المسلمين أن يتعمّقوا فى معرفته ويزدادوا انتهالاً من زاده.

الهوامش:

اضواء حول الحج

١-١ البقرة: ٢٠٠.

٢-٢ التوبة: ٣

٣-٣ الحج: ٣٧.

٤-٤ الحج: ٢٨.

ص: ١٠

أضواء حول الحج

عبد الله جوادى آملی

إن أول بيت وُضِعَ للناسِ للذي ببكةً مباركاً وهُيْدَى للعالمينَ فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ ومَن دخله كان آمناً ولله على الناسِ حجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً ومَن كفرَ فإنَّ اللهَ غنى عن العالمينَ» (١).

إن القرآن الكريم وبعد رده على الشبهة الأولى لأهل الكتاب حول الأعمى، ينتقل إلى الرد على اعتراضهم الثانى ويجيبهم بقوله: لا تتوهموا بأن بيت المقدس هو «المحور» بل: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ... الآية».

أهمية أحكام الحج:

للحج أهمية خاصة، وفي هذا الخصوص يمكن الوقوف على صفة هذه الأهمية من خلال رواية زارة التي يسأل فيها من الإمام الصادق عليه السلام عن الحج بقوله: «يا أبا عبد الله جعلنى الله فداك أسألك فى الحج منذ أربعين عاماً فتفتينى؟!» فقال عليه السلام:

ص: ١١

«يا زرارة بيت يحج قبل آدم عليه السلام بألفى عام تريد أن تفنى مسائله في أربعين عاماً» (١).
حرم الكعبة:

يستفاد من الآية الكريمة أن الكعبة بيت بُنى للناس «وُضِعَ للناس» وعليه فإن حرمة بسعة استيعاب جميع الناس. إن حرم الكعبة ليس كحرم مسجدٍ تحدد أرضه من قبل الواقف.

ومن جانب آخر فإن الله - سبحانه وتعالى - أعطى إبراهيم عليه السلام أمراً بالأذان العام:
«وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (٢).

وعندما يكون الإعلان عاماً، فمن البديهي أن يكون البيت موضوعاً للناس كافة. ومن الممكن قهراً أن يبلغ حرم الكعبة عدّة كيلومترات أيضاً، ولو تحققت بلطف الله حكومة إسلامية على تلك الديار، يحق لها أن تهدم جميع بيوتات مكة وتوسّع حرم البيت، ويعد هذا العمل حلالاً وشرعياً ولا إشكال فيه، وعندها لا تواجه الطائف والزائر أى مشكلة؛ لأن الله - عز وجل - قال:

بيت وضع للناس كافة «سواء العاكف فيه والباد» (٣)

، وعليه فإن الحرم سيتوسع قهراً.

لا بد أيضاً من الالتفات إلى هذه الملاحظة: وهى أن حرم الكعبة وسداتها، لا يخضعان للخصوصيات الإقليمية والتقسيمات الجغرافية لقوله تعالى: «إِنْ أُولِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ» (٤)

؛ أى إن الكعبة ليست ملكاً لأحد، ويتحمل مسؤوليتها المتقون فى جميع أرجاء المعمورة، وإن أولياء الكعبة إلا المتقون فى أرجاء الوجود وليس خصوص سكنة الحجاز.

والكعبة بيت عتيق أى مُعتقٌ وحرّ ولا يخضع لقانون من القوانين الدولية، وليس كالجبال والمعادن والنفط التى تعود للحجازيين بسبب

١- ١ من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٠٦.

٢- ٢ الحج: ٢٧.

٣- ٣ الحج: ٢٥.

٤- ٤ الأنفال: ٣٤.

ص: ١٢

وجودها في أرضهم، كلا فالكعبة ليست كذلك، بل هو بيت وضع للناس كافة ولن يخضع أبداً للقوانين الخاصة بالحجاز. القاء إحدى الشبهات والردّ عليها

يقول القرآن الكريم في سورة يونس:

«وَأَوْحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بِيوتًا وَاجْعَلُوا بُيوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» (١).

بعد أحداث هلاك فرعون وجنوده، عاد بنو إسرائيل المحرومون إلى مصر بتوجيه من النبي موسى عليه السلام.

ولدى عودة هؤلاء المبعدين إلى مصر، حيث إن مراكزهم العبادية، تم تخريبها على أيدي الفراعنة، ولم يمتلكوا القدرة والسلطة لإعادة بنائها بعد، فإن الله - سبحانه وتعالى - أمرهم بجعل بيوتهم قبله. هنا تطرح هذه الشبهة ومفادها:

«كيف أصبحت منازلهم قبله لصلاتهم؟» وفي الإجابة عن هذه الشبهة لابد من القول: إن المراد من القبلة، مصلى ومحل الصلاة وليس «جهة» الصلاة؛ بمعنى أنه لو صلى بنو إسرائيل خارج بيوتهم فيجب أن يؤدوا وصلاتهم باتجاه منازلهم حتماً! وبناءً على ذلك فلا منافاة بين هذا المطلب والآية التي هي محل بحثنا، حيث تقول بأن الكعبة هي أول قبلة وضعت للناس.

وإن احتمل بعض المفسرين أن يكون معنى الآية بهذا النحو.

«واجعلوا بيوتكم متقابلات بعضها مع بعض»؛ «ليعلم بعضكم بأحوال بعض ولضمان أمنكم». ولكن في كل الأحوال، لا يمكن أن يكون المراد من الآية أن يتوجه كل من أراد الصلاة منهم خارج بيته باتجاه منزله ليكون قبله صلته؛ لأنها مراكزهم العبادية، ومساجدهم ومعابدهم قبل التخريب، كانت باتجاه الكعبة، ولكن بعد التخريب لجأوا إلى بيوتهم وأخذوا

ص: ١٣

يمارسون عباداتهم فيها؛ متجهين فيصلاتهم باتجاه الكعبة، كما كانت مساجدهم متجهاً باتجاه الكعبة قبل التخريب، إذن فلا وجود لأى منافاة أو تعارض فى البيت.

بعض الأحداث التى مرت على الكعبة فى التاريخ

لقد طوت الكعبة وراءها ماضياً طويلاً وأحداثاً كثيرة، ولعل إحدى الحوادث المرّة التى واجهت هذا البيت الشريف- الذى كان معبد الأنبياء وقبلة الأولياء- هى فى جعله معبداً للأصنام لفترة طويلة من الزمن؛ أى إن الوثنيين وعبدة الأصنام من أهل الحجاز، كانوا يضعون الأصنام فوق الكعبة وأحياناً داخلها، ويفتخرون بمفاتيح وسدانه هذا البيت. لقد طهر القرآن الكريم الكعبة من جميع النجاسات. وذكر جميع الأنبياء بقول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام؛ «أن طهراً بيتى للطائفين» (١)

. فكان الجميع ملزمين بتطهير الكعبة من نجاسة الأصنام، ليكون قبلة ومحل طواف للمصلين وزوار الله تعالى.

وفى زمن الجاهلية، كانت سقاية الحاج وعمارة بيت الله من مسؤوليه عبدة الأصنام. وكان للكعبة مفتاح وسدانه للبيت. وهو منصب ينتقل من فرد إلى آخر بالتناوب. وأحد الذين نال سمة سدانه الكعبة، رجل يدعى أبو غشان وبينما كان ثملاً فى إحدى الليالى، باع هذا الرجل حق سدانه الكعبة ببيعير وقربة من شراب.

لقد ألغى الإسلام جميع القيم الخرافية وقال: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله» (٢).

حيث إن هذه الآية نزلت عندما طرحت مسألة خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأراد بعض أن يفضل نفسه عليه فخاطبهم الله تعالى بهذه الآية الشريفة.

١-١ البقرة: ١٢٥.

٢-٢ التوبة: ١٩.

ص: ١٤

توضيح حول كلمة «آية»

ليس المراد من كلمة آية، المعجزة الخارقة للعادة كناقه صالح، وانشقاق القمر ونحوها، بل إن الآية هي بمعنى العلامة التي تظهر الحق وتذكر بها.

وتستعمل كلمة آية بمعنى العلامة التكوينية أحياناً، وأخرى بمعنى العلامة التشريعية مقابل العلامة التكوينية، وتستعمل أحياناً بالمعنى الأعم من التكوين والتشريع أيضاً.

ففي قوله تعالى: «أَتَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» (١) استُعملت بمعنى العلامة والامارة.

وكذا قوله تعالى:

«ما نَنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا» (٢)

فقد جاءت بمعنى العلامة.

وبناءً على ذلك، فيما يتعلق بقوله تعالى: «فيه آيات بينات» لا يستلزم أن تكون جميع الآيات المتعلقة بالكعبة؛ من نوع المعجزة وخلاف العادة والطبيعة. بل يمكن أن تطلق كلمة آية على كل شيء يذكر الإنسان بالحق. كما قال بمعنى قوله تعالى «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمناً»: بأنه جاء من باب التفصيل بعد الإجمال ومصداقاً لآيات بينات، من دون وجود أمرٍ خارقٍ في البيت، مع أنه مذكّرٌ بالحق، وبهذا السبب فهو علامة إلهية. وقال سيدنا الأستاذ قدس سره بتعبير أطف مع أن جملة «مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً» جاءت بدلاً من آيات بينات. والظاهر من أسلوب الكلام البديهي، إلّا أنه استدلالٌ على البدل في الحقيقة.

توضيح حول قوله تعالى «مقام إبراهيم عليه السلام»

إحدى آيات الله بينات وعلاماته الواضحة في مكة، مقام إبراهيم، وتلك الصخرة التي وضع سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام قدمه عليها وبقي أثره عليها وكانت سابقاً

١-١ الشعراء: ١٢٨-١٢٩.

٢-٢ البقرة: ١٠٦.

ص: ١٥

موضوعه على الأرض جوار الكعبة بشكل حسن وبأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو الأعمال التي قام به بعضهم ووافق عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تم وضعه حيال الملتزم فيما بعد؛ أي أن قسماً من تلك الصخرة دفنوه في الأرض لغرض عدم نقله من مكان إلى آخر، ولا يزال موضع المقام واضحاً وبارزاً وقد وضعوا عليه قفصاً فلزياً.

وهذا هو ما أشار له في الميزان:

«استفاض النَّقل على أنه مدفون بحيال الملتزم»، والملتزم: موضع ما بين باب الكعبة والحجر الأسود «الركن الشرقي» حيث إن مقام إبراهيم يكون بإزائه.

توضيح حول «الحطيم»:

ينقل المحدث القمي - رضوان الله عليه - في السفينة، باب «حطم» رواية مفادها، أن المراد بـ «الحطيم» المسافة بين الحجر الأسود وباب الكعبة. وتأسيساً على ذلك فإن الملتزم هو ذات هذا الموضع. ومقام إبراهيم الذي هو مقام الحطيم سيكون قهراً حيال الملتزم، والسّر في تسمية هذا المكان بالحطيم، هو أن سيدنا إبراهيم عليه السلام اتخذهُ اسطبلًا لأغنامه، ويحطّم فيه التبن والاعلاف لتغذيتها (وبهذا المعنى يطلق على الأعلاف حطيم وعلى التبن حطام؛ لأن المحطوم يعنى المهشم والمكسّر)، وكان عليه أن يصلّى في هذا المكان ويتوجه بالعبادة والتضرع والمناجاة.

وعلى هذا الأساس فإن الحطيم أفضل مواضع أطراف البيت، ولهذا السبب أيضاً ورد في الروايات، لو أن الفرد أمضى سنين متمادية بالعبادة ليلاً ونهاراً في ذلك المكان، ولم يكن على ولاية أهل البيت عليهم السلام فلن تقبل منه.

ونقل المحدث القمي مثل هذا المضمون أيضاً في السفينة باب «الحجر» - أن الحطيم يطلق على المسافة ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة.

ويقول: «إن مفهوم ومكان

ص: ١٦

الحجر الأسود معلوم والحدّ الفاصل بين الحجر الأسود وباب الكعبة يسمى بالحطيم».

ويضيف بعد ذلك: أن جماعة كانوا يقولون حين استلامهم الحجر الأسود:

«إني اقبلك وأعلم أنك لا تضرّ ولا تنفع»؛ إلّا أنّ المنتمين لأهل البيت عليهم السلام كانوا يجيبونهم بالقول:

«والله إنّه ليضرّ وينفع»؛ أي إن هذا الحجر ليس كسائر الأحجار، فإنه ينفع ويضر؛ لأنه يشهد لصالح بعض ويشتكى من غيرهم. ومع أن

مسألة الشفاعة والشكوى غير موجودة في هذه الجملة، إلّا أنّ النفع والضرر ناظران لهذا المعنى».

ويقول المرحوم الطريحي في كتاب مجمع البحرين باب لغة «حطم»:

«تكرر ذكره في الأحاديث»؛ ثم يتناول المعنى اللغوي لكلمة «حطيم» ويقول:

«هو ما بين الركن الذي فيه الحجر الأسود وبين الباب وسمى حطيماً لأن الناس يزدحمون فيه على الدعاء».

وأفضل الأماكن الموجودة في أطراف البيت، هو هذا المكان. ثم يذكر فضيلة ومنزلة الأماكن الأخرى بالتسلسل.

لقد ذكرنا فيما مضى نظرية أهل اللغة، وبعض من أهل الحديث حول كلمة «الحطيم»، إلّا أنّ سيدنا الأستاذ قدس سره يقول:

وفسرت بعض كتب اللغة والجغرافية كلمة الحطيم بهذا المعنى؛ مثلما ورد في «التهذيب». وجمع بعض المعنيين معاً نظير ما ذكر في

«لسان العرب: ص ١٩ «وهو ما بين الركن والباب، وقيل هو الحجر المخرج منهما» وقيل: إن المراد بالحطيم حجر إسماعيل.

ويذكر عدة وجوه في تسميته بالحطيم منها:

١- لأن البيت رُفِع وترك فصار محطوماً.

٢- لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت فيه من الثياب فبقى حتى

ص: ١٧

حُطِم بطول الزمان. والنتيجة: أن ما ذكره أهل اللغة، لا يمتلك سنداً روائياً. ولو قالت إحدى الروايات، بأن المراد بالحطيم ما بين الركن والباب، والأخرى نَفَت هذا المعنى، لثبت بأن المراد بالحطيم خصوص تلك الفاصلة، وإلا فمن الممكن أن يكون المعنيان صحيحين.

الحجر الأسود:

كلّ ما كان خارجاً في الوجود، له أصلٌ في مخزن الله وينزّل منه، إلّا أن الحجر الأسود يمتلك خصيصةً أخرى يختص بها. بلحاظ أن الله تبارك وتعالى يقول في بعض الموارد:

«أنزلنا»؛ مثل قوله تعالى: «وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديد» (١)

. فإن تعبير «أنزلنا» هنا ليس بديلاً عن «خلقنا»، بل إنه ناظرٌ إلى المعنى الواقعي للإنزال. وطبعاً الإنزال بنحو التجلي لا بصورة التجافى. أو كقوله تعالى: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» (٢)

؛ أى أنزل لكم ثمانية أزواج من كلّ نوع، سواء الداجن منها أو الوحشى «الغنم الداجن والوحشى، والبقر الداجن والوحشى، الخيل الداجنة والوحشية...»، تجدر بالاشارة إلى أنه لا يراد بإنزال البقر والغنم أو الحديد نفس النوع من إنزال المطر والثلوج. بل بمعنى أن أصله ومنبعه عند الله تعالى كما في قوله تعالى في سورة الحجر: «وإن من شيءٍ إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم» (٣) أى إن كلّ ما موجود في عالم الطبيعة، أصله موجود في خزائن الله تعالى وتنزل منها. وبهذا المعنى، فهو إنزال حقيقى، لا بمعنى الخلق والايجاد.

ومع كلّ ما قدّمناه، فإن الحجر الأسود يمتلك خصيصةً أخرى غير هذا المفهوم العام؛ أى كما أنه لو تحول مكان ما إلى مسجد، فإنه سيشتكى ويشتكى يوم القيامة، إلّا أن الأماكن الأخرى لا تمتلك مثل هذه الخاصية؛ لأنه لا تقام فيها أعمال ومناسك خاصة، والمسجد

١-١ الحديد: ٢٥.

٢-٢ الزمر: ٦.

٣-٣ الحجر: ٢١.

ص: ١٨

فقط هو الذى يشتكى من البعض ويشهد لصالح البعض الآخر؛ والحجر الأسود أيضاً له هذه الخاصية، وإن كان قد جاء فى نهج البلاغة: من أن الكعبة تضم أحجاراً لا نفع لها ولا ضرر (١).

فإن هذه المقولة تعنى أحجار الكعبة نفسها دون الحجر الأسود؛ لأن هذا الحجر يمتلك خصائص أخرى أيضاً طبقاً لماورد عن المحدث القمى قدس سره.

نظرية العلامة الطباطبائى قدس سره حول «أمن الحرم»

يقول العلامة: المراد من الأمن المذكور فى الآية: «ومن دخله كان آمناً». هو الأمن التشريعى دون التكويني؛ لأنه حدث فى تاريخ الكعبة الكثير من الحروب، والمذابح والاضطرابات. ولهذا السبب لا يمكن للآية أن تدل على الأمن التكويني، ولئن كان هناك وجود للأمن، فإنما يكون مراعاة قوانين الشريعة من قبل الناس، لا بسبب الأمن التكويني.

نقد هذه النظرية

لا يمكن قبول هذه النظرية. لأن القرآن يقول فى سورة قريش: «الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (٢).

، فهذه الآية تريد الأمن التكويني، لأن أهل مكة كانوا يعانون من الجوع، ولكنهم نجواً بلطف الله من الجوع والفقر الاقتصادى، مع أن منطقة مكة، ليست محلاً مناسباً للزراعة وتربية الحيوانات وممارسة الصناعة، إلا أنه توجد فيها الكثير من النعم.

ومن الممكن طبعاً أن يرفع الله - سبحانه وتعالى - حكم هذه الآية (أى الأمن) فى مقطع زمني محدد، إلا أن أصل الأمن يبقى تكوينياً. والنتيجة التى نخلص لها. هى أن خليل الرحمن عليه السلام وإن كان قد دعا بدعائه، ومن ثم قال الله سبحانه وتعالى: «أولم يروا أنا

جعلنا حرماً آمناً» (٣)

، ولكن ذلك لا يعنى أن باستطاعة كل فرد أن يفعل ما يشاء فى ذلك المكان بشكل مطلق؛ لأنه تعالى

١- ١ نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، اختبر الأولين ... باحجار لا تضر ولا تنفع.

٢- ٢ قريش: ٤.

٣- ٣ العنكبوت: ٦٧.

ص: ١٩

يقول في مكان آخر: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (١)

؛ أى مع أنهم كانوا ينعمون بنعمة الأمن، إلا أنه وبسبب الكفران بتلك النعمة، تغيرت الأوضاع وزال الرزق الوفير وحل محله الجوع. إذن فإن المسألة ليست بهذا الشكل، بأن الله - سبحانه وتعالى - لو جعل بقعة ما من الأرض مأمناً، وكفر أهل تلك البقعة بأنعم الله، فإنه - تعالى - سيديم نعمته عليهم، ويتلطف عليهم بدوام الأمن والأمان، كلا، حيث يقول جلّ وعلا في موضع آخر:

«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» (٢)

؛- وأهل القرى يشمل هنا كل منطقة بشكل عام - إذن فكلتا الحالتين - نزول البركات والبلاء - أمران تكوينيان إلا أنه من الممكن طبعاً أن يمهل الله أحياناً ومن ثم يعود فيؤاخذهم.

إن الأمن لا - يعنى عدم وقوع المذابح هناك، بل إن الله - تبارك وتعالى - جعل من ذلك المكان مأمناً، على أساس لطفه الخاص،

ولكن لو ضلّ الناس هناك وكفروا، فإنه - تعالى - سيؤاخذهم؛ لأنه قال: «ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم» (٣)

، ومن الممكن طبعاً أن تتمكن حكومة ظالمة في غير مكة أن تحكم بالظلم لسنين متتالية، ولكن الأمر ليس كذلك في أرض مكة. إذن نخلص إلى القول، بأن أرض مكة لا يمكن أن تتجرد عن أى أمن تكوينى، وأن يعود أمنها إلى خصوص التشريع فقط.

وبعبارة أخرى: أن أرض مكة ليست كالجنة لا يقع فيها أى إثم: «لا لغو فيها ولا تأثيم» (٤)

، بل إن لها أحكام الدنيا، إلا أنّ هذا المكان يختلف

١-١ النحل: ١١٢.

٢-٢ الأعراف: ٩٦.

٣-٣ آل عمران: ١٧٨.

٤-٤ الطور: ٢٣.

ص: ٢٠

عن الأماكن الأخرى، والشاهد على ذلك قوله تعالى: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» (١)؛ ولكن الله تعالى يؤاخذ الظالمين في الأماكن الأخرى أيضاً: «وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» (٢). غير أن الأخذ الفوري والقضاء السريع على حياة الظالم، يختص بالبلد الأمين وأرض مكة فقط.

وتأسيساً على ذلك، فإن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بطلب الأمن والرزق لمكة وساكنيها، يجمع بين التكوين والتشريع. «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير» (٣)

؛ فبعد أن دعا عليه السلام ربه بجعل هذا البلد آمناً، وأن يرزق أهله من الثمرات، خصّ دعاءه بالمؤمنين من الناس، ولهذا قال عليه السلام مباشرة ودون فصل: من آمن منهم بالله واليوم الآخر، دون أهل الكفر. فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعائه، فجعلنا مكة أرضاً مباركة لأهلها جميعاً، إلا أن المؤمن له في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ويمكن طبعاً أن ينعم الكافرون بنعم مكة أياماً معدودة ببركة المؤمنين، ولكن عاقبة أمرهم ستكون سوء العذاب.

الشاهد الآخر قوله تعالى في سورة الأنفال: «واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأويكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون» (٤)

؛ حيث كان الاختطاف أمراً تكوينياً؛ ولذا فإن الأمن مقابل ذلك يعدّ أمراً تكوينياً أيضاً.

والشاهد الآخر: هو قول أهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وقالوا إن نتبّع الهدى معك نتخطف من أرضنا» (٥) أى لو آمنا بك فلن نشعر بالأمن.

د

١-١ الحج: ٢٥.

٢-٢ إبراهيم: ٤٢.

٣-٣ البقرة: ١٢٦.

٤-٤ الأنفال: ٢٦.

٥-٥ القصص: ٥٧.

ص: ٢١

ويجيب القرآن الكريم على دعائهم بقوله: «أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون» (١)

؛ أى إننا جعلنا لبلد مكة ميزتين:

١- وجود الأمن حيث إن جميع الناس يلتزمون بمراعاة حرمة الحرم.

٢- البركات المادية المتمثلة بتوفر جميع الأطعمة والثمار فيها. بينما ينعدم توفر الاثنتين معاً أو أحدهما فى مكان آخر، ويندر توفر هاتين النعمتين معاً فى مكان واحد، طبقاً للظروف الاعتيادية والاقليمية المألوفة.

جديراً بالإشارة إلى أن أهل مكة وبحسب الظاهر يجب أن يفقدوا حالة الإحساس بالأمن؛ لأن أهل الحجاز كانوا مطبوعين بطابع البطش وشن الغارات من جهة، ومن جهة أخرى كانوا محرومين من مظاهر العلم والثقافة، والزراعة وتربية الحيوانات، والصناعة وغيرها. ومن الطبيعى أن يتحول المجتمع الجاهل الجائع إلى مجموعة قطاع طرق يتصفون بالسلب والنهب وشن الغارات، ولكن مع ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى يقول:

لقد جعلنا مكة محلاً آمناً ومباركاً، ولهذا فإن أهل مكة لا يمتلكون حقّ التعلل وخلق الأعدار.

الجواب على إحدى الشبهات:

لو كانت أرض مكة ترفل بالأمن، فلماذا هاجر المسلمون فيصدر الإسلام، إلى أرض الحبشة؟

وجواباً عن هذا التساؤل لابد من القول: ولئن كان المسلمون يعانون من المشقة والألم، إلّا أنّ هجرتهم إلى الحبشة كانت تنطوى على بعدٍ تبليغى أكثر من تعبيرها عن الاستجابة للضغط المستخدم ضدهم؛ لأن النساء كانت تعيش بأمان فى مكة، بينما لاحظنا مرافقة النساء للرجال فى الهجرة إلى الحبشة، وإن دّل هذا على شىء فإنما يدل على الرغبة فى قيام النساء بالترويج للشريعة فى أوساط النساء، والرجال فى أوساط الرجال.

ص: ٢٢

أمن الحرم والسلاح (بحث روائي):

في نهاية هذا البحث، لابد من الإشارة إلى أن الأمر الإلهي تحرك من أجل الحفاظ على الأمن وإقراره وتطابق التشريع مع التكوين، حيث يقول تعالى: لا يحق لمن كان مسلماً دخول الحرم، ويمنع حمل السلاح حال الإحرام، عند انعدام الخوف أو الضرورة. ويجوز حمل السلاح لأهل مكة ولمن خرج من الإحرام وأصبح محلاً، إلّا أن إظهاره غير مستحسن؛ لأنه من الممكن أن يشعر الناس بالخوف فيما لو شاهدوا السلاح، في حين أن ذلك المكان، هو بلد الأمن.

وألفت انتباهكم إلى مجموعة من الروايات في هذا الخصوص:

- ١- عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ المحرم إذا خاف العدوّ يلبس السلاح فلا كفارة عليه» (١)؛ تجدر الإشارة إلى أنه يُستفاد من مفهوم الجملة الشرطية: لا يحق له حمل السلاح، إن لم يكن في حال الخوف.
- ٢- عن عبد الله بن سنان قال، سألت أبا عبد الله عليه السلام «أيحمل السلاح المحرم؟ فقال: إذا خاف المحرم عدوًّا أو سارقاً فليلبس السلاح» (٢). وبما أن «الأمر» جاء بعد «توهم الخطر والمنع»، يدل هذا فقط على جواز حمل السلاح وليس وجوبه؛ أي لا حرمة في حمل السلاح في مثل هذه الموارد.
- ٣- عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: «المحرم إذا خاف لبس السلاح» (٣).
- ٤- عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا بأس بأن يحرم الرجل وعليه سلاحه إذا خاف العدو» (٤)، وهذه الروايات تتعلق بحال الإحرام، وحمل السلاح يعد من تروك الإحرام، وأما الروايات التي تتعلق بالوضع العادي:
- ١- عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا- ينبغي أن يدخل الحرم بسلاح إلّا أن يدخله في جوالق أو يغيبه. يعني يلفّ على الحديد شيئاً» (٥).
- ٢- عن أبي بصير عن أبي

١- ١ وسائل الشيعة، ج ٩، ص ١٣٧، ب ٥٤، ابواب تروك الاحرام، ح ١.

٢- ٢ المصدر نفسه: ح ٢.

٣- ٣ المصدر نفسه ح ٣.

٤- ٤ المصدر نفسه: ح ٤.

٥- ٥ وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٣٥٨، ب ٢٥، ابواب مقدمات الطواف، ح ١.

ص: ٢٣

عبد الله عليه السلام قال: «سألته عن الرجل يريد مكة أو المدينة يكره أن يخرج معه السلاح، فقال: لا بأس بأن يخرج بالسلاح من بلده ولكن إذا دخل مكة لم يظهره» (١).

واستناداً إلى هذه التعاليم الدينية، فإن التشريع سيتطابق مع التكوين. تجدر الإشارة إلى أن حمل السلاح من قبل قوات الأمن، يوجب الأمن والاطمئنان للقادمين الجدد، ويجعلهم في مأمن من هجوم عابري السبيل عليهم.

الحج تكليف عام:

«ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

كلمة «الناس» لا تختص بالمسلمين فقط، بل تشمل جميع شرائح المجتمع؛ بما في ذلك اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، صغاراً وكباراً. تجدر الإشارة إلى أن أصل التكليف بأداء فريضة الحج، وإن كان يشمل جميع الناس على وجه الاستحباب، إلّا أنّ وجوبه مختص بالمكلفين، بينما سائر العبادات الأخرى ليست كالحج؛ وعلى سبيل المثال فإن الصلاة التي هي عمود الدين، يشرع بأدائها من قبل الأطفال بعد سنّ السابعة لأغراض الممارسة، (طبعاً مع الأخذ بنظر الاعتبار، اختلاف الفقهاء حول عبادات الصبي وهل هي مشروعة أم لأغراض الممارسة؟ وإن كان الحقّ في كون عبادات الصبي المميز مشروعة)، إلّا أنّه لا صلاة على الأطفال دون سنّ السابعة فضلاً عن الصيام و...، أما في باب الحج فالمسألة ليست بهذا النحو، حيث يمكن للفرد أداء أعمال فريضة الحج سواء في مرحلة الطفولة، أو مرحلة الصبا أو الشباب والبلوغ. إلّا أنّ الطواف مستحب في مرحلة الطفولة؛ بمعنى أنه يفضل للأم والأب أن يطؤوا بوليدهم، طبعاً بإتيان النية ثم يطؤفون بالطفل، دون أن يؤدوا الطواف نيابة عنه. تجدر

ص: ٢٤

الإشارة إلى أن هذا الطفل عندما يبلغ سنَّ الصِّبا والتميز بإمكانه الإتيان بالتيه وأداء أعمال الحج بنفسه وإن لم يبلغ بعد ولم يعد مكلفاً، إلّا أن حجّه في هذه الحالة مشروع كفضيلة، وإن لم يحسب له بعنوان حجة الإسلام- الحج الواجب-، ويجب عليه أداء الحج بعد سنّ البلوغ إن استطاع لذلك سبيلاً.

إذن بإمكان الإنسان الإتيان بثلاثة أنواع الحج في مراحل عمره المختلفة:

١- حجّ الطواف.

٢- الحجّ المندوب (المستحب).

٣- الحجّ الفريضي (الواجب).

وفيما يتعلق بالأقسام الثلاثة للحج تأملوا الروايات التالية:

١- عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام «قال سمعته يقول: مرّ رسول الله برويته وهو حاج، فقامت إليه امرأة ومعها صبي لها فقالت: يا رسول الله أيجب عن مثل هذا؟ قال: نعم ولك أجره» (١).

٢- عن محمد بن الفضيل، قال سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن الصبي:

«متى يحرم به؟ قال عليه السلام إذا نغر» (٢).

هذه الروايات تتعلق بمرحلة الطفولة، أما في مرحلة الصبا بحيث يكون مميزاً، يمكنه أن يؤدي أعمال الحج بشكل مستقل وهو مشروع، إلّا أنه لا يكفي عن حجة الإسلام. وتأملوا الروايات التالية في هذا المجال:

١- عن ابان بن الحكم قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الصبي إذا حجّ فقد قضى حجة الإسلام حتى يكبر...» (٣).

٢- عن سمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو أن غلاماً حجّ عشر حجج ثم احتلم كانت عليه فريضة الإسلام» (٤).

مكانة الحجّ في نهج البلاغة:

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الأولى بشأن الحج:

«وفرضَ عليكم حجّ بيته

١- ١ وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٣٧، ب ٢٠، ابواب وجوب الحج، ح ١.

٢- ٢ المصدر نفسه: ح ٢.

٣- ٣ وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٣٧، ب ٢، ب ١٣، ابواب وجوب الحج، ح ١.

٤- ٤ المصدر نفسه: ح ٢.

ص: ٢٥

الحرام، الذى جعله قبله للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوة الحمام، وجعله - سبحانه - علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سيماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، وحرزوا الأرباح فى متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله - سبحانه وتعالى - للإسلام علماً، وللعائدين حرماً، فرض حقه، وأوجب حجّه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين».

ويقول عليه السلام فى الخطبة العاشرة بعد المائة:

«إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله، والجهاد فى سبيله ... وحج البيت واعتماره، فإنهما ينفيان الفقر ويخضان الذنب ...».

ويقول عليه السلام فى أواسط الخطبة القاصعة ناظراً إلى التواضع ونبذ الاستكبار:

«ألا ترون أن الله - سبحانه - اختبر الأولين من لدن آدم - صلوات الله عليه - إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياماً. ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل نتائق الدنيا مدرأ، وأضيق بطون الأودية قطراً. بين جبال خشنة ورمال دمثية وعيون وشلة وقرى منقطعة، لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف. ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية لملقى رحالهم، تهوى إليه ثمار الأفئدة من مفاوز ففار سحيقة، ومهاوى فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزوا مناكبهم ذللاً يهللون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له. قد نبذوا السرايل وراء ظهورهم،

ص: ٢٦

وشَوْهوا بإعفاء الشعورِ محاسنَ خلقهم، ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختياراً مُبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصله إلى جنته. ولو أراد- سبحانه- أن يضع بيته الحرام، ومشاعره العظام، بين جناتٍ وأنهارٍ وسهلٍ وقرارٍ، جمَّ الأشجارِ داني الثمارِ، مُلتفِّ البُنَى، مُتصل القُرى، بين بزةٍ سمراء، وروضةٍ خضراء، وأريافٍ محدقةٍ، وعِراضٍ مُعَدقةٍ، ورياضٍ ناضرةٍ، وطرقٍ عامرةٍ، لكان قدصيّ غرٍ قدرُ الجزء حسن ضعفِ البلاء. ولو كان الأساسُ المحمولُ عليها، والأحجارِ المرفوع بها، بين زمردهٍ خضراء، وياقوتةٍ حمراء، ونورٍ وضياءٍ، لخففَ ذلك مصارعةَ الشكِّ في الصدور، ولو وضع مجاهدةً إبليس عن القلوبِ ولنفي معتلجِ الريبِ من الناس، ولكنَّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائدِ، ويتعبدُهم بأنواع المَجَاهِدِ، وبيتلهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتدلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فُتِحاً إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه» (١).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة يقول عليه السلام حين وصيته للحسنين عليهما السلام والناس كافة بعد أن جرح على يد ابن ملجم المرادى عليه اللعنة:

«الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا» (٢).

وقال عليه السلام في كتاب أرسله إلى واليه على مكة قثم بن عباس:

«أما بعد، فأقيم للناس الحج، وذكرهم بأيام الله، واجلس لهم العَصْرَيْنِ فَأُفِّتِ المسْتَفْتَى، وعلم الجاهل، وذاكر العالم، ولا يكن لك إلى الناس سفيرٌ إلَّالسانك، ولا حاجبٌ إلَّا وجهك ... ومُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا، فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ: «سواء العاكف فيه والباد» فالعاكف: المقيم به، والبادى:

الذى يحج إليه من غير أهله. وفقنا الله وإياكم لمحابه والسلام» (٣).

١- ١ الخطبة: ١٩٢.

٢- ٢ نهج البلاغة، الكتاب رقم ٤٧.

٣- ٣ نهج البلاغة، الكتاب رقم ٦٦.

ص: ٢٧

شبههٌ حول بركة الكعبة وهدايتها:

يقول صاحب تفسير «المنار» في تفسير آياتِ بينات وبركة البيت:

«أى فيه دلائل أو علامات ظاهرة لا تخفى على أحدٍ أحدها أو منها: مقام إبراهيم، أى موضع قيامه فيه للصلاة والعبادة، تعرف ذلك العرب بالنقل المتواتر. فأى دليل أبين من هذا على كون البيت أول بيت من بيوت العبادة الصحيحة المعروفة في ذلك العهد، وضع ليعبد الناس فيه ربهم. وإبراهيم أبو الأنبياء فى الأرض الذى أبقى أثرهم بجعل النبوة والملك فيهم، لا يعرف لنبى قبله أثر، ولا يحفظ له نسب وقوله:

«ومن دخله كان آمناً» آية ثانية بينه لا يمتري فيها أحد، وهى اتفاق قبائل العرب كلها على احترام هذا البيت وتعظيمه لنسبته إلى الله، حتى إن من دخله يأمن على نفسه لا من الاعتداء عليه وايدائه فقط، بل يأمن من أن يتأثر منه من سفك هو دماءهم واستباح حرمتهم مادام فيهم. مضى على هذا عمل الجاهلية على اختلافها فى المنازع، والأهواء والمعبودات وكثرة ما بينها من الأحقاد والأضغان واقتره الإسلام،

أقول: وقد تقدم فى تفسير:

«واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» (١)

إن بعضهم يقول: إن مقامه عبارة عن موقفه حيث ذلك الأثر للقدمين وإن هذا ضعيف. والكلام هنا فى أن مقام إبراهيم مشتمل على ما ذكره من الأثر، أما الأثر نفسه فقد كانت العرب تعتقد أنه أثر قدمى إبراهيم عليه السلام ثم يواصل شبهته بالقول: «وعدم تعرض ضواري السباع للصيد فيه هذا القول ضعيف، إذ ليس آية وعدم نفرة الطير من الناس هناك، ويرد عليه أن الطير تألف الناس لعدم تعرضهم لها، ولذلك نظائر فى الأرض، وانحراف الطير عن موازينه، ليس بمتحقق. ثم يقول بعد ذلك: «إذا أراد أحد الجبابرة أن يظلم فسيضربه الله، ويرغم

ص: ٢٨

أنفه ويعذبه يوم القيامة عذاباً شديداً».

نقد الكلام المذكور:

لا بد من الإشارة إلى أن الموارد المذكورة ليست من عداد الآيات القرآنية كي يقول: «إن الحمايم لا تشعر بالخوف؛ لأن البيت مكان آمن».

ولكن ثقل الشبهة يكمن في الموارد الأخرى المتمثلة في أن الحيوانات المتوحشة لا شأن لها بالحيوانات الأليفة فعلاً، حيث لو تم إثبات ذلك، لأصبح أمراً جديراً بالنظر والتأمل.

وأما مسألة عدم وقوف الحمايم على سطح الكعبة، فهي غير مؤكدة؛ لأنه لوحظ أحياناً وقوفها على سطح الكعبة. إلا أن ما كان من الآيات، هو لو قصد من أراد خرابها، فإنه - سبحانه وتعالى - لن يمهل طرفه عين أبداً، مثل حادثه أبرهه وأصحاب الفيل، التي كانت معجزةً خارقةً للعادة. ومثل هذه الآثار تعدّ آثاراً تكوينية، لا بد من بقائها وثباتها، وأدنى مستوى يدل على آية الكعبة، هي آيتها التكوينية، حيث ما انفك الأمن موجوداً في مكة، وأن الله سبحانه وتعالى أخضع ذلك المجتمع العاصي المتوحش بحيث جعلهم يجلبون حرمة هذا البيت ويحترمونها، والآيات التالية من قبيل: «الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (١)

و «أولم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم...» (٢)

وقوله تعالى «وقالوا إن تتبع الهدى معك تُتخطف من أرضنا أولم تُمكن لهم حرماً آمناً يُجبي إليه ثمرات كل شيء» (٣) ، هذه الآيات تتعلق بالعصر الجاهلي وقبل تشريع مسألة الأمن. إذن فإن حكم الأمن التشريعي - جاء بعد ظهور الإسلام، إلا أن القرآن الكريم يذكر الأمن الموجود منذ زمن الجاهلية وحتى ظهور الإسلام كدليل. وإلا فإن جميع هذه الآيات الشريفة نزلت بعد ظهور الإسلام، ولكنها جميعاً تذكر بالأمن الشائع قبل الإسلام.

١- ١ قريش: ٤.

٢- ٢ العنكبوت: ٦٧.

٣- ٣ القصص: ٥٧.

ص: ٢٩

تجدر الإشارة إلى أن الآية الشريفة: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» (١) يحتتمل أن تشير إلى من يمارس الظلم في خصوص الحرم والبيت، فإن الله سبحانه وتعالى سيضطره إلى عذاب أليم، نظير حادثة أبرهه وأصحابه، الذين أخذهم الله تعالى بعذابه. إلا أن الذي يظلم الناس في خصوص الحرم، من الممكن أن لا يؤاخذ الله تعالى في مدة قصيرة ويمهله إلى أجل قريب.

وبعبارة أخرى فإن مفاد هذه الآية مفاد قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا» (٢) ، حيث إنها تشير إلى المنع التشريعي؛ لأن كل من يأكل المال الحرام إنما يأكل في بطنه ناراً، إلا أنه جاء التعبير على هذا النحو بخصوص الذي يأكل مال اليتيم، لأن اليتيم في واقع الحال هو مظلوم لا ملاذ له، وإلا فإن مثل هذا الحكم، يسرى على المال الحرام وإن لم يكن من مال اليتيم. إلا أنه لو كان دعاء الظلم خصوص الحرم، فإن الله تعالى أشد انتقاماً وأنكى. وفي نهاية هذه الطائفة من الآيات فإن القرآن الكريم وبعد أن ردّ شبهات أهل الكتاب بخصوص حلية وحرمة الطعام والقبلة، وبين أهمية الكعبة وزيارتها انتقل إلى القول:

«وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (٣).

١-١ الحج: ٢٥.

٢-٢ النساء: ١٠.

٣-٣ آل عمران: ٩٧.

ص: ٣٠

الهوامش:

تاملات جمالية

ص: ٣٢

تأملات جمالية

عرفان الفهدى

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ « (١)

و «للذى بيكه مباركاً وهدى».

توضح لنا أن هناك ثلاث قضايا عالجتها الرسالة الإسلامية فى شعاعها الصادق الأول، هى:

١- الانفراط فى علاقة بين ما هو قلبى وبين ما هو عقلى.

٢- فوضى الزمان والتاريخ.

٣- ترمّل المكان وتصّحّره.

الإسلام دين المعالجات الكبرى، وهو غالباً يوجز المعالجات فى سلوكية نوعيه، وكان عليه أن يصهر القضايا الثلاث السابقه فى مركب، ويناضل من أجل دمجها فى بوتقه واحده، فبأى أسلوبيه يمكن ذلك دون أن يسجل انسحاقاً للقناعات البشريه؟ فكان الحجج.. فهو الفريضة من دون الفرائض الأخرى لها سعة الاستيعاب والامتداد والتنوع، القادرة على طرح الزائد والناقص من

١- ١ سورة إبراهيم. آية ٣٧.

ص: ٣٣

الشعور الاجتماعي والفردى.

لا نتحدث هنا عن كشوفات الإسلام على صعيد التشريع الخاص بالإطار العام للفريضة، وإنما نختصر على جانب واحد من جوانب الإبداع فيها.

فأسلوبية الإبداع من طبعها أن تحتوى الموروث والتقليدى، وتصبه فى قوالب جديدة ممتعة تنعكس فيها تجربة المبدع ورؤيته الجمالية وهدفية وهو قضيته فى الحياة والجماعة والواقع .. من أجل مل الفراغات وإشباع العواطف، ولتوائم مع الإحساس والتطلع والنزوع الكونى.

ويبرز المكان فى الحجّ ومناسكه كأحد أهم الصور الجمالية التى تعكس عناية الإسلام بالنصّ وبالصورة الذهنية، إذ تبرعم لنا المناسك- وفى حالة الأداء الجماعى الواحد- على شكل مشاهد أخاذة، يكون فيها الجمال حالة حياة لها، إلى حدّ أن جعل الإبداع الإسلامى فى الحجّ للجمادات استحقاقاً وحرمة، وتطالعا فى الوصف لوحه رائعة لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف البيت الحرام (... ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل نتائق الدنيا مدرّاً ... بين جبال خشنة، ورمالٍ دمثه ... ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يثوا أعطافهم نحوه ... تهوى إليه ثمار الأفتدة ...) (١).

أسلوبية الإبداع، هى التى ساعدت التشريع الإسلامى على الانطلاق إلى أخصّ خصوصيات النفس الإنسانية وغوامضها القصية، كما لم يكن قبول الآثار والتطبيقات العملية للتشريع فكرة قد تمت بعيدة عن قطب الإبداع بمعىة الاكتشاف، ولولا الابداع لما كانت عبادة الصلاة ومعركة الذات فى المحراب والصوم والزكاة والجهاد والحجّ، وما تنطوى عليها من الزامات ومكابدات وممنوعات وتضحيات ومعاناة أعمالاً مأنوسة جميلة، ويتهاطف معها بغرام فريد مقدس، يتحول فيها كل شىء إلى لذة مشوبة بسرور فياض ... يعيش معها

ص: ٣٤

الموحد كما لو أنه كائن غير ذى تراب.

ماهى أقدر العبادات على اكتشاف الفكرة والطاقة الجوهرية للإبداع؟ بل ماهى العبادات التى تكون كاشفة ومبدعة ومادة للجمال بنفس الوقت؟ لعل البعض يلخصها بأنها الدعاء والمناجاة، أو أنها تلك التى ترشح اليقظة الروحية أثناء السجود، أو ... لا يختلف متأملان على أن هذه أشكالاً وظواهر صالحة تقع مع غيرها من مستلزمات بهذا الشكل أو ذاك؛ لتتم بها الوظيفة. أما الحج فهو الأقدر على الاكتشاف والابداع فهو الفريضة التى يكون الابتداء بل الانتهاء من مناسكها المدخل الطبيعى للسلوك نحو الله تعالى ... فهو ليس فقط وظيفة .. كما أن السعى والطواف فيه ليسا ركناً أو واجباً فقط ... وأن قوة الواجب فيه ليس كقوة الواجب فى إمساك الصوم أو تحديد صباح العيد فى إخراج زكاة الفطرة ... إن الإطار العام للواجب فى الحجّ لهو من القوة أن يمنع عن الحاج المباح والمندوب، الذى عادة لا يخلّ الإتيان بهما بواجب الصلاة أو الصوم ... يتكشف لنا أن فى أداء مناسك الحج شيئاً وجامعاً مؤثراً ليس فى العبادات الأخرى مثل له.

إن الزمن بين المنسكين فى الحجّ زمن مقدس، ويقع فى إطار الرصيد العبادى، ولا يجوز فى الغالب ممارسته المباحات فيه ... وهذه الالتزامات لا تقرّها طبيعة وشخصية فريضة الحجّ فحسب، وإنما للحج بكامله أبعاد أخرى لا تقل أهمية عن الفريضة نفسها .. ومساحة هذه الأبعاد ليس المخلوق العاقل فقط .. بل الأشياء والجمادات والكائنات غير العاقلة وغير الناطقة أيضاً .. ومن هذه الأبعاد جميعاً تنبع القيمة الجمالية للعبادة ..

فالمناسك أداء آخر داخل إطار الأداء العام لفريضة الحجّ التى تغطى المساحة الزمنية والاجتماعية الواقعة بعد الانتهاء من الحجّ .. ولهذا كان وجوبه

ص: ٣٥

مرة واحدة في العمر ...

الجمال في حياة المؤمن وفي العبادة وفريضة الحج خاصة، له أهمية كبرى ويشكل مضموناً فكرياً لصياغة النظرية الفنية في الإسلام ... ولهذا فإن المنبع الذي يرفد الجمال بالواقعية ويسدّد حياة المؤمن وعباداته بالأثر الطيب هو الإيمان .. لكونه الطاقة العظمى التي توازن بين طرفي الانتماء بالمطلق من جهة، وبالواقع العملي والموضوعي من جهة أخرى.

فيكون عندنا أن المناسك في الحج تقوم بعملية ربط منظم ومرتب ومحدّد ببرنامج زماني ومكاني بين طرفي الطاقة الإيمانية .. فتصبح وظيفة المناسك في الحجّ وظيفة نوعية تفتح على الساحات بقدر علاقتها مع طرفي الإيمان، المطلق والواقع ...

وعليه فإن الوظيفة في المناسك حين تقع صريحة لا تؤرخ وتضبط لنا الفراغ اليقيني أو تشتبك مع الاشتغال اليقيني فقط بل هي أوسع وأشمل من هذا وذاك وهذا هو الفرق بين الوظيفة في الحجّ و الوظيفة في الأعمال الصالحة والواجبة الأخرى ...

إذاً وظيفة الحجّ تبقى بعد الإتيان الصحيح بها مقلعاً للخيال والجمال، وتدعو المؤمن الموحّد أن يوحد بين مشاهد .. مشاهد حياته والمجتمع ومشاهد الحجّ ... وبالرغم من أن العبادات تشترك في هذا الهدف السامي إلّا أن وظيفة الحجّ ومن موقع الإشباع والتسلل والتنقل بين مختلف الأشكال والأشياء والنسيبات توحى بفعالية أقوى على رسم الصورة في ميدان حياة الفرد والأمة.

إن مفهوم «كنتم خير أمة أخرجت للناس ...» (١)

له علاقة عضوية موضوعية مع التجمع الإسلامي الهادف في الحجّ .. ويتفرع من مفهوم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهما أقوى مصاديق الجمال والامتداد غير

ص: ٣٦

المحدددين بسلوك عبادى واحد معين.

ثم إن مفردة «الإفاضة» تركّز لنا اللون البارز فيصور الرابطة الجمالية الإيمانية من خلال أداء المناسك .. «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله» (١).

وما تفيده دلالة الإفاضة هو التلاحم في الموج البشرى العائد من مكان الحج .. وإذن فالمكان هنا ليس كأي مكان يفصل أو يعزل أو يصنّف الروافد على ضوء طبيعة التضاريس والأعماق والسطوح .. الإفاضة صيغة جمالية في نص الآية السابقة استدعت فكرة أخرى سابحة في فضاء حياة الجماعة المؤمنة .. هي فكرة الاستغفار غير المحددة بكمّ أو زمن أو مكان أو مسلكية خاصة واحدة .. فالاستغفار يتّجه بضوء قاعدة الإفاضة على شكل تيار جماليصاعد حيث الفضاء الإلهي.

ذكرت هذه النماذج .. لتوكيد مفهوم الجمال في العبادة النابع من مفهوم الإيمان الرابط بين المطلق والواقع.

فلسفة التلبية والدعاء في الحج:

تنطلق التلبية والدعاء من قلوب الحجاج لحظة الدخول في آخر نقطه من قنوات الميقات ... وبهذا يكون الحاج قد قام بعمليتين التلبية والدعاء يُوّشر إليهما الإحرام.

وللدعاء في الإسلام أهمية واعتبار كبيران فهو ليس طلباً أو التماساً وتبريكاً لمشاعر النفس المؤمنة؛ بمعنى أن الاستجابة ليست فقط الفعلية الموضوعية أو ما يعادلها في طريقة الدعاء، وإنما هناك عنصر الإثارة ..

فالدعاء يثير الخوافى والمكاتم والأحلام الراغدة ويدمجها في أجواء

ص: ٣٧

ساخنة. وحين يكون فضاء الكون الساحة المقترحة التي ينطلق فيها خطُّ الإثارة والاستجابة للدعاء فإنه والحال هذه يحتاج إلبصغهُ أكثر غنىً وثناءً ..

ويحتاج إلى مكان وزمان متحدين يلما بأن أسباب الدعاء من حيث الإثارة والاستجابة فكان الميقات وكانت التلبية .. الميقات هو زمن في مكان، ومكان في زمن، وسرُّ اسم المفعول فيه أقوى بياناً من المفاعيل الأخرى في العربية .. لأنه اسم ينفعل فيه الزمان والمكان والإنسان والدعاء والإحرام والتجرد .. و ... أما التلبية الخاصة فهي استجابة للإثارة الشعورية وإثارة للاستجابة الموضوعية، وهذه الثنائية توفر لنا وعياً ومعرفةً لفلسفة الدعاء في الإسلام.

ومن الميقات وبالتلبية تنسجم النوايا وتتماسك في نية واحدة. وفيما يكون التوازن بين نقطتي الانطلاق والنهاية في الدعاء تحدّد لنا نية الحجّ نوعياً الإجابة .. ومع أن المكان يتحرر من قيوده الطبيعية، ويأخذ الطبيعة الجمالية لكن مع هذا يبقى العنصر الجمالي غير قادر على رزم المساحات التي تطويعها أسئلة الدعاء .. فنعود إذن إلى أن الدعاء الصادر في التلبية ليس مطلبه الوحيد الاستجابة ولا توقع زمانها، وإنما هناك جانب الإثارة فيها ... الذي يحزّر الكائن الأرضي من محدودية المشاعر والحاجات وضيق التطلعات إلى ما هو أوسع وأوجب.

إن هذا لا يلغى تدخل العمل بالمناسك فيما بعد الميقات، في أن يكون محددًا لاتجاهات وتنوعات الدعاء وإجاباته، ويستدعى هذا التدخل أن يُصار للشعيرة في الحجّ موضوعيةً تتبادل التأثير مع موضوعية الدعاء. ويتفاعل الاثنان فيشكلان موضوعيةً أكبر، هي: موضوعية دعاء الحج.

الدعاء في الحج يهدف أساساً إلى التخطيط من أجل إبراز ظاهرة التجلي، ويتجاوز كونه مدعاةً لالتماس العفو والثواب والرزق ... ليهدف إلى رفع مستوى

ص: ٣٨

الإنسان إلى أن يكون كائناً مرهف الشعور والأحاسيس، تتجلى فيه كل معاني الخير. وتحتشد فيه تجليات كل معاني الكمال والسمو بعيداً عما هو أرضى - دنيوى - وبالتالي الإعراب عن مكون الهوية الأصلية للسرّ المودع في كيانه، ومعرفة ما إذا كان قابلاً على تجربة الاستخلاف، لا غرو أن نجد أساليب الدعاء جاءت على شكل آيات قرآنية مقدسة نازلة بخط راجع على غير المؤلف في اتجاه الدعاء .. وهذه الأدعية القرآنية أكثر ما اختصّ بها الحج دون غيره من العبادات «قل ربّ أدخلى مَدْخِصِدٍ وأخرجنى مَخْرَجِصِدٍ...» (١) «قل إنصلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين». (٢) «ربنا واجعلنا مسلمين لكّ ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لكّ وأرنا مناسكنا وتب علينا ..» (٣) «رب اجعل هذا بلدًا آمنًا» (٤).

إنك تجد في هذه الطائفة من الآيات الكريمة «المثال الأعظم» للدعاء .. وأنه شديد الارتباط بالبيت الحرام ... وأن فيه تمثلاً لدعاء إبراهيم عليه السلام. فإذا كان الدعاء بهذه الشخصية المحملة بجلال المعاني فإنه يحوّل الخطّ الواصل بين سكن الحاج ومناسك الحج إلى خطّ مستقيم يصلح لقياس وتقويس الفسحة الرحية بين الأرض والسماء، ودائماً تقترن حالة التطهر من النجاسات والخبائث بالاقتراب من نقطة التكليف الخاص بشعائر الحج، وتناسب طردياً مع الدخول إلى دائرة الأداء الفعلى المباشر للمناسك بحيث تنسحب «الظاهرة» على الذات وحركة الجوارح .. فيصبح كلّ كيان الحاج في أداء منظم غاية في الدقة.

من المفاهيم الكبرى في الحج التركيز على مصطلح (أرض الله) انطلاقاً من قاعدة عباد الله وسوف يبلور المتأملون في أداء المناسك مصداقاً أكثر تكثيفاً

١ - ١ سورة الأَسْرَاء. آية ٨٠ / إذ إن هناك اجماعاً، كما نقل ذلك الطبرسى في مجمع البيان ٦: ٦٧١ وتفسير البيضاوى ١: ٥٨٠ والكشاف ٢: ٦٨٨.

٢ - ٢ سورة الأنعام. آية ١٦٢ - ١٦٣.

٣ - ٣ سورة البقرة. آية ١٢٨.

٤ - ٤ سورة البقرة. آية ١٢٦.

ص: ٣٩

وحسية لمفهوم أرض الله، وهذا المصداق، هو الكعبة، فالمصداق يؤشر دلالة الطهارة والتطهر للتراب الأرضي والآدمي وبها تصلح أن تكون الأرض الطاهرة قاعدة لنشر حركة الدعاء وخطوطه الصاعدة من أي مكان ونقطة.

ومن داخل كرة الكعبة الكونية يتحول شعور الحاج بالسلام إلى تجربته عملية، ويتمثل إلى حالة القبول النفسي الذي هو أساس وتطوير للالتزام بالأمر والنهي، وقد عبرت المناسك عن هذا القبول النفسي وتجربة السلام بطريقة حرمة الاعتداء عمداً أو سهواً على حيوان أو دابة أو طير إن داخل الكعبة، أو ما يتصل بها أثناء الأداء والإحرام من الداخل أو الماحول أو الفضاء، وفي بعض الأحيان حتى في حالة الحل من الإحرام داخل الحرم، ولعل ما يشابه هذا السلام والأمن هو ما جُبل عليه الحيوان والمخلوقات الأخرى على أسباب حماية البيت والمقام. ويشار إلى هذا الأمن (بالأمن التكويني) حتى في الزمن الذي لم يكن فيه أثر للتشريع والأحكام «الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (١)

وهي إشارة واضحة على أمن البيت التكويني وما حوله، الذي يولد لنا أمناً آخر «من دخله كان آمناً» وأقصى ما يستعرضه القرآن دلالة على الأمن التكويني في سورة الفيل «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ...» (٢).

الأمن التكويني جعل البيت هدئاً ومباركاً، ومن هذه الأرضية يصبح الدعاء رسالة ... وذا معرفة، وليس تقليداً أو ترديداً للصيغ الموروثة، فالحج وتكرار الدعاء في مناسكه يحول الإنسان إلى كلمة طاهرة من كلماته سبحانه ..

إلى حرف ذي إيقاع فريد من حروف القداسة المتعالية، ومعنى أن يكون الإنسان (الحاج) كلمة أو حرفاً في أدعية المناسك هو احتفاظه بالشكل .. وبقابلية التجربة الموضوعية المقروءة، وبوجود ثل للوصف والوصفية والانطباعية والتعبيرية. ويصحح لنا هذا الحضور الشكلي قبالة الحضور الإعاني في كليه

١-١ سورة قريش. آية ٤.

٢-٢ سورة الفيل آية ١ وما بعدها.

ص: ٤٠

الإنسان الحاج فكرة الانفراط بين الإنسان وأشياءه الدنيوية. فالتجرد المقصود في الدعاء والحج ليس إقصاء ما هو دنيوي ترابى أرضى إنسانى، فهذا ما يواجهه بكل حسيه وبطريقه جماليه ممتعه في رمزيه الأشكال والأشياء في المناسك .. وانطلاقاً من وحدة الزمانى والمكانى فى بوابة الميقات، بل التجرد هو تحريك كل ما هو دنيوي إنسانى بعيد عن النواقص والنقائص، ودمجه مع مكملاته الأخرى التى سوف تترافد فى مسيرة المناسك، واعتماد تشكيلى رمزيه للجميع ودفعها فى ساحة الكعبه؛ لتمارس أعنف وأجمل تمارين السباحة الكونية والتلاقى مع جذبات جواهرها الساكرة فى العلو، والتى إلى ما قبيل الحج والميقات كانت تعانى من عوازل وعازلات مصطنعة سميكة ناتجة من عدم اقتراب الزمان إلى المكان والذى يتكفل «الميقات» بالتقريب بينهما فى حالة الاستعداد النفسى للورود داخل البيت الحرام.

من هذه الأرضية، ومن هذه التسامت بين الإنسان وأشياءه يحرك لنا الدعاء طيفاً من الشعور الحرّ، لا ليجرد الأشياء عن أشكالها المادية الحسيه، كما هو شأن المألوف عن التجرد المثالى، وإنما فى اكتشاف الخيوط الرابطة الدقيقة المبعثرة، وضبطها من جديد ونسجها بكيفية أخرى أمثل للحس، ونظراً لاعتبار الحج وقفه عباديه سنويه، وأن فيها تتلامس وتتجاوز الألسنة والدماء والأمزجة والمذاهب والقناعات فإنه وعبر تكراره فى حياة الأجيال يحتوى على بنويه شامله تظم من الخارج منظومه كبيرة من الأصوات، وينشق فيها من الداخل وبالضرورة صوت واحد.

ومهما يكن فإن التركيب بين الأصوات والأمزجة والألوان والانتماءات فى وحدة أداء الحج لم تكن عملية سهله يمكن اتقانها ومن ثم تكرارها فى يوم أو شهر أو سنه، لكنها تميل إلى الانتظام والاتساق والتوافق على المدى، وفى فرصه

ص: ٤١

تكاد تكون نادرة في وحدة عمر الإنسان الفرد والجماعة.

فإذا كان الإسلام أو بالأحرى الإيمان بالصوت الداخلى الذى يوحد أصداء النزوع الروحى للجماعة المسلمة هو العنوان العام الذى لا يتعارض مع خصوصيات أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب فى إطار الانتماء العقيدى الواحد، فإن هذا يدعونا إلى تأمل الأصوات الخارجيه للجماعة العامة، ورصدها بعدد المرات التى يتشكل منها اتجاهات اللغات والطبائع والمذاهب فى الجماعة الكبرى، ويمكن إحصاء الأصوات الخارجيه للجماعة الإسلامية الكبرى، ثم إخضاعها فى عملية توافق أخرى تتكفل بها تجربة الحج .. وهذه العملية الثانية تحوّل الأصوات إليصوت واحد لكنه على شكل مستويات. وإذن فالحج يتقدم على العبادات الأخرى فى تحويل الأصوات المختلفة فى الخارج ونظمها فيصوره واحده محددة بإطار تميل إليصوت واحد ذى عدّة مستويات ... ثم الجهاد من أجل تقريب المستويات نحو الشكل الواحد، وقد تتعهد المسيرة التاريخية المستقبلية لتحويل المستويات إلى شكل واحد طاغ. وللتوافق بين المستويات الخارجيه عدّة أشكال ستستقر على أحدها الجماعة الإسلامية أخيراً فى إحياء تجربة الحج الواقعية فى الحياة مستقبلاً، وهى:

- ١- مستوى اللغة التى ينطق بها الناس.
 - ٢- مستوى المشاعر والعواطف الإنسانية الإسلامية.
 - ٣- مستوى وحدة المذاهب.
 - ٤- مستوى وحدة الهموم والتطلعات الاجتماعية.
 - ٥- مستوى الانتقاء الثقافى والتقنى والمنهجى.
- هذه المستويات وربما غيرها لم تكن فى منأى عن التحقيق الذى تكفلت به مسيرة الحج التاريخية وقد دفعت بعض تجارب الحج بعض هذه المستويات إلى

ص: ٤٢

الإحياء الحقيقي .. ولكن لما لم تنفذ رسالة الحج على عموم المجتمع البشرى يبقى لنا فى المنظور، على المدى البعيد الكثير من إشكاليات تحويل المستويات بكاملها إلى مستوى الصوت والشكل الواحد ... بمعنى أن هناك اشكالياتين متقابلتين لم يتطور إلى واقع وعى ومنهج ومعالجة هما: أن بعض قوانين تجربته الحج لم تكن فى مقدور الجماعة البشرية والمسلمين خاصة أن يتفهموها، والأخرى أن الحاج وقوانين موسم الحج لم يكن بمقدورهما أن يستوعبا فهم قوانين الاجتماع البشرى حتى الآن.

تبقى حالة مستوى أداء المناسك القمة فى تجربة استدعاء المستويات الخمسة السابقة إلى التوليف والائتلاف، وإذا كانت مناسك الحج حظيت بمقام خاص وتميز فى التشريع لأمكنها أجوائها، وأصالة وجودها التاريخى وقدسيتها الأثار فيها، توفر للجماعة الإسلامية والإنسانية خارطة مكانية متنوعة منسجمة مع الأبعاد التكوينية على الأرض وحول البيت الحرام، فإن خارطة المشاهد فى المناسك تقترح على الجماعة بيوتاً أخرى كالبيت الحرام فى أى أفق مكاني «فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» (١).

. وتقترح المناسك الزينة التى منعت فى الحج أن تكون على أجملها وأروعها فى أى مسجد وبيت «يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل

مسجد...» (٢).

وكذلك جهزت الناس بالبلدان الآمنة بعدما حدّد أولاً الأمن بالبيت الحرام فأصبحت مكة بلداً آمناً «وهذا البلد الأمين» (٣). فتجربة الولوج إلى الميقات وترديد الدعاء ابتداءً منه وحتى الانتهاء من المناسك تدعوا إلى عملية اجتماعية تشترك فيها كل عناصر الطبيعة والاجتماع والتاريخ، وأول خطّ يواجه الاختبار هو خطّ عودة الحاج من المناسك، ومعنى هذا إحداث مقارنة حيّة، فالذاكرة هنا تحمل مستويات متعددة الدلالة لأمكنه

١-١ سورة النور. آية ٣٦.

٢-٢ سورة الأعراف. آية ٣١.

٣-٣ سورة التين. آية ٣.

ص: ٤٣

المناسك وأصوات الإنسان الآخر، وهي مادة المقارنة ومعرفة ما إذا كان الحاج قادراً على إنزال الدعاء في ساحته الفردية والاجتماعية، وما إذا كان لمفهوم الميقات (وحدة الزمان والمكان) تعبيرات وتطبيقات في قنوات محلته وقرينته وجيرانه ومؤسسته أم لا؟ الميقات والدعاء في الحج ومناسكه يبدأ بهما الحاج وينتهي بهما ذهاباً وإياباً، ويشكلان المدخل العملي الذي يتداخل معه التجمع البشري المنتخب بالاستطاعة في كل عام لمعرفة وقياس قرب أو بعد المستويات الخمسة السابقة، أو ما يقترح غيرها من محورية الصوت الداخلي، المحور الذي تعبر عنه وعن مضمونه العامصياغية (نية الحج).

وقبل أن نتأكد من قرب أو بعد المستويات بالنسبة لمحور الحج، فإن مجرد التجمع للأصوات الخارجية في فريضة الحج هو مؤلد آنى للكثير من الاقتراحات والصيغ .. إنه مجرد مؤلد آنى، وإن هذا الشكل العام للتجمع يشير في الأحساس نوعين من الأشكال المنسجمة، هما:

الشكل الأول: انسجام وحدة المكان في الحج: وهو أداء الحجاج لمناسكهم على المكان المحدد، وأن تجمعهم لا يجوز أن يؤدي المناسك المفروضة والمستحبة في غير المشاهد المقررة، فكل منسك خاص لا يمكن أن ينجز اليقين في الفراغ منه ما لم يؤدي في جزء المكان ودائرته العامة الواحدة، وهذا ما يفترق فيه الحج عن بقية الفرائض والواجبات. إذ بإمكان الإنسان أن يأتي بالصلاة جماعة أو فرادى في المسجد أو البيت، في السفينة أو على الجمل أداءً أم قضاءً خارج وقتها أو في زمن وجوبها ومع كل هذا تفصيحته. فالانسجام في أداء المناسك يرشح وحدة مكانية للجميع وهو أحد ركني الجمال في الحج، ويقرر لنا في النهاية مفهوم مكان القبلة وحالة التوجه. إذ المكان في الحج له واقع وموضوعية. «جعل الله الكعبة

ص: ٤٤

البيت الحرام قياماً للناس» (١).

الشكل الثاني: انسجام وحدة الزمان في الحج، وهو الركن الجمالي الثاني لأداء المناسك ويكون أداؤها في زمن واحد معين «والشهر

الحرام والهدى والقلائد» (٢).

وقوله: «الحج أشهر معلومات...» (٣).

ولوحدة الزمان في الحج بعدان، عام: إذ يكون واجباً مرة واحدة في العمر على المستطيع، والآخر: أن تقع المناسك جميعها في وحدة زمنية محددة ويكون أداء جزء المناسك في جزء الزمن المحدد، وإذا ما حدث اختراق ما لزمن بعض المناسك فإن الإتيان به يقع في ضيق دائرة الزمن المحدد قضاءً.

ونحن نقتصر على إبراز الدلالات الجمالية في الانسجام المكاني فقط؛ وذلك في رسمصور ثلاثة للجمالية المكانية في أداء مناسك الحج.

الحج ووحدة الزمان والمكان:

الشرط الزماني والمكاني في منظومة أداء مناسك الحج لا بد من أن يقرنا تدريجياً وعلى دفعات، حتى يصارا إلى وحدة في قالب أو بُعد معين ثابت، والبعد هذا يسمى «الميقات». كثير من العبادات تكون مطبوعة غالباً بأحد بعدى الزمان أو المكان كفريضة الصوم في الشهر المحدد، أو صلاة الجماعة في المسجد في زمن حضور الإمام المعصوم عليه السلام أو غيرها من العبادات ... حين نرى أن عنصرى الزمان والمكان أحد الألوان البارزة في وصف العبادة ... إن لم يكن أحدهما شرطاً في صحة العبادة.

غير أننا لا نجد لهذا (الزمان والمكان) إلأشيئين من مجموعة أشياء يدخلان في تصميم شكل الصيام أو الصلاة مثلاً، ويمكن عدم الالتزام بهما، ويصح التعويض عنهما وعن زمنهما بالصلاة قضاءً أو الكفارة، بل نرى مثلاً أنصلاة

١-١ سورة المائدة. آية ٩٧.

٢-٢ سورة المائدة. آية ٩٧.

٣-٣ سورة البقرة. آية ١٩٧.

ص: ٤٥

المرأة في بيتها معادلاً موضوعياً لصلاتها في المسجد.

في أداء مناسك الحج نرى للأشياء وضوحاً كبيراً ومشاركةً متكافئةً محتشدةً لعناصر الزمان والمكان معاً، فهما ليسا عنصريين تكوينيين يراد منهما ضبط الواجب والوجوب فحسب، وإنما هناك دلالات جمالية مؤثرة تترك لمساتها على ذاكرة المسلم وحياته ومراجعاته مع ذاته والآخر والأشياء ...

إنهما في «الميقات» يتجلبان بقوة وينسكبان في مثال الكائنات الحيّة القابلة للأنسنة ويستعرضان كلّ قابليتهما ويتحدان مع محورية الإنسان الحاج بحيث لا يمكن أن نسجل تقدماً للزمان أثناء الأداء على المكان في تسمية ووصف الميقات، وكذلك لا يصحّ العكس لحظة الأداء، ومع لحاظ كيفية ووجوب الإحرام والتلبية فإن المشهد العام يتقدم أكثر في استدعاء حالة التجرد .. إنه تجرد من أجل وحدة الأشياء والطبيعة مع الحاج ومن ثم الإنسان الآخر وليس ضدهما.

فهو أي التجرد- يستبطن قوة الزمن الحي والمكان الحي وأن هناك حيوية وعضوية كامنة شبه معطّلة تبحث عن محفز أقوى يدعوها إلى التمثّهر عن طريق المشاركة الواعية المخططة. إن حدوث مشاركة كهذه توفر للحاج مساحات أكبر للانتماء في المطلق، فيما تعرب الكائنات عن طاقة وأشكال أمثل وأثرى للتسخير الألهي والطبيعي، وعبر التعاطي المتبادل والمتواصل يستبصر الإنسان الانحياز الكلي نحو وجه الله، والتغلغل نحو معرفة الطاعة والطواعية؛ لتكامل من ثم صورة التكامل الإنساني، وتتكافل معالم التشريع مع أسس التكوين.

فعند عبور صراط الميقات يكون قد حرّر الحاج في تأملاته اللقاء بين الزمان والمكان، وتتصل هذ الصورة والحرية بينهما عند الوقوف على عرفات مثلاً، فالوقوف هناك يشير في الحس الجماعي إشارات إحياء الذاكرة الجمعية، وكسب المسيرة البشرية التاريخية التي شرعت من آدم وحواء عليهما السلام في وحدة

ص: ٤٦

لحظة واحدة فقط، لحظة ويجب أن لا تكون مجردة عن الشكل، فاقترح التشريع الإسلامي الوقوف الطبيعي الجماعي حول شكل مادي حجري.

الوقوف هذا وحركته الطبيعية إيماءة مثيرة يؤسسها التشريع في أداء المناسك عامة نحو فكرة الإبداع والجمال في عبادة الحج، حتى لا تتسرب الذاكرة وتندفع في دفقة حين تكون جماعية تيارية نحو الخيال المحض، والقفز نحو المجهول والمجهولية، والتي تتوتر بعيداً في الخيالي، وتتجه إلى حيث الأسطورية والخرافة، وإذن فإن في الوقوف بعرفات ذاكرة مسددة تخترق الزمن بإشارة وبسماح وبتمويل مكاني حيث يكون الوقوف في التاسع من ذي الحجة (إن جبرئيل كان يطوف إبراهيم في المشاعر ويعلمه المواضع وهو يقول عرفت) (١) أو (إن فيه تعارف آدم وحواء) (٢) أو (إن الناس يعترفون بذنوبهم في المكان) (٣).

ما كان للذاكرة أن تتحرر لولا المرور التأملية بالميقات الذي يصمم على المكان وفي الزمان وحدة بين الزمان والمكان. وكذلك عندما يمر الحاج على أطراف مكة فيواجه (المشعر الحرام، عرفات، منى) ويرى تلالاً من الحجر الصغير، وكيف أن الحجر المكسر الصغير لا ينتابه نضوب أو تكلس (وقد يبلغ من يرمى في كل سنة ستمائة ألف إنسان- كل واحد منهم يرمى سبعين حصاة- ثم لا يرى هناك إلأمالو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير) (٤).

إن هذه الإحياءات تتماوج حول الإنسان الحاج، والإسلام حين يدعو إلى المثالية والتجرد وسط حضور هذه الأشكال إيماءاتها لا يدعو إلى الإقصاء الكلي لعالم المادة، وإنما لإشباع وتربية العاطفة وتأكيداً منه على نبالة وقداثة الأشياء والطبيعة، ولتصاعد عوالم الأشياء والماديات إلى مثالها الأعلى، واذاك تنفتح لوحة الكون بكل أسرارها أمام الحاج وتبوح بمكنونها فتحدث عملية تفكيك،

- ١-١ في طريق الميثولوجيا عند العرب، محمد سليم الحوت: ١٥٠ بيروت. دار النهار للنشر ١٩٨٣.
- ٢-٢ في طريق الميثولوجيا عند العرب، محمد سليم الحوت: ١٥٠ بيروت. دار النهار للنشر ١٩٨٣.
- ٣-٣ معجم البلدان. ياقوت الحموي. تحقيق فريد عبد العزيز الجندی ٤: ١١٧ بيروت. دار الكتب العلمية ١٤١٠.
- ٤-٤ التفسير الكبير. الرازي ٨: ١٤٥.

ص: ٤٧

وإعادة نظم للموجودات في حياة الحاج الفردية والاجتماعية والتوافق معها على أسلوبية اجتماعية راقية مؤيدة بطاقة وحنان طبيعيين. فلتجربة الإنسان مع الماديات وعوالمها قطبان، الأول: مع جواهرها والثاني: مع أشكالها وواقعها ومتى ما تكاملت رؤيته لكل الأبعاد فإنه يقرر في مسيرته الحياتية المحتوى والمثال من جهة، والموضوع والصيغة من جهة أخرى، والإلمام بهذين القطبين في طول الحياة يحدث توازناً اجتماعياً بين قوانين العقيدة والفكر وبين قوانين الواقع والمتغيرات، ومن هنا فلا يكون المسلم الواقعي متعسفاً في تنظيم قضايا المجتمع والمستقبل والمرحلة، ولعلنا من هنا نضع لمسة أخرى في تفسير مفاهيم ومصاديق العصمة والمعجزة والظهور. إذ ليس التكامل هذا بين الإنسان والآخر فحسب بل بينهما والمجتمع وبين الطبيعة والكون.

التنوع الذي يطرحه التشريع بخصوص مثالية التكامل مع الآخر والطبيعة والكون في فريضة الحج، يتسع ليشمل تلوين إطار حياة مجتمع وطبيعة أرض وأعماق تاريخ ومساحة فضاء ويفترضه أولاً في دائرة إنسان واحد (الحاج) بل في فئة معينة من عمره. التشريعات وكيفيات الأحكام في مناسك الحج أكثر مما هي في أي عبادة، فقد ترى أن عناوين النجاسة والطهارة والسهو والنسيان والغضب، وشرائط العقل والبلوغ والحريّة في بعض الفرائض تتجه كلّها نحو تحصين العبادة من غير الجائز أصلاً، أما في عبادة الحج فإن هذه العناوين وأخرى مشابهة ترقى ليس إلى تحصين الحاج والحج من غير الجائز والحرام أصلاً فحسب، وإنما يفرض نظام حديدي شامل على المحرمات والمباحات والمكروهات، وإلاً فإن قتل برغوث في الصلاة لا يوجب إعادتها أو كفارة ما، وحتى مع الكراهية فإن الصلاة تقعصحيحة تامة. أما في الحج فإن قتل الحيوان يفرض نمطاً معيناً من الإجراءات، ولعل

ص: ٤٨

في أداء الحج تكون فرص المباح أقل مما هي عليه في العبادات الأخرى «والشهر الحرام والهدى والقلائد» (١) إذ يجب عدم التعرض للحيوان إذا قُلد بقلادة ويصبح في أمان حتى وهو يأكل من علف غير صاحبه من هنا فإن وحدة الزمان والمكان تحدث سبباً وتلاحماً بين المخلوقات التي يتدخل الزمان والمكان في حياتها وعمرها .. والميقات يشير إلى ذلك لتكون تجربة الحج تجربة روحية مع الطبيعة .. مع الكون .. مع الذات والآخر .. مع الأشياء كما هو واقعها .. مع الأشكال المادية كما هو انتماؤها الطبيعي الكوني؛ لتنتقل جميعاً متهاديةً إلى محور خالقها.

القبلة والجمال

لم يكن اختيار الكعبة قبله للمسلمين سدىً، أو أنه مجرد تلبية لرغبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين رآه سبحانه يقَلْبُ طرفه بين الآفاق، وأن الاختيار للقبلة الجديدة للديانة الخاتمة ليس انقلاباً ضد القبلة السابقة في البيت المقدس. ملاحظة هذين الأمرين والانتقال من قبة الصخرة إلى الكعبة في مكة يحزر لنا فكرة مهمة هي ظاهرة أرض الله وصلاحتها وأنها مع كائناتها محض خير وفيض وجمال، وأنها تنطوي على مثال قداسة. إن هذه الفكرة هي التي ترتكن عليها عقيدتنا بقبول الكعبة قبله جديدة دائمة وخالدة.

فإن طرح «القبولية» عن المقدس وإضافتها إلى الكعبة لا يخلُ بطهارة المكان السابق، وإن كان يضيف على الجديد قداسةً. فإن الجامع بين المكانين المحددين بقبة الصخرة والكعبة أو غيرهما من الأماكن الأخرى. هو كونهما طاهرين، وكان يمكن أن يكون أى مكان «كعبوياً» في جهة الغرب أو الشرق مقدساً وطاهراً. لكن الله اختار الكعبة والبيت الحرام «فَلَنُؤَلِّقَنَّكَ قَبْلَهُ تَرْضَاهَا» (٢).

١-١ سورة المائدة. آية ٩٧.

٢-٢ سورة البقرة. آية ١٤٤.

ص: ٤٩

الاختيار هذا يصبُّ في اختيار أعظم وأهم وهو الدين الإسلامى الجديد، الدين الذى حفظ المشترك الرسالى فى الأديان السابقة فيما اقتطع مرحلة ما بعد الديانة المسيحية، مساحه تاريخيه لخاتم الأديان، إن القبلة الجديدة اختيار حفظ لنا مشترك الطهارة والقداسة فى القبلة السابقة. لا بدّ إذن من جديد .. جديد لا يفارق الثابت الدينية الرئيسيه، ولا ينفصل عن المعطيات ووحدها التى حملتها الأديان السماويه، لكن يجب أن تكون القبلة من الأمور الجديدة فى الديانة الجديدة الخاتمة؛ لتصبح أمه المسلمين فى حاله وتجربه، يمكن أن توازن فيها بين الخصوصية والمشاركات الدينيه، فلا يرى على الديانات السابقة- ورغم الفواصل الزمنية البعيده بينها- أنها كانت تتجه نحو خصوصيه مع ما سبقها أو تعاصر معها. وأقصى ما يصطلح عليه بالخصوصيه هو نفسه الذى يصطلح عليه بالشمول والمشارك تجوّزاً، فالجديد فى تفاصيل الديانة الإسلاميه جاء ليحرك المسلم نحو تسييس العالم البشرى وقناعاته من موقع ثنائيه الخاص والعام فى التشريع الإسلامى؛ ليضع العقلية العالميه وإبداعها فى قلب الكون وجهاً لوجه مع كلّ ما تلتزم به من خصوصيه، ويطلُّ بها بالكامل على كلّ ما يمكن أن ينطوى على مشتركات.

القبلة إذن فى كونها جديداً إسلامياً فهى تدعو إلى الإبداع، وتوثيق المشاعر بالجمال، واستكناه العناصر الجديدة فى عملية الإبداع الإنسانى .. كما أن القبلة هى المقصد الرئيس لفريضة الحج ومناسكه، ومن هنا ترتبط الكعبة بفريضة الحج ارتباط الجمال بمفهومه وجوهره.

اتجاه الدلالات فى المناسك:

الذى يستنطق النصوص والأحكام التى تتعلق بالحج وشؤونه لا يمكن

ص: ٥٠

– إذا أراد أن يكون صورته عامة عن دلالاته وانحلالها في الساحة الاجتماعية – أن يقرأها آية آية، أو حكماً حكماً أو مقطوعاً مقطوعاً؛ وإنما حتى تترشح وحدة مفهومية ذات طاقة عملية، عليه أن يتوقف عند مفردات النصوص والأحكام كأجزاء يُراد منها أن تؤسس لصيغة عامة ضابطة ومنظمة لكل الأبعاد من الداخل والخارج.

ولما كان الحجّ بإجماع علماء المسلمين (١) هو ما يجب على المكلف المستطيع مرة واحدة في العمر فإن ترميز (مرة واحدة في عمر المكلف) تحرّك لنا إجماع النصوص والأحكام وتقودها نحو مصبّ واحد هو باختصار؛ المطلب الأعلى لعملية الحجّ بكاملها. وبقدر ما تندمج العناصر العبادية مع الاجتماعية والسياسية والوجدانية في عملية الحجّ فإن لمدلول الحجّ حين يكون مرة واحدة في العمر صورته مكثفة تحتشد فيها حزمة من الرموز معبأة بإمكانية السيطرة على مساحة الاجتماع البشرى وليس الإسلامى فقط «وأذن في النَّاسِ بِالْحَجِّ» (٢).

التأمل في الصورة العامة للحجّ في كيفيتي الإحرام داخل البيت الحرام وخارجه يقرب لنا نظاماً خاصاً في الربط بين الدلالات الماثلة في أداء فريضة الحجّ، ويمكن تصنيف الدلالات إلى:

١- الدلالات الرمزية.

٢- دلالات البعد الطبيعي (المكان + الزمان).

٣- الدلالات الوجدانية.

تتسع عمارات النصوص المتعلقة بالحجّ لاستيعاب هذه الدلالات الثلاث.

ولا يمكن الانتقال إلى تطبيق حرفية النصّ أو الحكم دون ربط الدلالات السابقة بفعليّة الحجّ الواقعية العملية الكبرى. إذ ليس بمقدور قراءة الأحكام وحدها أن تؤسس لهذه الأبعاد والدلالات ما لم نعتقد أولاً بجملته مفاهيم، وبمنتظم متسلسل

١- ١ راجع جواهر الكلام ١٧: ٢٢٠ وكذلك المغنى ٣: ٢١٧، وقد خالف في ذلك الصدوق في علل الشرايع: ٤٠٥ وقد استدل لذلك

بما رواه بإسناده عن أبي جرير القمي، راجع كتاب العلل: ٤٠٥.

٢- ٢ سورة الحجّ. آية ٢٧.

ص: ٥١

من المعطيات القرآنية الممتدة العامة.

فالحج المحمدي يتحرك بضوء ثنائيه المفاهيم/ المعطيات ومتى ما أتقن الحاج وعى العلاقة بين الاثنين، وترتيب الآثار تنبع على الأثر القيمة الاجتماعية كإنعكاس حتمى للمطلب الأعلى، بيد أن هناك تخليطاً أستدرج اليه المتحمسون يفيد أن مجرد التجمع الإسلامى الذى هو (معطى طبيعى) والذى تؤكد مسيره الحج التاريخيه منذ بدايه التشريع وحتى الآن سوف يحرر لنا المضمون الاجتماعى الحقيقى لفلسفه الحج. وبالتأمل، فإن الوقفات السنويه الموسميه للحجاج يبقى كصيغه اجتماعيه على مسافه بعيده عن وحدويه الهدف القرآنى للحج. فليس فقط الطقوسيه والتجاريه أو طغيان الذهنيه الفرديه، أو الانسجام مع ثقافه الأنظمه السياسيه الحاكمه فى بلاد المسلمين هى وحدها الأسباب التى أدت إلى أن تكون شخصيه الحج التاريخيه محمله بالتراكمات والسلبيات، بل ادعى إلى ذلك أن تكون هذه الأسباب ظواهر ومظاهر لسبب أعمق يغور بحجم تأثير الزمن الذى غلّف مسارات أداء الحج وهو؛ الفصل بين المفاهيم (الحج كمطلب أعلى من عامه النصوص يلم بالدلالات الثلاث السابقه) وبين المعطيات التاريخيه، ومع الاتجاه فإن الفصل ناتج من عدم وعى العلاقة بين مفاهيم الحج ومعطياته، بل إن الاندفاع فى هذا الاتجاه سوغ للبعض أن يضع ويركز على إحلال المعطيات محل المفاهيم، فأحدث هذا على المدى إرباكاً فى الأداء الدينى والاجتماعى للحج عليصعيدى الجماعه والفرد، ويضطر الحاج أن يكون منساقاً وراء العروض الطقوسيه للفريضة، متنازلاً عن المكاسب التى تماثلت أمامه فى حضره الأداء، وهكذا يكون ضحيه فى عصر يُراد منه أن يكون متمثلاً روحية الحج وجماعته الإسلاميه التى تهيكلت على شكل رسوم وخطوط بقوة ومن حوله وفيه فى دائره المشاهد المقدسه.

ص: ٥٢

الطبيعة العبادية في فريضة الحج أقرب من غيرها إلى معطيات الطبيعة والتكوين، ومن واقع تجربته يطالع فيها العبد الحاج حسية الجماعة التي تختلف عنه بمعظمها عن لسانه وعاداته ولونه وانتمائه القبلي، وإلى حد ما يتقارب مع التفاوت المذهبي، وبلحاظ هذا التطلع والتقارب بين الطبيعة والحج تتضح لنا الإثارات التي يثيرها القرآن الكريم والسنة الطاهرة بخصوص تعلق أغلب عناوين المناسك بموجودات طبيعية وأرضية معينة ومحددة، والتي توصلت قوة وضعفاً منذ أن أمر الله سبحانه خليله إبراهيم عليه السلام بإرساء قواعد البيت الآمن.

مجموعات كبيرة من الرموز المكانية والزمانية في سياقات النص القرآني والسنة المطهرة تصلح أن تترافد كاشفة عن المحتوى الجمالي لأداء المناسك وعن أصل هذا النوع من الجمال.

ولأن كل مفردة في النص قابلة للالتحام مع وحدوية مضمون السياق، ولأن كل نص يتواشج مع آخر في إطار الاندماج الموضوعي، فإن تياراً عنيماً يصرف الذهن والخيال إلى معانٍ جليئة مقدسة، إذ الإنسان في الحج وانطلاقاً من مكانية (الميقات) وبقدر ما يقصى عن طبيعته الآدمية التي خلق بها كل المضافات الترايبية، ويتجرد بكل توهج فإنه من جهة يخلع عليه حلة مادية بيضاء (لباس الإحرام) إنما يتجلى عنصورة أمثل ليكون معرباً عن خروجه من عقده وحاله ليندمج في عقيدة وساحة أخرى في ذات المكان والزمان الدنيوي؛ هي تلك رمزية تفيد استتلاء المضمون السليم إذ يصبح الحاج وهو يرتدى الإحرام ومعه الحجاج الآخرون بلون الفضاء الممتد بين تخوم الأرض وعنان السماء (فالكعبة ليست البناء الخاص المحدد بل هي الفضاء الخاص الممتد من تخوم الأرض إلى عنان السماء) (١).

إن القرية الكونية التي يضع الجمال الكوني مفاتيحها بيد الحاج لهي الساحة

ص: ٥٣

التي تنشرح أفقياً أمامه، وتمحور حول شاقول يشق أحشاء الكون، فالصورة إذن لم تكن هدفاً بلا وسيلة، ولا هي بلا قوة في التوظيف، ولا قوة بلا فعلية متجسدة في الواقع... وعليه فمن أين تبدأ الفعلية المتجسدة؟ إنها تماماً من نفس بؤرة الميقات، وتمتد رجوعاً على هدى خط أفقى إلى بلدة الحاج ووجوده الاجتماعى المباشر المتصل.

المفتاح الرئيس لصور الجمال المكانية فى الحج هو مفتاح الميقات بوصفه أو لكونه البؤرة التي تتلاحم فيه عناصر المكان والزمان، ومنه يصلح انفكاك زمان الحج ومكانه.. ويحمل هذا الميقات إشارة للدخول فى عالم الحج الخاص ألا وهي إشارة (الإحرام) التي ينطلق لسان التلبية للتعبير عن محتواها الداخلى.. وإذن فهناك صور كثيرة تدل على جمالية أداء المناسك نقتصر على صورتين منها: الصورة الجمالية الأولى لمكائنه الحج:

تنطلق فريضة الحج من تصوّر هائل للمكان، ولعل أرقى ما يشير إلى الصورة التصور المكانية هذا هي آية «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» (١)

. إذ تكثف الصورة الفنية فى سياق الآية، حركة الإنسان وهي متجهة من الأقاليم، فالضامرات اللواتى حملن الناس من نقاط وأفجاج بعيدة، تدلنا على رمزية متحركة بسرعة الرهان فى ميدان سباق مشهود، وبقدر ما تكون الضامرات قد خاضت تجربة الذهاب إلى بؤرة الميقات، فهذا الأخير يكشف عن مستويين جماليين للآية.. إذ تنحلّ عملية (الاتيان) ومن ثم (يأتين) إلى ممارسة مباشرة مع المكان، وباستثناء الضرورات تصبح رحلة ما بعد الميقات المستوى الدلالى الآخر لرحلة ما قبل الميقات، وهنا تنبع حكمه خط العودة من الحج، ولعل انغراس مفردة (ضامر) ومفردة (عميق) فى أفق النص

ص: ٥٤

يقص لنا عن محتويات المكان، وكائنات الطبيعة المطوعة المتمثلة للناس، وهي إشارة إلى تمرين الحج على الطبيعة، واشتراك المخلوقات ضمن إنسيابية التسخير مع الإنسان.

إن مفردة «عميق» تفرض مقاومة طبيعية على «ضامر» والمقاومة هذه متمثلة بطبيعة الخط المكاني المتصل (من كل فج) وينتج من الأمر بالحج حالة تعاطي «تعاطي» لمنظومة من القوى يفجرها في الأداء التشكيل والتنويع، فيكون الإنسان الحاصد الأخير لجماع المعطيات، وبفضل كفاءات التسخير تتقد مفردة (يأتين) وتومض منها شواظ تسلط الأشعة ليس على مستطيل النص فحسب، وإنما على تحولات وتضاريس الخط المكاني الرابط بين سكن الحاج والميقات، بمعنى أن البؤرة من جهة والواقع من جهة أخرى يتعاطفان في الإفصاح عن الخوافي والكوامن المعدة تكوينياً وطبيعياً في رحلة الحج، فيما يكون الحرص على تقريب المفاهيم تمهيداً للقراءة الواضحة البعيدة عن التغميض وتعسفات التأويل.

تبرز لنا القيمة الجمالية هدفاً من انسكاب السرد القرآني في خلاصات بيانية، وذلك في اصطفاء الجمال كأرقى عملية لتوضيح المقاصد العليا للفريضة العبادية، والجمال لا ينبسط بصورة عامة في عرض النص، إنما يترمز في وقفات خاصة ومن عدة زوايا، وهذه الرموز تنقل النص نقلاات هائلة، وهي تتقدم مع حداثة العصر وتأملات المياه المقدسة لسواقي القرآن، بحيث كلما يتسع المكان وتتووع تضاريسه وتتركب معطلاته وتعقيداته فإن نسغاً خالداً في طول النص يعكس أطيافه، ويتوالد بعده ألوان تغطي آخر قافية معرفية في القرآن.

النسغ هذا: هو وجود الحقيقة المكانية في النصوص كمكون وكجزء صميمي في عملية الشروع بفريضة الحج، وفي أداء مناسكه على السواء. لكن وجودها فرع على وجود الأصل العبادي الخالص. وهذا هو التكافؤ الذي يحقق

ص: ٥٥

النسيبة المكانية في القرآن وفي الحج خاصة «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس» (١).

النسيبة المكانية هذه تولد لنا المعالجات والأسلوبية المتطورة، وتلائم بين المكان في الخارج وحسيته الواقعية، وبين المحتوى الديني الثابت لفريضة الحج.

فعنصر المكان هنا لم يكن مقترحاً من الخارج لتفسير النص، كما لم يكن مساعداً كيميائياً مؤقتاً في تجربة النص والحج، وإنما لكي ينسحب الجدل ومعه صعوبات الانسجام فإن عنصر المكان نابع من ذات الصورة المعنوية للقرآن، وارتبط بجمله رموز طبيعية تسجل للناقد الشكلية الجمالية النسيبة؛ ولهذا تأخذ المشاهد المقدسة تسلسلها في القيمة والوسيلة العبادية دون أي انفرط أو ترخص في أي من مكونات عبادة الحج.

الصورة الجمالية الثانية:

الصورة الأولى كانت قد تناولت الصيغة الجمالية لمفردة حاج واحد على انفراد، ولذلك فهي إجراء فني نقدي قرآني يصمم لحالة العلاقة المثالية بين ما يجب أن تكون عليه كائنات الطبيعة في ارتباطاتها مع الحج والحاج، أي إن الصورة الفنية وإن كانت لا تركز على حكم معين إلا أنها تستبطن دعوة اجتماعية كونية يتعاطف فيها الإنسان مع غيره من كائنات الوجود.. دعوة أرقى ما يكون عليها حالة الحج والحاج الحقيقية... ولذلك اختير المكان وينابيعه القصية (فج عميق) ليمهد إلى تمارين أولية.. وهو رسم على المكان... إذ توفرت أفعال ومفاعيل وروابط وأهداف وتحولات بين المنبع المكاني الواحد وحتى مفتاح الميقات.

الصورة التي نحن بصدددها هي: أن الآية السابقة تثير في الاجتماع الإنساني

ص: ٥٦

مقترحاً خلاصه الدين الإسلامى، وحسب كونه خاتم الأديان، وأنه لا نبى بعد رسولها المصطفى صلى الله عليه وآله وعليه فإنها ذات مهمة رسالية استثنائية أى إنها عالمية تتبنى على ضوء الثبات والمتحرك فى التشريع المتداخل مع جزئيات وفواصل الخط التاريخى الصاعد من أجل تسييس المستقبل والمصير الإنسانى وتشدهما بمحورية التوحيد الإلهى .. إن هذا ومع تنوع أداء الحضارات والمدنيات، وتعقل الذهنية وانسحابها عن النسبيات والمحدودات المادية، فإن الآية السابقة تركّز هذا الموج البشرى، وتستدعى موجاته بهدوء نحو المسرى الطبيعى، وتحشده نحو بؤرة مكانية واحدة كتمرين على وحدة العقيدة فى المستقبل .. البؤرة التى انطلق فيها نداء التوحيد المعبر عن أصالة المشترك الفطرى الإنسانى. ولا بدّ إذن من أن نواجه شكلاً مادياً يشبع الإحساس بالمكان، فكان الشكل المادى للكعبة يحقّق هذا الإشباع، ويستعرض عبر فضاءاته كلّ العواطف البشرية على الدوام؛ لأنه الشكل الوحيد الذى اتسع ويتسع لحركة الوجدان، وبنفس الوقت يتصل بالمطلق .. اتصالاً من الداخل حيث أداء المناسك المرتبطة بمركزية الشكل الكعبوى، وكذلك اتصالاً من الخارج وعلى السطح، حيث الخطوط النابعة من كلّ الأقصى، كما هو شأن الدين الإسلامى حين يكون ولا بدّ من ذلك دين البشر قاطبة.

فهناك منابع بشرية هائلة تسبح فى حركة دائبة، وتتجه فيما تنتظم أخيراً عبر قنوات الميقات، وكلما اقتربت الروافد البشرية من مصبات الميقات، فإن الدوائر المكانية على السطح وفى الخارج تصغر حتى تكون فيصغر طبيعى، وحينما تقترب المحيطات من دائرة المركز (الكعبة) تصبح أنصاف الأقطار التى كانت فى الخارج أقطاراً تندمج وتتكثف وتتكيف.

إن التماس مع الميقات والعبور إلى الكعبة يحزّر فى ذات الاتجاه المستقيم

ص: ٥٧

أشكالاً ورسوماً بعدد الكتل البشرية مما يحدث تحوُّلاً هندسياً في الروافد البشرية، عملية التحوُّل هذه يرشحها الدخول في الإحرام والشروع في التلبية وأداء المناسك، فتساوق الأعمال هذه مع تلاقى أنصاف الأقطار البشرية على دائرة ضيقة نسبياً، ويكاد ينعدم الفراغ المكاني (الخلاء) وتتماسك خلاياه فيحدث إحساسٌ كبيرٌ بأهمية اللوحة (الرقعة) المكانية المقدسة، وإذآك تفرغ الروافد المكانية كلٌّ ما في طبيعتها من لاثقية مادية مقبولة، وتتواشج نحو التحام حقيقى يطيح بفوضوية الأجزاء، إن هذا يدعو إلى اعتبار قياسات جديدة للمكان ..

القياسات الجديدة للمواقيت والمشاهد تنبع من الذاكرة .. الذاكرة الجمعية التى هى سنه من سنن الفطرة.

المكان فى الصورة المقدسة هذه يصبح كائناً حياً فاعلاً، له موضوعية فى تجربة المناسك؛ ولذا يكون قابلاً لفرضيات الإنسان والاجتماع، لأن مواجهته بهذه القوة والامتداد المفروضه فى التشريعات والأحكام تضىفى عليه لوناً من الحركة والتجدد والسيرورة، فلا يكون موضوعاً أو مادة للتاريخ أو حدثاً لزمان معين، إنما يصبح خلية منتجةً من خلايا الوجود تتعاطف إبداعياً مع طهارة الإنسان الحاج. يؤدى هذا إلى تلاشى المقاومة الطبيعية السلبية للمكان وعبر مقابله اعتراف الحاج وقراره بإقصاء الأنا أو الذات المضافين واللذين هما طرفا النزاع والخصومة والمقاومة مع غفلة الطبيعة وتحجرها.

كلّ هذا يحدث فى لحظة الولوج إلى ما بعد الميقات .. وحين يتم انسحاب الأنا المؤثثة بالكثير من التوابع المادية والترايبية، تسلم الطبيعة إلى شكلها الأصيل، وتنتمى للحاج وتتصافح معه بقوة وعنف، وتتجلى عن مواقف ومشاهد مشرفة طاهرة، تؤرخ وتضبط للإنسان حدود وكميات أداء المناسك، وتشارك فعلياً فى رسم صور السنن الشرعية الخاصة بفريضة الحج.

ص: ٥٨

التنازل الطوعى الذى يحدث للذات ومصافحة الطبيعة للحاج، لم يكن وليد لحظة الولوج فى الميقات، وإنما وليد مجموعة من التحولات على المكان يجمعها تمرين (يأتين من كل فج عميق) وتطور عملية (الإتيان) إلى (يأتين) المركزة المشددة، فهذا التنازل إذن كان قد بدأ ليشطب عليه الصراع الداخلى، وإذا ما شعر الإنسان الحاج فعلاً أنه فى حضرة تجربة يكون فيها الاتجاه عملياً نحو تصفيه منابع هذا الصراع من داخله ومن موقع القرار والحكم، فإن ما يُسمى بالصراعات المادية الأخرى والعراك البشرى والحروب والكوارث والنزلات التاريخية سرعان ما تتداعى وتنتفى حيثتها.

الخلاصة التى يرسمها القرآن الكريم لعملية تصعيد التعاطف بين الإنسان الحاج ودواخله من جهة وبين العالم الخارجى وتحدياته من جهة أخرى تكمن فى دلالة الآية «وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً» (١)

. فالأمن وليس السلام مصداق التصالح الكامل فى مجتمع الحاج المقترح مستقبلياً .. الأمن هو أفصح بيان فى لغة التعامل مع الموجودات فى الكون، وما كان السلام يوماً حقيقةً اجتماعية مالم يشبع بالأمن الاجتماعى، فهو ليس إلّا حالة تعقب الحرب أو الخلاف ومن هنا فهو مهدد بالاختراق من أحد أو من كلا الطرفين، لكنه أى (السلام) مناط بحركة الآتين على الضامرات من كل فج عميق .. إنه مداخله مع نوعية القوى المقاومة .. حتى إذا امتزج الجهد الإنسانى بحركة الطبيعة وتهادى إلى الميقات كان يجب أن يتحول السلام فيه إلى جوهر حياتى .. إلى حقيقة وينطلق فى خطوة نوعية أرقى هى (الأمن). السلام فى المنظور الاجتماعى ليس إلّا تدبيراً قانونياً عازلاً يعتمله الإنسان والآخر مع أرضية وحيثية الصراع من أجل أن تكون الأسباب المؤدية ومقاومة الطبيعة حيادية، أو فى بعض الحالات يكون السلام مفروضاً، ويمتاز بالصيغة السلبية.

ص: ٥٩

أما في حالة الأمن يكون السلام نفسه منطوياً على اطمئنان، كما أن الطبيعة وعناصر الصراع والنزاع تنقلب إلى عوامل ايجابية تدر بالرحمة والبركة والحريه .. أى تتصل بأصالتها وفيضها وجمالها الكوني، مما يجعلها في التصاق مع جهد الإنسان في انتاج الهدف الأعلى في الأرض، وتسييس باقى المعطلات.

ولعل مفردة (ميقات) فيها إحياء وإيماءة على توقيت الفصل بين ما هو سلام وتطويره عبر تحولات مشاعر وألفاظ وحركات ولباس الحجاج إلى ما يجب أن يكون عليه السلام، وبين ما يجب أن يكون عليه الواقع الأمنى العام لمجتمع الحاج. فلأمن في وجدان الإنسان والحاج ذاكرة عجيبة، إذ إنه من وحى الفطرة ويدير من نميرها ... ولها تعلق قديم في مسلكية الجماعة الأولى ... وتشكل مفردة الأمن معادلاً موضوعياً لمجتمع الجنة ... ولقد توثبت ألفاظ بعينها على تسمية بعض مناسك الحج وذلك ما نلحظه في تسمية (منى): (إن جبرائيل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له: تَمَنَّ. قال: أتمنى الجنة، فسميت -منى- بذلك لأمنيته). (١) فهناك إذن ذاكرة جماعية راجعة، تكيف إثاراتها واستجاباتها أجواء تلاقي الروافد البشرية بين نقطتى الميقات وباقى مناسك الحج، وتدعوها للتأمل وللالتحام حول شكل مادي إلهي يدعى (الكعبة) باعتباره مركز كل دوائر أمكنة الاجتماع الإنسانى فى النهاية.

هناك فرق خفى يؤشر لحالتين من توارد المشاعر فى سياق الآيات التالية:

«وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ... وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى» (٢). «فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر» (٣). «أو لم يروا أننا جعلنا حرمنا آمناً» (٤). «... فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج» (٥).

١-١ جواهر الكلام ١٩: ١٠٠.

٢-٢ سورة البقرة. آية ١٢٥.

٣-٣ سورة التوبة. آية ٢.

٤-٤ سورة العنكبوت. آية ٦٧.

٥-٥ سورة البقرة. آية ١٩٧.

ص: ٤٠

«... فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» (١).

إننا نجد عليصعيد الآيات السابقة مجموعة إشارات:

أولاً: أن الأمن فيها يأخذ مستويات متعدّدة يتصاعد مع حركة الزمن، فمن البيت الحرام وأمر إبراهيم وإسماعيل إلى السياحة الزمنية المحددة بالأشهر الأربعة، إلى التركيز والتأكيد والاستفهام في الآية الثالثة، وهي إشارة إلى غفلة الإنسان عن حقيقة البيت .. إلى تكثيف أدق لحالة الأمن وذلك في نفي مطلق يشمل جنس (الجدال). وحتى مخاطبة الأفئدة وتوليف العلاقة بين البيت وما حوله.

ثانياً: امتزاج عناصر التكوين والتشريع، وذلك في ورود فعل الأمر مقروناً أو متعلقاً بمفردة (الجعل).

ثالثاً: علاقة الأمن بالطهر، بالرزق، بالهوى، (الحب) وكلها تؤثر اتساق الآثار العملية مع قوة الميل الإنساني لمعرفة حقيقة البيت الحرام. هذه الأمور الثلاثة لا تلغى خصوصية كل آية عن الأخرى، فالآية الأولى ترمز إلى خصوصية البيت ذاته وطهارته من كل ما يشوه معالمه ورسالته، وتبين بعض أحكامه وتأتي الآية الثالثة لتثير قضية خطيرة (الأمن) عبر مقطع (استفهامي) «أو لم يروا» وتقتطف الحس الإنساني بمعيرة الذاكرة وتوجيهها نحو (أمن الحرم) فإن الرؤية هنا تمتزج بالرؤيا .. لكن الآية رشحت أولاً عنصر الحس في مفردة (يروا) ثم عبر الاستفهام دمجت من بعيد عنصر الرؤيا، التأمل، الذاكرة «أو لم ...» إذ يكون الأمن هنا مسلكاً اجتماعياً وهدفاً متعلقاً بمشاهد الحج ويستتلي هذا ذاكرة كيف يكون مجتمع الجنة .. إن الآية ترمز إلى التفاتة دقيقة نحو المقارنة، والمقاربة بين مجتمع الجنة ومقترح قريب منه هو مجتمع

ص: ٦١

الحجاج، لكن هذه الالتفاتة القرآنية لا- تخلو من المضمون المكاني .. أى جهة الالتفاتة ... فتصبح (حرماً آمناً) شكلاً مادياً يفى بالمطالب الحياتية الدنيوية النقية، وسيان كان الشكل مادياً أم غير مادى فجماعة الحجاج لم يكونوا طبقة أو جهة متميزة عن الوسط الاجتماعى العام .. إنما هم يؤدون الحجّ ضمن أدوار معينة تحوى أروع محاكاة اجتماعية لوضعية الفائزين بالجنة، ويضعون اناملهم على أدق الحوافز التى تفصلهم عن تمثل الدرجة العليا التى تطمح لها ذاكرة الجميع.

أما الآية الثانية فقد استخدمت مفردة (السياحة) وهو إشباع لطيف ليس لعموم المكان، بل لأخص رقعة فيه ... وهى حتماً ما تناسب الذوق السليم ...

وهذا توجه كلى بلغة الوجدان إلى خلاصة الطبيعة الجميلة .. لكن الآية تحدّد السياحة بزمن محدّد حاد حاسم فيتدخل الأمر والتشريع، وهذا التحديد جاء من أجل مفهوم «الحج الأكبر» الذى يقع يوماً واحداً فى الأشهر الأربعة ... وكان بإمكان القرآن أن يسمّى ويحدّد الحج الأكبر .. لكنه أى- القرآن- أراد أن تحدث جولة سياحية فى المكان وتتناهى إلى حصيلة زمنية .. وما كان لهذا الايقاع الزمنى والحج الأكبر أن ينسكب فى طهارة وفى اختتام المناسك، لو لم يكن هناك انتظار .. فالانتظار فى الآية جعل المكان فى حالة قلق .. أى إنه فى النهاية سيتكلس وسيسفر عن المشركين، ورغم أن أربعة الأشهر تحدّد يوم الحج الأكبر مع اختلاف بسيط فى الروايات (١) إلا أنها تتفق على أن الرسول صلى الله عليه وآله أرسل الإمام علياً عليه السلام لقراءة آيات البراءة من المشركين.

ولا بدّ من حسم الموقف ... ولا شك فى أن جمرة الانتظار فى الآية ستنتظفاً وتتجه الموجه باتجاه آخر .. فى زحمة تيار أقوى داخل البيت .. وهنا تنتظرنا الآية الرابعة ... وعند مقطع «ولا جدال فى الحج». وللإشارة؛ فإن الجدال نوع من الحوار الفكرى وضرب من التأمل والمناظرة ليس فيه فى ذاته حرارة وآله أو

ص: ٦٢

سلاح، كما هو في أشكال الصراعات الأخرى .. الانطلاقه نحو (الاجدال) ستلقى في النفوس نشوة الإحساس بالسرور .. إذ يعزل الحاج على دائرة المكان كل حوافز ومسوغات الجدال حتى عيصعيد الشعور والتأمل .. مما يدعو الذاكرة إلى أن تنداح أقوى؛ لأنها تحيا حالة قصوى من التهذيب والتشذيب ... وحتماً أن مستوى كهذا من الصقل والاستقامة سينفتح لها الفراغ ... وتتوفر لها مجالات أكبر للتنقل والتذكير والإنابة.

ارتفاع حركة النفس والروح إلى مستوى الأيمن الحقيقي، يعنى أنها تدخل في تجربة التعايش الكامل مع الموجودات .. ولما كانت التجربة في ضمن إطار شكل مادي وبتماوج بشري مختلف، فإن هذا لا يجعل الإتقان سهلاً دون إزال الدلالات الجمالية بكاملها في عبادة الحج. مقطع «ولا- جدال في الحج» يصب في بلورة موقف الحاج تجاه أنماط الحياة، التي تزخر بها الدوائر البشرية المتتابعة الدوران حول الكعبة والمناسك .. وهذا الموقف له قطبان، هما: الإنسان مع أخيه، والثاني: الطبيعة، ومهمة الحاج داخل البيت لا تسمح له بالتأجيل أو النقض فيها .. ولما كان هناك حركة دائبة للأشياء فمعناه أن قبالة الحاج نماذج مختلفة من كائنات الطبيعة والبشر .. وهي في حالة حضور وامتثال واصغاء، فما تبقى إذن؟

إنها قيادة البشر والطبيعة وإلى من؟ قطعاً باتجاه المطلق. طالما تعرف الحاج على نمطية الأسباب المعطلة للانطلاق نحو الله سبحانه ومن قرب.

المطلق يعنى الله- سبحانه- ولا يمكن أن يستوعب الحاج كل المساحات والمسافات نحوه- سبحانه- حتى لو كان طاهراً .. لا يمكن له هذا ما لم يصحب في رحلته الفريدة التي تقع في أول عمره أو وسطه أو أخريات أيامه عناصر أخرى لها استحقاق الوجود؛ تلك العناصر السايحة، التي تسبح بميلها الطبيعي في الطبيعة، وأهم العناصر في دنيا الطبيعة في زمن الحج هو المكان، ومنه يدرك أنه

ص: ٤٣

الصبغة الطاغية على فريضة الحج .. وأن هذا المكان سوف يتحد مع الزمان فيما بعد الميقات، ويحدث بينهما التعجيل فيما تعود الأمكنة بعد الاتحاد في الميقات إلى حالتها الطبيعية المتناثرة في الحرم وفيما حوله .. إن هذا الاتحاد والتعجيل يكون معنوياً ويرمز لها في شكل الميقات، والتعجيل من القوة بحيث يصبح في منظور الحج أن كل ما في الطبيعة يحمل قابلية ومزاجية عبادية، وتنقلب نسبة البيت الحرام المنحوتة فيصدر الآية «مثابه للناس» إلى نسبة إلهية «طهراً بيتي» ويتطابق اتجاه هذه الآية مع مدلول «وأتموا الحج والعمرة لله» (١).

على هذا فإن التحشيد الفني في الآية يشمل الطبيعة وما تنطوي عليه من أحجار ونبات وحيوان وهوام، إذ تقرر التشريعات حرمة الاعتداء عليها والتعهد بالقضاء والكفارة في بعض حالات العمد والنسيان، إذ لم يكن قبل الميقات أي حرمة أو التزام ... يكشف لنا الحج ومناسكه أن لغير العاقلات حرمة وبأى نسبة فإنها تشبه حرمة الاعتداء على الإنسان، بيد أن هذه الكرامة لم تكن وليدة العقل في الكائنات غير الإنسانية .. إنما هي لحيثية الوجود ... فللموجود قدسيه في أي محل وشكل .. وهذا هو المشترك بين الإنسان وغيره فمعنى «أنسنه» الأشياء ليس إحلال العقل فيها، بل في وعى علاقة الوجود وأنماطه بحركة الإنسان. تزول كل الفواصل بين ما يسمى بالمكان الطبيعي، وبين ما يسمى بالزمان الطبيعي، فيما بعد الولوج في الدائرة المتصلة بين البيت والميقات، ويتواصل هذا الالتحام بينهما حتى يوم النحر فينطلق الدعاء من فم الخليل عليه السلام «فاجعل أفئدة ...» وهو المصعب والمستوى الاجتماعي الأخير للأمن الإلهي. وفي الآية نطالع مفردات (أفئدة- الثمرات- يشكرون) وهي محملة بومضات وجدانية تومئ إلى أن الفؤاد مكان يغلف لب الكيان الداخلي للإنسان، والثمرات هي لباب

ص: ٤٤

وجوهر النعم والأرزاق، فيما تنفرد مفردة يشكرون بأقصيصيغته إيقاع للحمد والثناء والاعتراف.

اللباب الثلاثة وماتستتليه من جذبات على المكان تحدّد لنا ذات الجهة التي يعتاد أن تكون فيها معاً .. إذأ، إنها حركة نحوها معاً .. وعبرها تترشح رسالته البحث عن الأمن الحقيقي، فليس هذا الأخير خلوداً إلى اللذة والراحة والاستلقاء، الأمن الحقيقي في بيت الله، وهو تجربة ومعركة تبدأ من الفرد، الذات، ولها آثار تكوينية وتشريعية تصل إلى خارج البيت فضلاً عن داخله وحتى أهل إبراهيم عليه السلام وعلى جنات واد غير ذي زرع تلك المعطيات التي تكفلت الآية بإبرازها. إنها تصفية للذات والذات الأخرى في أروقة النفس الإنسانية وغوامضها، وهي بدورها نقله مكانية مثيرة تشكل خط النهاية فيصيرورة المكان الإبراهيمي.

في الذات. وأين يقع هذا الذات؟ في أي زاوية من المكان تتنازل نوية الذات .. إنها مواجهة حساسة فعلاً تقتضي متتاليات هندسية على خط المكان، بعدما نزع الإنسان الحاج كل ما عليه من مقاسات يمكن أن تُستنفذ زواياها. لقد علمنا أن بؤرة المكان التي توجهت نحوها «أنصاف الأقطار» من «كلّ فح عميق» هي الكعبة. فأين المكان الذي تلوذ فيه الذات وتتعري على حقيقتها؟ من الطبيعي أن نفس الذات لا تظفر بالتشخيص السليم، فلا بد من ذات أخرى تألف المسلك الشائك، ووجهاً لوجه يتصالب الحاج مع أخيه في أقرب نقطه مكانية وزمانية وهو يتقن الطواف والسعي والركعات ورمى الجمرات وغيرها. فما معنى «طهراً بيتي للطائفين والعاكفين ..»؟ هل في إقصاء رموز الوثنية والجاهلية؟ هل في إبعاد اليهود والنصارى والمشركين؟ وما معنى (والركع السجود)؟ أو ليس الطائفون العاكفون مصلين؟ وهل توجد صلاة ومصل بدون ركوع وسجود؟

ص: ٦٥

تساؤلات تتوالد ويتوارد طيفها ...

وقبل التلامس مع الإجابة يحسن بنا أن نذكر الخلاصات التي انتهت إليها الآيات الخمسة السابقة.

فآية الأولى: قررت تطهير البيت، والثانية، قررت إشباع المكان بالحركة والانتظار، والثالثة: قررت الأمن كذاكرة جمعية والرابعة اقصد كل منابع الصراع على الصعيد النظري فضلاً عن الصعيد المادي، فأقرت أن الأمن ينسحب على النفس فيمتعها بالسرور، ثم قررت الآية الخامسة أن آل إبراهيم ومن ثم المجتمع وبقدر ارتباطهم بالبيت هم محل الرزق والثمرات والإلفة والمحبة. هذا التطوير في تكامل الحرمة البشرية كان قد بدأ ولا زال ... وأنه مع الزمن لم ينته إلى النتائج المطلوبة بشكل كامل ... مما يجعل قسماً من النظرية فيصيغه فرض أو فرضية مجردة تلح على برهانها ...

أين نعثر على البرهان ليتحول باقى النظرية الافتراضى إلى تجربة عملية تامة وأن تكاملها يعكس اجتماعية العقيدة وعالميتها؟ التساؤلات السابقة يعضدنا على معالجة واستنباط الحلول لها نفس مكان الحج، وفي واحد هو من أهم مناسك الحج .. كما أن الآية التي تضمنت الإشارة إلى الطائفين والعاكفين يتجلى لنا ختامها وهو يقفل على بيان المطلع فيها في مقطع (الركع السجود). لما كانت حركة الحجاج في البيت ومن حوله من طواف وأشواط وهرولة وذهاب وإياب. ولما كان الطوافون في حركة دائرية، وباتجاه لا يحدد ولا تنفصل فيه أداء اليد اليمنى عن أداء اليسرى.

ولما كانت حركة السعى والأشواط بين الصفا والمروة هي التي تفصل بين الطوافين، وهي حركة أفقيه مستقيمة .. لما توضح كل هذا؛ فإننا نحصل على نوعين رئيسيين من أنماط الحركة، ويشكلان أساساً لباقي الأنماط وهما: الحركة

ص: ٦٦

الدائرية، والحركة المستقيمة ... وأن المكان الذيصنف الحركة الواحدة إيصنفين هو نفسه الذي سوف يعيد الاتجاه في نمط أو نوع واحد.

الدائرة والمستقيم على المكان هما أهم إحدائيتين اجتماعيتين للناس في مناسك الحج وما عداهما ليس إلا انحرافاً مسدداً بالتشريع .. فالشكل الدائري والمستقيم للحركة يمكن أن يتداخلا في المكان الواحد فيشكل معاً دائرة كبرى ومحوراً أكبر وقطراً أعظم. لقد كان الحاج قد توصل إلى دائرة الكعبة، وذلك عبر التكرار المنظم للطواف حولها، فهل تسنى له أن يقطع أو يكرر الاندفاع في كل الخطوط المستقيمة ليلخصها، من ثم في سباعية الأشواط بين الصفا والمروة؟

تلك مساءلة جمالية ... وليس بالضرورة أن تفصل العبادة عن الجمال في سائر الواجبات الدينية وخاصة الحج .. إذن ماذايقترح علينا الحج من مناسك، ومن مكانية لاكتشاف الزاوية التي يكمن فيها عملاق الذات .. بعدما اكتشفنا أن سياقات النصوص تقذف في الذهن أن بؤرة المكان المشعة المكتنزه هي الكعبة، فليس حتماً أن يكون الشكل الدائري أتم الأشكال وأجملها، فهو بالتحليل خط مستقيم، قديتضح في صور أخرى للأبعاد المكانية في مناسك الحج، والتي منها وحدة المركز المكانية المسمى بالكعبة.

الهوامش:

الجحفة

اشاره

ص: ٨٢

الجغفة

عبد الهادى الفضلى

اكتسبت الجغفة أهميتها كموضع جغرافى من العوامل التالية:

١- وقوعها مرحلة من مراحل طريق الهجرة النبوية الشريفة.

٢- كونها مفترق طرق تؤدي الى الحرمين الشريفين، والى ينبع حيث المرفأ البحرى والطريق الشامى الساحلى.

٣- والعامل الثالث هو العامل الدينى حيث اعتبرت الجغفة شرعاً من المواقيت الخمسة، التى وقّتها رسول اللّهُ صلى الله عليه و آله و سلم للحجاج والمعتمرين من المسلمين.

٤- وقد يضاف الى هذه عامل آخر، هو العامل التاريخى إذ مرت على الجغفة عهود تقدم وازدهار، وعهود تأخر واندثار تسترعى انتباه الباحث وتستدعيه للبحث فيها.

وبغية أن نتبين هذه لابد من تصنيف البحث- وفى ضوئها- الى النقاط التالية:

ص: ٨٣

- اسمها.

- موقعها الجغرافي.

- تاريخها الماضي.

- حاضرها.

- دليل شرعيتها كميقات ومشروعية الإحرام منها.

- الطرق المارة بها.

اسمها:

كانت تعرف قديماً باسم (مهيعة).

وضبط الاسم لدى المشهور بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة تحت، وفتح العين المهملة، فتاء مربوطة.

وذكر السياغى فى (الروض النضير ٣/ ١٤٢): أن القاضى عياضاً حكى عن بعضهم: كسر هائها، وعلق عليه بأنه غير مشهور.

وهو مأخوذ من هاع هيعاً- بفتح الهاء- وهيعاناً، بمعنى انبسط، أو من هاع هيعاً- بكسر الهاء- بمعنى اتسع وانتشر.

قال الخليل فى (العين مادة هيع-): وطريق مهيع من التهيع، وهو الانبساط، وبلد مهيع أيضاً أى واسع، قال أبو ذؤيب:

فاحتشهن من السواء وماؤه بئر وعانده طريق مهيع وقد يرجع هذا الى اتساع واديها وانتشاره وانبساطه حيث يبدأ بغدير خم عند نهاية

وادي الخرار واسعاً، ويستمر متسعاً ومنبسطاً حتى يصب فى البحر.

ثم سميت (الجحفة).

وضبط الاسم- من غير خلاف- بضم الجيم وسكون الحاء المهملة، وفتح

ص: ٨٤

الفاء، بعدها تاء مربوطة.

وذكر الاسم في (الصحاح) بغير أل، وفي كثير من الكتب سواء بالألف واللام من أولها.

وسميت بهذا الاسم لأن السيل اجتحفها (١) في قصة أخوة عاد، التي ينسبها اللغويون الى ابن الكلبي المؤرخ المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، إذ زعم «أن العماليق (وهم ولد عمليق بن لاوذ بن ارم) أخرجوا بنى عييل - وهم أخوة عاد (بن عوض بن ارم) - من يثرب فنزلوا الجحفة - وكان اسمها مهيعة - فجاءهم سيل فاجتحفهم فسميت جحفة» (٢).

وقد جاء فيما روى عن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم أنه استخدم الاسمين معاً، حيث نقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال - عند دخوله المدينة المنورة وكانت يومها موبوءة - «اللهم انقل وباء المدينة الى مهيعة».

وفيما رواه البخارى من طريق هشام أيضاً عن أبيه عن عائشة في حديث هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: لما قدم رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وعَكَكَ أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبتِ كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟، قالت:

فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبّح في أهله والموت أدنى من شراك نعله وكان بلال إذا ألقع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولى إذخر وجيل

وهل أردن يوماً مياه مجنّته وهل يبدون لى شامه وطفيل قالت عائشة: فجنّت رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته، فقال: (اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ، وصححها، وانقل حمّاها الى الجحفة).

١-١ قال ابن سيده: سيل جُحاف - بالضم - يذهب بكلّ شيء ويجحفه أى يقشره. انظر: اللسان - مادة جحف.

٢-٢ انظر: اللسان والتاج - مادة جحف.

ص: ٨٥

وكذلك استخدم الاسمان في حديث أهل البيت عليهم السلام، ففيصحيح أبي أيوب الخزاز- الآتى فيما بعد- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال (ووقت لأهل المغرب الجحفة، وهي عندنا مكتوبة مهيعه) (١).

ولا يزال الاسمان يستعملان في بعض الكتب الشرعية، إلّا أن اسم مهيعه انحسر من الاستعمال الاجتماعى، فلا يعرف المكان عند أبناء المجتمع سواء كانوا من أبناء المنطقه أو غيرها إلّا باسم الجحفة.

موقعها الجغرافى:

اتبع الجغرافيون القدامى لتحديد الموقع الجغرافى لأى موضع يقع على طريق معروف المقياسين التاليين:

١- ذكر المدينتين الرئيسيتين اللتين يبدأ الطريق بإحدهما وينتهى بالأخرى، فيقولون- مثلاً- الموضع الفلانى يقع بين مكه والمدينه، أو بين البصره والكوفه.

٢- تقدير الموضع بالمرحله بالنسبه الى إحدى المدينتين، فيقولون- مثلاً- هو على مرحلتين من مكه، أو على ثلاث مراحل من الكوفه. وتابعهم على ذلك بعض الفقهاء كما سنرى فى ذكر مصادر التحديد فيما يلى:

ففيصحيح الجوهري ولسان ابن منظور حددت بموضع بين مكه والمدينه (٢). وكما ترى، أن مثل هذا التحديد لا يعين الموقع بالضبط والدقه، وذلك لكثرة المواضع الجغرافيه بين مكه والمدينه، ولذا حاول بعضهم أن يكون أقرب الى ضبط الموقع، فقال: هى منزل أو مكان بين مكه والمدينه، قريب من رابع، بين بدر وخليص، كما فعل هذا الفيومى فى (المصباح المنير)، والطريحي فى (مجمع البحرين) (٣).

١- ١ معجم ما استعجم ١/ ٣٦٧- ٣٧٠.

٢- ٢ انظر: ماده جحف فيها.

٣- ٣ انظر: ماده جحف فيها.

ص: ٨٤

ومتى علمنا جغرافياً أن القرى المشهورة، التي تقع على هذا الطريق بين (بدر) و (خليص) هما (رابغ) و (مستورة)، وأضفنا اليه القرية التي ذكرها، وهي أن الجحفة قريبة من رابغ، وليس من مستورة، يكون التحديد - هنا - أقرب الى تعيين الموقع، إذ إننا وعلى مقياس آخر من المقاييس المستخدمة قديماً، وهو سؤال سكان المنطقة عن الموقع، يكون التحديد قد أوقفنا على الموقع الجغرافي لها. أما تحديد الموقع بالمرحلة، فقد قُدر بالتالي:

- ثلاث مراحل من مكة (١).

- أربع مراحل من مكة (٢).

- خمس مراحل من مكة (٣).

- ست مراحل من المدينة (٤).

ويرجع هذا الاختلاف في عدد من المراحل بين ثلاث وأربع وخمس الى الاختلاف في:

١- المراد من المرحلة.

٢- الطريق.

فالقائلون بالثلاث أرادوا بالمرحلة المسافة بين المنزلين، وبالطريق طريق الهجرة.

والمنازل في هذا الطريق من مكة الى الجحفة، هي: مكة - عُسفان - خيمة أم معبد - الجحفة.

فالمسافة بين مكة وعسفان مرحلة، وبين عسفان والخيمة مرحلة، وبين الخيمة والجحفة مرحلة.

والقائل بالخمس أراد بالمرحلة المنزل، وبالطريق الطريق السلطاني،

١- ١ الروض النضير ٣: ١٤٢ والروض المربع ١: ١٣٥ ولسان العرب مادة جحف: حكاه عن البكري.

٢- ٢ معجم البلدان ٢: ١١١.

٣- ٣ معجم معالم الحجاز ٢: ١٢٢.

٤- ٤ معجم البلدان ٢: ١١١.

ص: ٨٧

ومنازله- بعد مكة- هي: ١- الجموم ٢- عسفان ٣- الدف ٤- الطارف ٥- الجحفة.

وكذلك القائل بالأربع أراد بالمرحلة المنزل، وبالطريق الطريق السلطاني، إلا أنه حذف (الطارف) لعدم ذكره في بعض الخرائط.

أما المعاصرون من الفقهاء فاتبع بعضهم في تحديد الموقع الجغرافي للجحفة مقياس المسافة المقدره بالكيلو متر.

منهم: السيد الكلبيكاني في رسالته العملية (مناسك الحج) قال:

«والمسافة بين جحفه ومكة المكرمة مائتين وعشرين كيلو متراً تقريباً» (١).

ومنهم: الشيخ سيد سابق في كتابه (فقه السنة ١/ ٦٥٢) قال: «ووقت لأهل الشام الجحفة: موضع في الشمال الغربي من مكة، بينه وبينها

١٨٧ كيلو متراً».

والمسافة- كما في خريطة وزارة المواصلات السعودية للطرق البرية في المملكة- من مكة الى مطار رابع ١٨٠ كيلو متراً، ومن مطار

رابع الى الجحفه ٩ كيلومترات، فالمجموع ١٨٩ كم.

والمواضع التي يمر بها الطريق حالياً هي:

- مكة.

- الجموم.

- عسفان.

- خليص.

- المفرق (مفرق الطريق الى جدة والمدينة).

- صعير.

- رابع (مطار رابع الواقع قبل مدينة رابع من جهة مكة المكرمة وبعدها من

١- اصابه نحوياً: مائتان وعشرون. ومن غير شك أنه جاء من خطأ المترجم عن الأصل الفارسي أو من الناشر.

ص: ٨٨

جهة المدينة المنورة).

- الجحفة.

يسلك إليها الآتي من مكة يمنة الطريق، والآتي من المدينة يسره الطريق - كما سأوضحه فيما بعد. والذي حدّد المسافة بست مراحل من المدينة المنورة أراد بالمرحلة المنزل وبالطريق السلطاني أيضاً. ومنازله بعد المدينة - هي: ١- الفريش ٢- المسيجيد ٣- السقيا ٤- بئر مبيريك ٥- الابواء ٦- الجحفة. ونخلص من جميع ما تقدم - وفي هدى ماذكر على صفحات الخرائط - الى النتيجة التالية:

١- تقع الجحفة شرقي مدينة رابغ مع ميل الى الجنوب.

٢- يوصل إليها بسلوك أحد طريقين يدلّفان إليها من طريق المدينة مكة جدة العام:

أ- أحدهما من مركز مدينة رابغ، وطوله ٢٢ كم.

ب- وثانيهما من مطار رابغ وطوله ٩ كم.

تاريخها المعاصر:

إن قصة نزول بني عيّيل الجحفة بعد أن أخرجهم العماليق من يثرب - التي تقدمت الإشارة إليها - تشير الى قدم الجحفة، والى أن تاريخها يرجع الى ما قبل الإسلام.

قال الزبيدي في (تاريخ العروس: مادة جحف): «وكانت تسمى مهيعه، فنزل بها بنو عيّيل - كأمر باللام، وهو الصواب، وفي بعض بنو

عبيد كزبير

ص: ٨٩

بالدال، وهو غلط- وهم أخوة عاد بن عوص بن ارم، وكان أخرجهم العماليق، وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن ارم من يثرب، فجاءهم سيل الجحاف، فسميت جحفه، قال ابن دريد: هكذا ذكره ابن الكلبي.

والعمالق- كما يعرفهم القلقشندی (١): «قبيلة من العرب العاربة والبائدة، وهم بنو عمليق- ويقال عملاق- بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهم أمية عظيمة يضرب بهم المثل في الطول والجثمان، قال الطبري: وتفرقت منهم أمم في البلاد، فكان منهم أهل المشرق، وأهل عُمان والبحرين والحجاز، وكان منهم ملوك العراق والجزيرة وجابرة الشام وفراعنة مصر».

أما بنو عييل فذكرهم القلقشندی (٢) عن ابن الكلبي بالدال، فقال: «بنو عييد: قبيلة من العرب البائدة، قال ابن الكلبي: وهم بنو عييد بن أرم بن سام بن نوح- عليه السلام- وقيل: عييد بنصداد (شداد) بن عاد بن عوص بن سام، قال في العبر: وكانت منازلهم بالجحفه بين مكة والمدينة، وهو ميقات الإحرام لأهل مصر، فهلكوا بالسيل، ويقال: إن الجحفه بين مكة والمدينة، وإنما سميت الجحفه؛ لأن السيل أجحف بها وخربها.

قال المسعودي: ومنهم الذي اختط مدينة يثرب، وهو يثرب بن باسه بن مهلهل بن أرم بن عييل، والذي ذكره السهيلي: أن الذي اختط مدينة يثرب هو ابن عييل هذا».

ويبدو أن الجحفه بقيت عامرة بعد سيل الجحاف حتى القرن الخامس الهجري، فقد ذكر البكري البلداني المتوفى سنة ٤٨٧ هـ الجحفه في كتابه (معجم ما استعجم ١/ ٣٦٧) وعرفها بقوله: «وهي قرية جامعة لها منبر». ووصفها بأن في أولها- أي من جهة المدينة- مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بموضع يقال له (عزور)، وفي آخرها- أي من جهة مكة- عند العلمين مسجد الأئمة.

١-١ نهاية الأرب ١٤٢.

٢-٢ م. س ٣٢١.

ص: ٩٠

وربما كان خرابها في القرن السادس الهجري، ويفاد هذا مما جاء من تعريف لها في (معجم البلدان ٢ / ١١١) فقد قال مؤلفه ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ: «الجحفة- بالضم ثم السكون فالفاء- كانت قرية كبيرة ذات منبر ... وهي الآن خراب». والذي يظهر أنها بقيت خراباً حتى عصرنا هذا.

وقد يرجع هذا الى ما تُمنى به المدن والقرى الواقعة على الطرق العامة عند عدول السابلة الى طريق آخر فتهجر لانقطاع مورد المعيشة فيها، وهو تعامل أهلها مع السالكة والسابلة المارة بها.

حيث يفاد مما يذكره الرحالة من مصريين ومغاربة (١) أن طريق الحاج من المدينة المنورة الى مكة المكرمة المار ب (بدر) ف (الجحفة) عدل عنه، فانحدر من (بدر) الى (مستورة) ف (رابغ).

هذا كل ما وقفت عليه من تاريخها الماضي، وبخاصة في العهد الإسلامي.

ونستطيع أن نخلص منه الى النتائج التالية:

١- أن الجحفة حتى القرن الخامس الهجري كانت قرية كبيرة جامعة ذات منبر.

٢- وكان يطلق على أولها- للدخل إليها من جهة المدينة المنورة- اسم (عزور)، وكان فيه مسجد يقال له (مسجد النبي)، وهو المسجد الجامع الذي فيه منبرها لإقامة صلاة الجمعة.

٣- وفي آخرها- للخارج منها إلى جهة مكة المكرمة- مسجد يقال له (مسجد الأئمة).

٤- وفي نهايتها- من جهة مكة المكرمة أيضاً- علّمان أى علامتان من البناء الثابت لبيان حدود الميقات أو نهاية الميقات.

١- ١ انظر: على طريق الهجرة، للبلاد يص ٦٠.

ص: ٩١

حاضرهما:

قمت بثلاث زيارات ميدانية أو رحلات استطلاعية لموقع الجحفه في التواريخ التاليه:

١- الرحلة الأولى في أوائل سنة ١٤٠٢ هـ.

٢- الرحلة الثانية في ٧/٥/١٤٠٢ هـ / ٢/٣/١٩٨٢ م.

٣- الرحلة الثالثة في ١٨/٦/١٤٠٩ هـ / ٢٥/١/١٩٨٩ م.

ففي الرحلة الأولى: ذهبت إليها من جدة بسيارة سوبربان شفرليت، وكان برفقتي ولدي إياد، وعندما وصلنا مطار رابغ نزلت يمينه الطريق إلى أرض رملية صخرية غير ممهدة، وليس فيها علامات واضحة يهتدى بها السائر الى الجحفه، فتوقفنا خشية أن نضل الطريق ريثما نرى من نسير معه، فأقبلت علينا سيارة داتسون وانيت فاستوقفتها وسألت صاحبها عن الطريق، فقال: معي لأن طريقي يمر بالميقات، وعندما بان لنا منارة المسجد انطلق الى جهته مسرعاً وتركنا نتخذ من المنارة منارةً نهتدى به. وحين وصلنا عند باب المسجد ترجلنا ودخلنا المسجد، فرأيناه قد لعبت به سوافي الرمال وغطت فرشه، ورأينا فيه خزانات ماء للاستسقاء ومنها للغسل في حماماته الملحقة به. وبالتفاتة الى إحدى زوايا المسجد رأينا بدويًا متوسداً يده وغطاً بنوم عميق، وقد رنا أنه خادم المسجد فأيقظناه وسألناه بعض الأسئلة عن الموقع، فقال: إن هذا المسجد شيد قريباً من قبل الحكومة السعودية وملاصقاً لأسس المسجد القديم، وأرانا شيئاً منها، وهي آثار مسجد الأئمة الذي تقدم ذكره، ثم أرانا بجواره بئراً قديمة مطمورة، ثمصعدنا على سطح المسجد ورأينا على بعد ستمائة متر شرقي هذا المسجد بئر ماء ليست بالقديمة يستقى منها الرعاء وأعراب المنطقة، ثم أشار الى امتداد قرية الجحفه حتى قصر علياء، ولأن سيارتنا ليس

ص: ٩٢

فيها (الدبل) المساعد على السحب، لم نستطع الذهاب إليه لمعرفة مسافة القرية القديمة طولاً لوجود كتبان كثيرة من الرمال تجمعت بفعل السيول، فشكرناه، وعدنا أدرجنا الى جدة.

وفي الرحلة الثانية استعرت سيارة جيب تويوتا، وصحبت معي ولدى عماداً، وكان برفقتنا خاله المرحوم السيد ياسين البطاط، وابنه السيد فاضل، وتجاوزنا المسجد المذكور الى قصر علياء، ويبدو من أطلاله أنه أثر عباسي، والى جنبه آثار سوق قديمة وطريقصخرى عفى عليها الذارى. والمسافة بين المسجد المائل وأطلال القصر أربعة كيلومترات أو تزيد قليلاً.

وفي الرحلة الثالثة كان مركبنا سيارة جيب تويوتا أيضاً، مستعارة، والرفقة: الخطيب الشيخصالح العبيدى والشاب عابد العلاسى من جدة، وولداى معاد وفؤاد، وابنا عمتهما السبطان السيدان الحسن والحسين الخليفة، ورأينا الطريق من مطار رابع حتى المحرم قد عبدته الحكومة السعودية وزفتته، وذلك بطلب من الحكومة الإيرانية.

كما أننا رأينا مسجداً جديداً كبيراً شيد على موقع المسجد السابق بعد تهديمه، وفيه مرافق من مراحيض وحمامات للرجال وللنساء، عملته الحكومة السعودية بعد تزفيت الطريق المذكور.

وأيضاً رأينا الى جانب قصر علياء - كما يسميه أعراب المنطقة، ولم أعرف وجه التسمية - قريباً منه، مسجداً آخر، غير مسقوف، قيل إن الذى بناه رجل من شيعه حرب القاطنين بوادى الفرع.

«ويسكن أرض الجحفة اليوم قبائل من زبيد، منهم: الزنابقه والروايضة والعصلان، تخالطهم عناصر من عوف» (١).

ونخلص مما تقدم الى التالى:

ص: ٩٣

- ١- المسجد المحرم يقع فى أرض تلاصق آثار مسجد الأئمة، قبيل نهاية القرية القديمة من جهة مكة.
- ٢- وفى نهاية القرية القديمة من جهة المدينة المنورة، أى فى حى عزور تقوم أطلال قصر علياء.
- ٣- الى جانب قصر علياء مسجد صغير غير مسقوف أنشئ حديثاً.
- ٤- والمسافة ما بين المسجدين لا تزال رمالاً وصخوراً، لا تسلك إلا بسيارة جيب وأمثالها.
- ٥- الطريق من المسجد المحرم الى طريق المدينة- مكة العام مزفت، وبطول تسعة كيلومترات.
- ٦- ومن رؤيتنا لآثار القرية القديمة تحققنا من أن المسجدين الحديثين المذكورين، وما بينهما من الميقات، ذلك أن الميقات هو القرية الماثلة حالصدور النصوص الموقته لها.

دليل شرعيتها:

ويتلخص الدليل على اعتبار قرية الجحفة ميقاتاً بالتالى:

- ١- السيرة العملية القطعية المتصلة بعصر التشريع، المسلمون يحرمون منها منذ عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى عصرنا هذا.
- ٢- اتفاق فتوى فقهاء المسلمين وتسالمهم على ذلك.
- ٣- النصوص الشرعية المعتره، وهى كثيرة، منها:
- صحيح معاوية بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام، قال: من تمام الحج والعمرة أن تحرم من المواقيت التى وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا تجاوزها إلا وأنت محرم، فإنه وقت لأهل العراق- ولم يكن يومئذ عراق- بطن العقيق من قبل أهل العراق،

ص: ٩٤

ووقت لأهل اليمن يلملم، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل المغرب الجحفة، وهي مهيعة، ووقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ومن كان منزله خلف هذه المواقيت ممّا يلي مكة فوقته منزله (١).

صحيح أو حسن الحلبي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الإحرام من مواقيت خمسة وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لحاج ولا لمعتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها، وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، وهو مسجد الشجرة يصلى فيه، ويفرض الحج، ووقت لأهل الشام الجحفة، ووقت لأهل نجد العقيق، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل اليمن يلملم، ولا ينبغي لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

صحيح أبي أيوب الخزار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدثني عن العقيق أوقت وقته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو شيء صنعه الناس؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ووقت لأهل المغرب الجحفة - وهي عندنا مكتوبة مهيعة - ووقت لأهل اليمن يلملم، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل نجد العقيق وما انجدت (٣).

صحيح علي بن رثاب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأوقات، التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، وهي الشجرة، ووقت لأهل الشام الجحفة، ووقت لأهل اليمن قرن المنازل، ووقت لأهل نجد العقيق (٤).

- وعن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، وقال: هن لهم، ولكل آتٍ أتى عليهن من غيرهن، ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة (٥).

١-١ الوسائل: الباب ١ من المواقيت.

٢-٢ الوسائل: الباب ١ و ١١ من المواقيت.

٣-٣ الوسائل: الباب ١ من المواقيت.

٤-٤ الوسائل: الباب ١ من المواقيت.

٥-٥ المحلى ٧ / ٧١ عن صحيح مسلم ١ / ٣٢٨.

ص: ٩٥

وقد أفاد فقهاؤنا الإماميون فتواهم من هذه، ونصّوا عليه:

ففى (فقه الرضا) (١) و (المقنع) (٢): «وقت لأهل الشام المهيعة وهى الجحفة».

وفى (الهداية) (٣) و (المقنعة) (٤): «وقت لأهل الشام الجحفة»، وكذلك فى (النهاية) (٥) و (الجمل والعقود) (٦) و (السرائر) (٧) وفى

(المواسم) (٨) و (الجامع) (٩): «ومىقات أهل الشام الجحفة». وفى (الاصباح) (١٠) و (الغنية) (١١): «ولأهل المدينة مسجد الشجرة

اختياراً، واضطراباً الجحفة، وهى المهيعة، وهى مىقات أهل الشام اختياراً».

وهذا المذكور فى (القواعد) من أن الجحفة مىقات اضطرابى لمن لم يحرم من ذى الحليفة عند مروره عليه، واختيارى لمن لم يمر

على مىقات قبله، هو رأى مشهور فقهاء المسلمين، ما عدا المالكية من المذاهب السنية فقد ذهبوا الى أن الجحفة مىقات تخييرى لمن

مرّ على المدينة من أهل الشام خاصة، فيتخير الشامى المار بالمدينة بين الإحرام من ذى الحليفة والإحرام من الجحفة.

قال ابن حزم فى (المحلّى) (١٢): «وفى بعض ما ذكرنا خلاف .. ومنه: أن المالكيين قالوا: من مرّ على المدينة من أهل الشام خاصة،

فلهم أن يدعوا الإحرام الى الجحفة؛ لأنه مىقاتهم، وليس ذلك لغيرهم».

ولعلمهم بهذا يأخذون بظاهر الأمر الوارد فى بعض نصوص التوقيت من غير اعتبار لقربنة أن طريق الشاميين عصر التشريع (صدور

النصوص) كان على الجحفة.

ومن هذه النصوص ما رواه الامام مالك فى (الموطأ) (١٣) عن عبد الله بن عمر «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يهّل

أهل المدينة من ذى الحليفة، ويهّل أهل الشام من الجحفة .. الخ» ..

١-١ الينايع الفقهية ٤.

٢-٢ م. س ٢٠.

٣-٣ م. س ٤٨.

٤-٤ م. س ٦٩.

٥-٥ م. س ١٧٤.

٦-٦ م. س ٢٢٧.

٧-٧ م. س ٤٦٧.

٨-٨ م. س ٢٣٩.

٩-٩ م. س ٦٩٧.

١٠-١٠ م. س ٢٥٦.

١١-١١ م. س ٤١٧.

١٢-١٢ / ٧٢.

١٣-١٣ / ١ ٣٠٦-٣٠٧.

ص: ٩٤

وعنه أيضاً أنه قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل المدينة أن يهلوا من ذى الحليفة، وأهل الشام من الجحفة .. الخ). وإليه ذهب بعض فقهاءنا الإماميين - مع فارق عدم قصره على أهل الشام - استناداً إلى بعض النصوص الدالة بظاهاها على هذا، قال الشيخ المظفر في (كتاب الحج من شرح القواعد) (١): «هذا كله في ميقات أهل المدينة اختياراً وأما اضطراراً فميقاتهم الجحفة - وهي المهية - بلا كلام في جواز الإحرام بها اضطراراً، بل قيل بجوازه اختياراً لقوله فيصحيح على بن جعفر عليه السلام: «وأهل المدينة من ذى الحليفة والجحفة» فإنه ظاهر في التساوي بين الوقتين فيتحير بينهما اختياراً، ودعوى إجماله لاحتمال إرادة الجمع بينهما باطله، لمعلومية عدم لزوم الجمع بين وقتين فلا بد من أن يراد التساوي بينهما.

وصحيح معاوية بن عمار: «عن رجل من أهل المدينة أحرم من الجحفة، فقال: لا بأس».

ونوقش فيه باحتمال مرور الرجل على طريق الشام فأحرم من الجحفة، وتخييل السائل لزوم إحرامه من الشجرة وإن مرّ على غيرها لكونه من أهل المدينة فأجابه الإمام بعدم البأس.

ويشكل بأن الاحتمال لو سلم لا يضر في العموم المستفاد من ترك الاستفصال الشامل لصورة الإحرام من الجحفة مع خروجه من المدينة.

وصحيح الحلبي: «من أين يحرم الرجل إذا جاوز الشجرة؟ قال: من الجحفة، ولا - يجاوز الجحفة إلا محرماً»، فإنه أجاز الإحرام من الجحفة من دون تقييد بالاضطرار وعسر العود إلى الشجرة، بل هو ظاهر في الاختيار لقوله «ولا يجاوز الجحفة إلا محرماً». وصحيح أبي بصير: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: خصال عابها عليك أهل

ص: ٩٧

مكة، قال: وما هي؟ قلت: قالوا: أحرم من الجحفة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحرم من الشجرة، فقال: الجحفة أحد الوقتين، فأخذت بأدناهما وكنت عليهما» فإنه ظاهر بأنهما بمرتبة واحدة في الإجزاء اختياراً، فلا يضر الأخذ بأقربهما إلى مكة خصوصاً مع العلة. وخبر معاوية أوصحيحه: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن معي والدتي، وهي وجعة، قال: قل لها فلتحرم من آخر الوقت، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل المغرب الجحفة، قال: فأحرمت من الجحفة». فإن تعليقه عليه السلام للأمر بإحرامها من آخر الوقت بتوقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمواقيت ظاهر في كفاية الإحرام من أي وقت كان بلا دخل للوجع فيه.

ولعلّ الأصحاب إلّا النادر خصّوا إحرام أهل المدينة من الجحفة بحال الاضطرار لظهور المستفيضة في اختصاص كل مصر بميقات فتخص الأخبار السابقة بحال الاضطرار، كما يشهد له خبر الحضرمي الدال على أن الصادق عليه السلام اعتذر عن إحرامه من الجحفة، وهو شاك، بقوله: «قد رخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن كان مريضاً أو ضعيفاً أن يحرم من الجحفة» فإنه ظاهر في أنه رخصة للضرورة لا مطلقاً.

كما كان الأمر كذلك عند فقهاء أخواننا أهل السنّة حيث افتوا بذلك استناداً إلى ما تقدم من أدلة وأمثالها.

ففي (متن الخرقى) (١): «وأهل الشام ومصر والمغرب من الجحفة».

وفي (الروض المربع) (٢): «وميقات أهل الشام ومصر والمغرب الجحفة».

وفي «الفقه على المذاهب الأربعة» (٣): «فأهل مصر والشام والمغرب، ومن وراءهم من أهل الأندلس والروم والتكرور، ميقاتهم الجحفة».

وفي (فقه السنّة) (٤): «ووقت لأهل الشام الجحفة ... وقد صارت رابع

١- ١ المغنى ٣: ١١٠.

٢- ٢ / ١٣٥.

٣- ٣ / ١٣٩.

٤- ٤ / ١٥٢.

ص: ٩٨

ميقات أهل مصر والشام، ومن يمرّ عليها بعد ذهاب معالم جحفة».

وفى (التحقيق والايضاح) (١): «الثانى: الجحفة: وهى ميقات أهل الشام، وهى قرية خراب تلى رابع (٢)، والناس اليوم يحرمون من رابع، ومن أحرم من رابع فقد أحرم من الميقات لأن رابع (٣) قبلها بيسير».

ويلاحظ على قولصاحب فقه السنّة (وقدصارت رابع ميقات أهل مصر والشام .. الخ): أن اندراس معالم الميقات لا يخرجها عن كونه ميقاتاً، والإحرام مما قبله من الأمكنة إحرام مما قبله من الأمكنة إحرام قبل الميقات يخضع لأحكام الإحرام قبل الميقات من حرمة بغير نذر، أو جواز على كراهة أو بلا كراهة.

والصواب أن يعبر عنه ب (المحرّم) بدلاً من الميقات.

قال ابن قدامة فى (المغنى) (٤): «وإذا كان الميقات قرية فانتقلت إلى مكان آخر، فموضع الإحرام من الأولى وإن انتقل الاسم الى الثانية؛ لأن الحكم تعلق بذلك الموضع، فلا يزول بخراجه، وقد رأى سعيد بن جبير رجلاً يريد أن يحرم من ذات عرق فأخذ بيده حتى خرج به من البيوت وقطع الوادى فأتى به المقابر، فقال: هذه ذات عرق».

وكذلك يلاحظ على قولصاحب التحقيق والايضاح: «ومن أحرم من رابع فقد أحرم من الميقات»، أن الاحرام قبل الميقات لا يجعل المكان الذى يحرم منه ميقاتاً، قريباً كان ذلك المحرم من الميقات أو بعيداً عنه.

ويرجع هذا الى أن التوقيت حكم توقيفى ثبت بالنصّ الشرعى، فتجاوزه لا يعدو أن يكون اجتهاداً فى مقابل النصّ، وهو محظور عند جميع المسلمين.

وفى المناسك الحديثه لفقهائنا المعاصرين نقرأ أمثال العبارات التالية:

«الثالث: الجحفة: وهى ميقات أهل الشام ومصر ومن عبر على طريقهم

١- ١٨١.

٢- ٢ الصواب: رابعاً.

٣- ٣ الصواب: رابعاً.

٤- ٣٤ / ١١١.

ص: ٩٩

الى مكة من أهل الآفاق الأخر، إذا لم يمر بميقات آخر، أو مرّ به وتجاوزوه ولم يمكنه الرجوع إليه والإحرام منه» (١).
«٣- الجحفة: وهى ميقات أهل الشام ومصر والمغرب، وكلّ من يمر عليها من غيرهم إذا لم يحرم من الميقات السابق عليها» (٢).
«ثالثاً: الجحفة: وهو لأهل الشام ومصر، ومن يمر على طريقهم إلى مكة من أهل الآفاق والأقطار والأمصار الأخرى إذا لم يمروا بميقات آخر، أو مروا بميقات وتجاوزوه بدون إحرام ولم يمكنهم الرجوع إليه والإحرام منه فيتعين عليهم الإحرام من جحفة» (٣).
ويلاحظ على هذه التعبيرات وأمثالها أنها استخدمت مضامين النصوص الشرعية بقولها: (وهو ميقات أهل الشام ومصر والمغرب)، وأضاف عليها ما يعطى المشمولية للحكم بقولها: (وكل من يمر عليها).
واستخدام مضامين النصوص الشرعية كان قديماً من منهج التأليف الفقهي، وبخاصة في كتب الفتوى. وله - فيما أرى - ما يبرره لأن الطرق فى عهود التأليفات الفقهية المبكرة بعد لما تزل على ما هى عليه فى عصر صدور النصوص.
أما الآن وقد تغيرت الطرق واختلفت فلا بد من مراعاة ذلك أثناء صياغة الفتوى؛ لأنها تعطى لعمل العامى، فأهل الشام ومصر والمغرب وغيرهم قد يسلكون طريق الجو فينزلون فى مطار المدينة أو مطار جدة، وقد يسلكون طريق البحر فينزلون فى ميناء جدة، وقد يسلكون طريق البر فيقصدون المدينة المنورة أو يقصدون مكة المكرمة عن طريق ساحل البحر الأحمر مروراً بينبع، والمواقيت لهم تختلف باختلاف هذه الطرق المذكورة، وكذلك باختلاف الرأى الفقهي فى الإحرام من غير المواقيت الخمسة، فعليه لا بد من التعبير بما يناسب الواقع الخارجى المائل وقت تأليف المناسك ونشرها.

١- ١ منهاج الناسكين للسيد الحكيم ط ٦ ص ٣٠.

٢- ٢ مناسك الحج للسيد الخوئى ط ٩ ص ٦٦.

٣- ٣ ص ٤١ من مناسك الحج للسيد الكلبيگانى.

ص: ١٠٠

الطرق الى الجحفة:

تعتبر الجحفة ميقاتاً اختيارياً ل:

١- من يؤم مكة المكرمة عن طريق جدة جواً أو بحراً على رأى من لا يجوز الإحرام من جدة نذراً.

٢- من يؤم مكة عن طريق ينبع بحراً.

٣- من يؤم مكة من أبناء شمالي الجزيرة القاطنين في مدن وقرى وبادى ساحل البحر الأحمر، ومن يمر على طريقهم الساحلى البرى من أبناء الأردن، ومن ينفذ الى الطريق الساحلى المذكور عن طريق الأردن كأبناء العراق وسورية ولبنان وفلسطين وتركيا وايران وغيرهم.

٤- القاطنين في ديار وبادى الحجاز قبل الجحفة وبعد ذى الحليفة، كأهل المسيجيد وبدر ومستورة والابواء ورابع ووادى الفرع، ومن إليهم.

واليك المسالك البرية المؤدية أو المارة بالجحفة:

الطريق القديم الى الجحفة (من المدينة إلى مكة)

خيف نوح - الخيام - الاثيل

المدينة - ذوالحليفة - الحفين - ملل - السیالة - الروحاء

الصفراء بدر - الجحفة

الرويثة

الاثاية - العرج - السقيا - الابواء

ودان - عقبه هرش - ذات الاصافر

الجحفة - الطارف - الدف - عسفان - الجموم (مر الظهران) - مكة

خيمة أم معبد

ص: ١٠١

الطرق الحديثة إلى الجحفة:

- ١- من المدينة إلى مكة (طريق برى):
المدينة المنورة- المسجد- بدر- مستورة- رابع (الجحفة)- القضيمة (المفرق)
خليص - عسفان- الجموم- مكة المكرمة.
القضيمة (المفرق)
ثول- ذهبان- جدة.
- ٢- من وادي الفرع (ابو ضباع) (طريق برى):
أبو ضباع- عقبه هرش- رابع (الجحفة).
- ٣- من بدر (طريق برى):
بدر- مستورة- رابع (الجحفة).
- ٤- من الاردن إلى الحرمين (طريق برى):
- مخططص ١٤٠ من الأصل -

ص: ١٠٢

المراجع:

- ١- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، (القاهرة: م الخيرية ١٣٠٦ هـ) ط ١ «مصورة».
- ٢- التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (الرياض: م الأمن العام ١٣٩٧ هـ) ط ١٧.
- ٣- خريطة الطرق لعام ١٤٠٦ هـ، وزارة المواصلات- المملكة العربية السعودية (الرياض، م الأهلية للأفست ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م).
- ٤- الروض المربع بشرح زاد المستقنع، منصور بن يونس البهوتي (القاهرة: م السلفية ١٣٩٢ هـ) ط ٧.
- ٥- الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير، شرف الدين الحسين بن أحمد السياغي (الطائف: مكتبة المؤيد ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨ م) ط ٢.
- ٦- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م) ط ٣.
- ٧- صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الاكوع، (الرياض: دار اليمامة ١٣٩٧ هـ- ١٩٧٧ م).
- ٨- على طريق الهجرة، عاتق بن غيث البلادي (مكة: دار مكة-) ط ١.
- ٩- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي (بيروت: مؤسسة الأعلمي ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م) ط ١.
- ١٠- فقه السنة، السيد سابق (بيروت: دار الكتاب العربي-).
- ١١- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م).
- ١٢- كتاب الحج من شرح القواعد، الشيخ محمد حسن المظفر (النجف: م النعمان ١٣٧٨ هـ- ١٩٥٩ م).
- ١٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (بيروت: دارصادر-).
- ١٤- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق أحمد الحسيني (بيروت: مؤسسة الوفاء ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م) ط ٢.
- ١٥- المحلى، ابن حزم الأندلسي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (بيروت: دار الآفاق الجديدة-).
- ١٦- معجم البلدان، ياقوت الحموي (بيروت: دارصادر ودار بيروت ١٤٠٤ هـ- ١٩٧٤ م).

ص: ١٠٣

- ١٧- معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادي (مكة المكرمة: دار مكة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ط ١.
- ١٨- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ابو عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ط ٣.
- ١٩- المغنى، ابن قدامة (بيروت: دار الفكر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ط ١.
- ٢٠- مناسك الحج، السيد الخوئي (بيروت: دار الزهراء ١٣٩٩ هـ) ط ٩.
- ٢١- مناسك الحج، السيد الكلبيكاني (- ١٣٩٦ هـ).
- ٢٢- منهاج الناسكين، السيد الحكيم (النجف الأشرف: م النجف ١٣٨٢ هـ) ط ٦.
- ٢٣- الموطأ (مع تنوير الحوالك)، الإمام مالك (بيروت: دار الفكر-).
- ٢٤- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق علي الخاقاني (بغداد: م النجاح ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م).
- ٢٥- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م) ط ٥.
- ٢٦- الينابيع الفقهية: الحج، تحقيق الشيخ علي أصغر مرواريد (طهران: مركز بحوث الحج والعمرة ١٤٠٦ هـ) ط ١.
- ٢٧- زيارات ميدانية، الفضلي.
الهوامش:

المنسك الصغير

ص: ٦٨

المنسك الصغير

للشهيد الاوّل قدس سره تحقيق: محمد الإسلامى اليزدى

بعد حمد الله تعالى على آلائه، وصلاته على أشرف خلقه محمد المصطفى وأحبابه وآله الطاهرين. فهذه رسالة فى واجبات العمرة والحجّ (١) وجيزة مستوفاه (٢) وضعتها تقريباً الى الله تعالى.

وهى فصلان.

[الفصل] الأول فى أفعال العمرة

وهى أربعة:

فأولها: الإحرام

ومعناه: توطين النفس على اجتناب الصيد، والنساء، والطيب على العموم، (والقبض على الأنف عند كريهه الرائحة) (٣)، والاكتحال بالسواد وبما فيه

١- ١ فى نسخة «س» الحجّ والعمرة.

٢- ٢ لم ترد، فى نسخة «ك» وجيزة مستوفاه.

٣- ٣ ما بين القوسين لم يرد فى نسخة «ك» وفى نسخة «س» و «م»: من كرية الرائحة ..

ص: ٦٩

طيب، إخراج الدم، وقصّ الأظفار، وإزالة الشعر، وقطع الشجر والحشيش النابتين في الحرم - إلا في ملكه، وإلا الأذخر وشجر الفواكه - والكذب، والحلف بالله، وقتل هوائم الجسد، ولبس المخيط للرجال، ولبس الخُفَّين وما يستر ظهر القدم، ولبس الخاتم للزينة، والحُلَى للمرأة إلا أن يكون مُعتاداً، فيحرم عليها إظهاره للزَّوج، والحناء للزينة، وتغطية الرأس للرجل، وتغطية الوجه للمرأة، والتظليل للرجل سائراً، ولبس السلاح بعد التلبية، ولبس ثوبيه إلى (١) أن يأتى بالمحلل من الأفعال.

وكيفيته: أن ينوى من الميقات بعد لبس ثوبي الإحرام. ونيته: «أحرم بالعمرة المتمتع بها إلى الحج، حج الإسلام، حج التمتع، وأبى التلبيات الأربع، لعقد هذا الإحرام، لوجوب الجميع، قربة إلى الله».

«لَبَيْكَ اللَّهُمَّ لَبَيْكَ، لَبَيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ وَالْمَلِكَ لَكَ، لَشْرِيكَ لَكَ لَبَيْكَ.»
وفي هذه النية قيود:

الأول: «أحرم» وهو القصد إلى الفعل المذكور آنفاً.

الثاني: «بالعمرة» وهي عبارة عن زيارة البيت الحرام محرماً للطواف والسعى.

الثالث: «التمتع بها» أي المتوصل (٢) بها إلى الحج، وبه تخرج العمرة المفردة، كما خرج بالعمرة: الحج.

الرابع: «إلى حج الإسلام» وبه تخرج العمرة المتمتع بها إلى حج النذر وشبهه.

الخامس: «حج التمتع» وبه تخرج ما يتمتع بها إلى حج الإسلام حج القران أو حج الأفراد، فإنه وإن لم يكن مشروعاً إلا أنه متصور.

السادس: «لوجوب الجميع» معناه: أفعال هذه الأفعال لكونها واجبة؛

١-١ في نسخة «ك» الّا

٢-٢ في نسخة «ن» الموصل.

ص: ٧٠

للطف في تكليف عقلي وبه يخرج الندب.

السابع: «قربة إلى الله» أي: اوقع هذه الأفعال لكونها واجبةً للتقرب بها إلى رضا الله تعالى؛ ولكونه أهلاً أن يُعبد بهذه العبادة.

ومعنى قوله: «لبيك» إجابة بعد إجابة لك يا رب، وإخلاصاً بعد إخلاص، وإقامة على طاعتك بعد إقامة.

ومعنى «اللهم»: يا الله.

ويجوز كسر «إن» وفتحها، والكسر أجود؛ لعموم الإثبات لمعنى التلبية بالنسبة إلى الحمد والنعمة وإلى غيرهما بسببه (١) (٢).

وفي هذه التلبية إشارة إلى إجابة نداء داعي الله الذي نادى به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: «وأذن في الناس بالحج يأتوك

رجالاً» (٣).

وإشارة إلى الإخلاص في الطاعة وإلى تنزيهه تعالى عن الشرك (٤).

وإلى الإقامة على طاعة الله عز وجل.

وثانيها: الطواف

وهي حركات دورية حول البيت مخصوصة، يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، التأسي بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو صلاة إلا في تحريم الكلام. ومندوبة أفضل من الصلاة المندوبة للمجاور.

وواجباته أحد عشر:

الأول: النية وهي: «أطوف بالبيت سبعة أشواط طواف العمرة المتمتع بها إلى الحج - حج الإسلام حج التمتع - لوجوبه، قربة إلى الله»

وقيوده تظهر من القيود الأولى.

١ - ١ كذا في نسخة «س» وفي هامش «ن»: بنسبته وهو تحريف ظاهراً. والمراد: أن كسر «إن» يسبب ان تكون التلبية ثابتة بالنسبة إلى الحمد والنعمة وغيرهما من موجبات التلبية.

٢ - ٢ وفي نسخة «ك»: وغيرهما زيادة «أو إلى الحمد والنعمة بسببه».

٣ - ٣ سورة الحج: الآية ٢٧.

٤ - ٤ في نسخة «م»: التشرية.

ص: ٧١

الثانى: إيقاعها عند ابتدائه، وهو جعل أول جزءٍ من مقاديم البدن عند أول جزءٍ من الحجر الأسود مما (١) يلي الركن اليماني إما محققاً (٢) أو بحسب غلبة الظن.

الثالث: الحركة عقبيها بلافضل، وهي الشروع فى الطواف.

الرابع: استدامتها حكماً حتى يفرغ، ومعناه البقاء على ذلك العزم الذى عزم عليه ابتداءً.

ولما كان الباقي لا يحتاج إلى تأثير عند الأكثر كان معنى البقاء عليها أن لا يأتى فى أثناءها بما يُنافيها، كتيه القطع للطواف أو الزيادة (٣) أو جعله طواف الحج مثلاً، أو لحج النذر، أو العمرة المفردة، أو جعله مندوباً، إلى غير ذلك من المنافيات.

الخامس: جعل البيت على اليسار.

السادس: جعل المقام على اليمين.

السابع: إدخال الحجر فى الطواف.

الثامن: التدانى من البيت بحيث لا يخرج فى كل جانب عن بعد (٤) المقام.

التاسع: خروجه بجميع بدنه عن البيت.

العاشر: إكمال سبعة أشواطٍ مبدؤها من الحجر وختامها الحجر من حيث ابتداء.

الحادى عشر: حفظ العدد، ولو شك فى النقيصة بطل، وكذا لو شك فى الزيادة قبل بلوغ الحجر.

و شروطه خمسة:

الأول: طهارة البدن والثوب من النجاسة، وإن عفي عنها فى الصلاة

الثانى: الطهارة من الحدث، أو حكمها كالمتميم.

١-١ فى نسخة «ك»: الى بدل مما

٢-٢ فى نسخة «س» و «ك»: تحقيقاً.

٣-٣ فى نسخة «ك» و «م»: الزيا به.

٤-٤ فى هامش «ن»، حد.

ص: ٧٢

الثالث: ستر العورة التي يجب سترها في الصلاة.

الرابع: الختان للرجل المتمكن منه.

الخامس: الموالاة، وهي أن تكمل أربعة أشواط منه، فلو قطعه قبل إكمالها لعذر أو غيره، استأنف.

ولازمه الركعتان، وهي كالصلاة اليومية، ومحلها خلف المقام، ووقتها بعد الطواف.

وتيتها: «أصلى ركعتي طواف عمره الإسلام المتمتع بها إلى حج الإسلام- حج التمتع- أداءً لوجوبهما، قربه إلى الله».

ويتخير فيهما بين الجهر والإخفات، والأفضل الجهر ليلاً، والإخفات نهاراً.

وثالثها: السعي

وهي حركات مخصوصة من الصفا إلى المروة. ويجب إيقاعه بعد الطواف في يومه، فلو أخره إلى الغد لعذر، أثم وأجزء.

وواجباته بعد ذلك اثنا عشر:

الأول: أن ينوي على الصفا (١) بأن يقارن أول جزء منه أول جزء منه (٢). «أسعى سبعة أشواط للعمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام-

حج التمتع- لوجوبه، قربه إلى الله».

الثاني: الاستمرار عليها حكماً.

الثالث: أن يشرع في الحركة عقيبها بلا فصل.

الرابع: الذهاب في الطريق المعهودة.

الخامس: البدء بالصفا.

السادس: الختم بالمروة، بأن يُلصق أصابع قدميه بأول جزء منه (٣)، أو

١- ١ في نسخة «ك» زياده: اما.

٢- ٢ في نسخة «ك» زياده او اي جزء منه.

٣- ٣ في نسخة «ن»- اما بان يقارن باول جزء منه اي جزء منه او يصعد عليه.

ص: ٧٣

بجزء منه، فإذا عاد ألصق عقبه بأول (١) جزء منه.

السابع: الإحاطة بالمسافة علماً ولو إجمالاً قبل إيقاع النية؛ لامتناع (٢) توجه القصد إلى المجهول المطلق.

الثامن: إكمال السبعة، يُعدّ ذهابه شوطاً وعوده آخر.

التاسع: الموالاة المذكورة في الطواف احتياطاً.

العاشر: استقبال المطلوب بوجهه، فلو مشى مستديراً بطل.

الحادى عشر: إيقاعه بعد الركعتين وبعد الطواف.

الثانى عشر: حفظ العدد، فلو شكّ الشكّ المذكور فى الطواف بطل.

رابعها: التقصير

وهو قطع بعض شعر الرأس أو قصّ بعض الأظافر.

وبه يتحقّق الإحلال عن العمرة.

ونيته: «أقصر للإحلال من إحرام العمرة المتمتع بها إلى الحجّ - حجّ الإسلام حجّ التمتع - لوجوبه قربة إلى الله».

الفصل الثانى: فى أفعال الحجّ

وهى خمسة أبواب.

الأول: الإحرام به

ومعناه وواجباته وكيفيته تقدمت.

ولافرق بينهما - ألبتة - فى شىء إلا أنه ينوى: «أحرم إحرام حجّ الإسلام حجّ التمتع».

١- ١ فى نسخة «ك» بأخر.

٢- ٢ وفى «ن» نسخة بدل: «لعدم».

ص: ٧٤

«وأُتِيَ التلبيات الأربع لعقد إحرام حج الإسلام،- حج التمتع- لوجوب ذلك كله، قربه إلى الله» إلى آخره
الثاني: الوقوف بعرفة

وهو الكون بها من زوال الشمس يوم التاسع من ذي الحجة إلى غروبها، وحدها من نمره إلى ثوبه إلى ذي المجاز إلى عرفه إلى الأراك.

و يجب فيه النية: «أقف بعرفة من هذه الساعة إلى غروب الشمس في حج الإسلام- حج التمتع- لوجوبه، قربه إلى الله». و مثله الوقوف بالمشعر وحده من المأزمين إلى الحياض إلى وادي مُحَسَّر.

ووقته ليلاً من غروب الشمس ليلة العاشر إلى طلوع فجره. واختياره التام من طلوع فجر العاشر إلى طلوع شمسهِ. ونيته: «أقف بالمشعر الحرام من هذه الساعة إلى طلوع الشمس في حج الإسلام- حج التمتع- لوجوبه، قربه إلى الله». ونية المبيت بالمشعر: «أبيت هذه الليلة بالمشعر الحرام في حج الإسلام- حج التمتع- لوجوبه، قربه إلى الله». الثالث: إتيان منى.

ويجب فيها: الرمي لجمرة العقبة بسبع حصيات يوم النحر بعد طلوع الشمس إلى غروبها. ونيته: «أرمي هذه الجمرة بسبع حصيات في حج الإسلام- حج التمتع- لوجوبه قربه إلى الله». ويجب فيه: إصابة الجمرة بفعله، بإلقاء الحصاة عليها بما يصدق عليه

ص: ۷۵

اسم الرمی.

وكون الحصى من الحرم غير مرمی بها.

والترتيب، حيث يجب رمی الثلاث، يبدأ ابتداء بالأولى، فالوسطى، فجمرة العقبة. ويحصل برمی أربع لاعامداً.

والتتابع فى رمی السبع فى إصابتها.

ولا يشترط الموالة.

والجمرة اسم لتلك البنية، فلو زالت ثم جددت رماها.

ثم يجب عليه ذبح الثنى من الإبل، أو البقر، أو المعزى، أو جذع من الضأن، بشروط تامة خلتها، وعدم هزاله.

ومحلّه: منى وحدها من العقبة إلى وادى مُحَسَّر.

ووقته: يوم النحر، فإن فات ذبح طول ذى الحجة.

ونيته: مقارنة لأول جزء من الذبح. والنية: «أذبح هذا الهدى، فى حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربة إلى الله».

ثم يجب أن يهدى قسماً منه، ويتصدق بقسم، ويأكل قسماً آخر.

والنية: «أهدى، أو أتصدق، أو آكل من هذا الهدى فى حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربة إلى الله».

ثم يجب بعدها الحلق أو التقصير من الشعر، كل منها واجب مخير، وليس أحدهما بدلاً عن صاحبه.

وبه يتحقق التحلل من إحرام الحج إلّا من الطيب، والنساء، والصيد.

ونيته: «أحلق رأسى، أو أفصر للإحلال من إحرام الحج الإسلام - حج التمتع لوجوبه، قربة إلى الله» مقارنة لأول جزء منه

ص: ٧٦

الرابع: إتيان مكة للطواف والسعي وطواف النساء.

وكيفيتها كما تقدم، إلفى النية فإنه ينوى:

«أطوفُ سبعةً أشواط طواف حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله.

«أصلى ركعتي طواف حج الإسلام - حج التمتع - أداءً، لوجوبهما، قربةً إلى الله».

«أسعى سبعةً أشواط سعي حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله»

«أطوفُ سبعةً أشواط طواف النساء في حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله».

«أصلى ركعتي طواف النساء في حج الإسلام - حج التمتع - أداءً، لوجوبهما، قربةً إلى الله».

الخامس: العود إلى منى.

وذلك بعد قضاء هذه الأفعال، وتحلله من جميع ما أحرم منه.

ولا يجوز تأخير هذه الأفعال عن الحادى عشر اختياراً، فإثم، وتجزى.

والعود واجبٌ للمبيت بها ليلاً، ورمى الجمار بها نهاراً.

وتية المبيت: «أبيت هذه الليلة بمنى في حج الإسلام - حج التمتع - لوجوبه، قربةً إلى الله».

وتية الرمي ووقته كما تقدم.

فإن فاته رمى يوم أو حصاء، قضاها من الغد بعد طلوع الشمس مقدماً على الحاضرة.

ص: ٧٧

ونيتها: «أرمى هذه الجمره بسبع حصيات أو بحصاه فى حج الإسلام - حج التمتع - قضاء، لوجوبه، قربه إلى الله». وإن كان نائباً عن غيره، أضاف الى جميع ما ذكرناه عند كل نية: «نيابةً عن فلان بن فلان لوجوبه عليه وعلى، قربه إلى الله». فينوى فى الإحرام مثلاً: «أحرم بالعمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام - حج التمتع - نيابةً عن فلان بن فلان لوجوب ذلك عليه وعلى، قربه إلى الله»

وكذا فى باقى الأفعال.

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين

نهاية النسخة المرعشيه

«بقلم مالکها الفقير إلى ربه الغنى: محمد بن حسن بن أحمد بن فرج الأوالى، فى شهر شوال سنة (٩٤٦)

والحمد لله حقّ حمده وصلى الله على محمد وآله وسلم. (١) وفى هامشه بلاغ هذا نصّه:

«بلغ تصحيحاً ومقابله بحسب الجهد والطاقيه، والحمد لله حقّ حمده وصلى الله على محمد وآله»

وفى نهاية نسخة ملك العامة ما هذا نصّه:

١-١ يلاحظ أن كاتب هذه الرسالة هو كاتب المجموعه كلها بما فيها الرسالة الأولى «المنسك الكبير» وهو المجاز من قبل السيد إبراهيم الحسينى البحرانى عند قراءة المجموعه عليه.

ص: ٧٨

- المخطوط -

ص: ٧٩

مصادر التحقيق والتقديم

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- «أعيان الشيعة». للسيد محسن الامين العاملي / اعداد السيد حسن الامين دارالتعارف للمطبوعات بيروت.
- ٣- «أمل الآمل في علماء جبل عامل». للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي / اعداد السيد احمد الحسيني / دار الكتاب الإسلامي قم.
- ٤- «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار». للمولى محمد باقر المجلسي / دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٥- «تهذيب الأحكام». للشيخ أبي جعفر الطوسي / اعداد السيد حسن الموسوي الخراسان / دار الكتب الإسلامية طهران
- ٦- «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» للشيخ الصدوق / اعداد علي أكبر غفاري / نشر صدوق.
- ٧- «حاشية الإرشاد». للشهيد الثاني / تحقيق رضا مختاري / مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. قم.
- ٨- «حياة الإمام الشهيد الأول». للشيخ محمد رضا شمس الدين / مطبعة الغرى الحديثه النجف الاشرف.
- ٩- «الدروس الشرعية في فقه الإمامية». للشهيد الأول محمد بن مكي العاملي / انتشاراتصادقي - قم.
- ١٠- «الذريعة إلى تصانيف الشيعة». للشيخ اقا بزرك الطهراني / دارالأضواء - بيروت.
- ١١- «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات». للسيد محمد باقر الخوانساري / اعداد أسدالله اسماعيليان / نشر اسماعيليان - قم.
- ١٢- «شفاء الصدور في شرح الزيارة» الميرزا أبي الفضل بن أبي القاسم الكلاتري النوري الطهراني / باهتمام الشيخ علي المحلاتي الحائري / بمبئي /
- ١٣- «شهداء الفضيلة». للشيخ عبدالحسين أحمد الأميني / دارالشهاب - قم.
- ١٤- «العروة الوثقى» للشيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي / دارالكتب الإسلامية - طهران.
- ١٥- «علل الشرائع». للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي / تقديم السيد محمدصادق بحر العلوم / المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.
- ١٦- «غاية المراد في شرح نكت الإرشاد». للشهيد الأول محمد بن مكي العاملي تحقيق رضا المختاري / مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - قم.

ص: ٨٠

- ١٧- «الكافي». لأبي جعفر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي / تحقيق علي أكبر الغفاري / دارصعب ودارالتعارف بيروت (بالاوفست عن طبعه دارالكتب الاسلاميه طهران)
- ١٨- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل». لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي / دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان.
- ١٩- «الكنى والألقاب». للشيخ عباس القمي / المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.
- ٢٠- «لسان العرب المحيط» للعلامة ابن منظور / قدم له العلامة للشيخ عبدالله العلايلي وأعادته يوسف الخياط / دارالجبل ودارلسان العرب - بيروت.
- ٢١- «لؤلؤة البحرين» للشيخ يوسف بن أحمد البحراني / تحقيق السيد محمدصادق بحر العلوم / مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم.
- ٢٢- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر / للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور / تحقيق أحمد راتب حموش، محمد نساجي العمر / دارالفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ٢٣- «مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل» للحاج الميرزا حسين النوري / اسماعيليان. قم.
- ٢٤- «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». لأحمد بن محمد بن علي الفيومي / دارالكتب العلميه - بيروت.
- ٢٥- معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر» للسيد محسن العاملي / دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- ٢٦- «معجم مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني / تحقيق نديم مرعشلي / دارالكتاب العربي - بيروت.
- ٢٧- «مقدمه ای بر فقه شيعه کلیات و کتابشناسی» للسید حسین مدرس طباطبائی / ترجمه محمد آصف حکمت / نشر بنیاد پژوهشهای اسلامی - مشهد.
- ٢٨- «المقنعة» للشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن النعمان البغدادي / مؤسسه النشر الإسلامی.
- ٢٩- «من لا يحضره الفقيه». للشيخ أبي جعفر الصدوق / اعداد السيد حسن الموسوي الخراساني / دارالكتب الإسلاميه - طهران
- ٣٠- «نهج البلاغه» وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضى بن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام - اعداد الدكتور صبحي الصالح / الطبعة الاولى - بيروت.
- ٣١- «وسائل الشيعه» للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي / تحقيق مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم.

ص: ٨١

الهوامش:

الطواف ومسائله على ضوء المذاهب الاسلامية

ص: ١٠٥

الطواف ومسائله على ضوء المذاهب الاسلامية

محمد إبراهيم الجناتي

تحقيق الكلام في الطواف يتوقف على ذكر الأمور التالية:

١- أنواع الطواف.

٢- عدد الطواف.

٣- شرائط الطواف الخارجية.

٤- شرايط الطواف الداخلية.

٥- صلاة الطواف.

٦- مستحبات الطواف.

٧- أحكام الطواف.

٨- مكروهات الطواف.

١- أنواع الطواف

أنواع الطواف في الحج وهي عبارة عما يلي:

ألف- طواف القدوم.

ب- طواف الزيارة.

ج- طواف الوداع.

د- طواف النساء.

ألف- طواف القدوم:

أما الكلام في الأول فنقول: إن

ص: ١٠٦

طواف القدوم يفعلُه الآفاقي (١) حين يدخل مكة ويختص به، وقد اتفقوا على عدم ثبوته للمكي وأن عليه فقط طواف الإفاضة، وكيف كان فهو أشبه بركعتي صلاة التحية للمسجد، ومن هنا سمي طواف التحية، كما أنه سمي طواف الورود، وهذا الطواف يكون تحية للبيت لا للمسجد، وهو مستحب عند جميع فقهاء المذاهب، لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طاف حين قدم مكة (٢)، ولذلك قالوا: إن ترك هذا الطواف لا يوجب شيئاً على تاركه، ولكن المالكية خالفوا في ذلك وقالوا:

إن على تاركه دماً على ما حكى عنهم.

وكيف كان فقد ذهب جمهورهم والإمامية على أنه لا يجزى عن طواف الزيارة إذا نسيها، ولكن ذهب طائفة من أصحاب مالك أنه يجزى عنها وكأنهم رأوا أن الواجب هو طواف واحد (٣).

ب- طواف الزيارة:

اتفقوا على أن طواف الزيارة ركن يفوت الحج بفواته، وقالوا: إنه المعنى بقوله تعالى: «ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق» (٤).

ويسمى هذا الطواف بطواف الزيارة وطواف الإفاضة، وطواف الحج أيضاً، ويأتي به الحاج سواء كان مكياً أو آفاقياً بعد أعمال منى التي يأتي تفصيلها، ولكل واحد من هذه الأسماء وجه.

أما وجه تسمية هذا الطواف بطواف الزيارة فلأجل أن الحاج يترك منى بعد أن يأتي بأعمالها، ويذهب إلى مكة ويزور البيت من أجله.

أما وجه تسمية هذا الطواف بطواف الإفاضة فلأجل أن الحاج يفيض، أي يرجع من منى بعد إتيانه بمناسكه الثلاثة إلى مكة لأجل الإتيان بأعمال مكة التي منها هذا الطواف.

أما وجه تسمية هذا الطواف بطواف الحج فلأجل أنه ركن من أركانه عند فقهاء جميع المذاهب

١- ١ المراد من الآفاقي غير المكّي.

٢- ٢ كفاية الأختيار ١: ٦٣٩.

٣- ٣ بداية المجتهد ١: ٣٤٣.

٤- ٤ سورة الحج: ٢٩.

ص: ١٠٧

الإسلامية وأنه يبطل بتركه.

ج- طواف الوداع:

وهو آخر ما يفعله الحاج الآفاقي عند ارادة الخروج من مكة إلى بلاده، وقد اختلفوا في حكمه:

قالت الإمامية: إنه مستحب وتركه لا يوجب شيئاً، وتبعهم المالكية (١).

وقالت الحنفية والحنابلة بوجوبه (٢) إذا تركه الحاج يلزمه بنظرهم دم فقط، أى يضحي (٣) ولا يبطل حجّه بتركه؛ لعدم كونه من أركان الحج فيجبر تركه بدم.

وللشافعي فيه قولان: أحدهما:

لزوم الدم بتركه. وثانيهما: عدم لزوم الدم بتركه (٤) وكيف كان فهو لا يجزى عند الإمامية عن طواف الزيارة لو نسيها.

وأما عند بقية المذاهب فعلى ما حكاه ابن رشد في كتابه بداية المجتهد أنه يجزى به إن لم يكن طاف طواف الزيارة؛ لوقوع طواف الوداع في وقت طواف الزيارة فيجزي عنه، وهذا بخلاف طواف القدوم لوقوعه في غير وقت طواف الزيارة فلا يجزى.

د- طواف النساء:

قالت الإمامية بوجوبه في الحج بشتى أنواعه تمتعاً كان أو قراناً أو إفراداً وقالوا أيضاً: بوجوبه في العمرة المفردة لا عمرة التمتع.

وأما علماء السنة فقد اتفقوا على عدم ثبوت طواف النساء في الحج (٥) ويقولون: إن النساء تحلّ بعد طواف الزيارة فيه، وليس بعدها طواف آخر، كما أنهم اتفقوا على أنه ليس على المعتمر إلّا طواف القدوم، وكيف كان فهذا الطواف واجب في الحج عند الإمامية، وقالوا: لو ترك الحاج هذا الطواف حرمت عليه النساء، حتى العقد إن كان الحاج رجلاً حتى يفعله بنفسه أو بنائبه وحرّم عليها الرجال إن كانت امرأة إلى أن تفعله بنفسها أو بنائبها، ولو مات قبل أن يؤديه أو يستنّب يقضى عنه وليه بعد الموت بل

١-١ الفقه على المذاهب الأربعة، وفقه السنة.

٢-٢ الفقه على المذاهب الخمسة.

٣-٣ الأم ٢: ١٨٠، والمجموع ٨: ٢٥٤، والوجيز ١: ١٢٣، ومغنى المحتاج ١: ٥١٠، والسراج الوهاج ١٦٦، والهداية ١: ١٦٦.

٤-٤ الأم ٢: ١٨٠، والمجموع ٨: ٢٥٤، والوجيز ١: ١٢٣، ومغنى المحتاج ١: ٥١٠، والسراج الوهاج ١٦٦، والهداية ١: ١٦٦.

٥-٥ كتاب الخلاف ٢/٣٦٣.

ص: ١٠٨

قالوا: لو حجّ الصبي المميز ولم يأت به ولو سهواً وجهلاً فلا تحل له النساء بعد البلوغ ولا العقد عليهن حتى يؤدي أو يستتبع للنصوص. كما أن الامامية يقولون:

بوجوب طواف النساء وعدم حلية النساء بدونه وإن كان قد طاف طواف الوداع؛ لأن طواف الوداع عندهم مستحب، واجزاءه عن الواجب محتاج إلى دليل معتبر ولم يثبت ذلك.

وأما خبر اسحق بن عمار عن أبي عبد الله أنه قال: لولا ما من الله به على الناس من طواف الوداع لرجعوا إلى منازلهم، ولا ينبغي لهم أن يمسوا نساءهم، وإن كان يدل بظاهره على كفايته عن طواف النساء، وافتي به على بن بابويه على ما حكى عنه في الجواهر، ولكن مع ذلك نوقش فيه:

أولاً- بضعف السند إلاً أن يقال: إن السند ليس له موضوعية بل إنما يكون له طريقيه فعلية إن كان متن الحديث ذا اتقان يكشف عن صدوره فعلم باعتباره.

ثانياً- بعدم امكان معارضته لما دل على وجوب طواف النساء في الحج.

ثالثاً- باختلاف نسخه لأنه ورد في نسخة الوسائل (طواف الوداع) وفي نسخة الكافي (طواف النساء).

ومهما يكن من أمر فالمسألة تحتاج الى الدقة والتأمل.

وهنا أمور ينبغي لنا ذكرها وهي:

الأول- لا ينبغي الإشكال في لزوم طواف النساء على الرجال والنساء وهو المعروف بين الإمامية بل في الجواهر: «بلا خلاف معتد به أجده فيه، بل عن المنتهى والتذكرة الإجماع عليه في الجملة ويدل عليه- مضافاً الى الأصل وإطلاق قوله تعالى: «فلا رث (١) ولا فسوق ولا جدال في الحج» وما دل على حرمة الرجال عليها بالإحرام، وقاعدة الإشتراك إلا فيما استثنى- ذيل حديث إسحاق بن

١- ١ والرث هو الجماع بالنص الصحيح الوارد في تفسيره.

ص: ١٠٩

عمار المتقدم (... لا تحلّ لهم النساء حتى يرجع فيطوف بالبيت أسبوعاً آخر بعدما سعى بين الصفا والمروة وذلك على النساء والرجال واجب) (١) والظاهر أن هذا الذيل جزء للحديث، ويدل عليه أيضاً صحيح على بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخصيان والمرأة الكبيرة؛ أعليهم طواف النساء؟ قال: نعم عليهم الطواف كلهم (٢) وما رواه حفص بن البختري عن العلاء بنصيح وعبد الرحمن بن الحجاج وعلى بن رئاب وعبد الله بن صالح كلهم يروونه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المرأة المتمتع إذا قدمت مكة، ثم حاضت تقيم ما بينها وبين التروية، فإن طهرت طافت بالبيت وسعت بين الصفا والمروة، وإن لم تطهر إلى يوم التروية اغتسلت واحتشت، ثم سعت بين الصفا والمروة، ثم خرجت إلى منى، فإذا قضت المناسك وزارت بالبيت طافت بالبيت طوافاً لعمرتها، ثم طافت طوافاً للحج، ثم خرجت فسعت، فإذا فعلت ذلك فقد أحلت من كل شيء يحلّ منه المحرم إلا فراش زوجها فإذا طافت طوافاً آخر حلّ لها فراش زوجها (٣).

الثاني: لا ينبغي الإشكال أيضاً في ثبوت طواف النساء على الصبيان وهو المعروف بين علماء الإمامية لشمولهم إطلاق الأدلة كشموله للبالغين - على ما قرر في محله - بل عن المنتهى وغيره الإجماع على وجوبه على الصبيان.

الثالث: أن الحكم المذكور وهو وجوب طواف النساء على الصبيان - لا يختص بالصبي المميز بل يعم الصبي غير المميز إذا أحرم به عليه، وإلا لم يصح إحرامه، فلا يفيد الحرمة، فيطوف الولي بالصبي غير المميز ويستتيب في الصلاة عنه؛ لأنه يفهم من الأخبار الواردة في حج الصبي المروية في الوسائل أنه يقوم بما يمكن قيامه - كالطواف والسعي والوقوف ونحوها - ويفعل الولي عنه بما لا يمكن أن يقوم به

- ١-١ الوسائل ج ٢ الباب ٢ من ابواب الطواف الحديث ٣ و ١.
- ٢-٢ الوسائل ج ٢ الباب ٢ من ابواب الطواف الحديث ٣ و ١.
- ٣-٣ الوسائل ج ٢ الباب ٨٤ من ابواب الطواف الحديث ١.

ص: ١١٠

- كالتلبية- ومن أراد الاطلاع على أخبار الباب فليراجع الكتاب المذكور.

وأما الصبي المميز فيطوف ويصلي مباشرة بنفسه، وكيف كان فلو تركه ولم يطف الولي بغير المميز أو تركه المميز بقى على حكم إحرامه إلى أن يطوف بعد بلوغه، أو يستناب حيث يجوز له ذلك- كما صرح به غير واحد- لاطلاق أدلة التحلل به واحتمال أن إحرامه لا- يقتضى حرمة النساء؛ لأنه تمريني لا تشريعي في غير محلّه، لظهور الأدلة في كونه بحكم إحرام البالغ كظهوره في كونه كذلك بالنسبة الى سائر المحرمات.

الرابع: لا ينبغي التردد في لزوم طواف النساء على الخنثى وهو المعروف بين الفقهاء. أما الخنثى المشكل فلم يرد دليل خاص بالنسبة إليها في طواف النساء لكنها بناء على عدم كونها طبيعةً ثالثةً فلا إشكال في البين، وأما بناء على كونها طبيعةً ثالثةً فيكفي في وجوبه عليها إطلاق مثل قوله تعالى: «وليطوفوا بالبيت العتيق» المفسر في بعض الأخبار بطواف النساء وهو ما رواه أحمد بن محمد بن محمد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: في قول الله عز وجل. «وليطوفوا بالبيت العتيق» قال: طواف الفريضة طواف النساء (١) وما رواه حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل:

«وليطوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق» قال: طواف النساء (٢).

الخامس: الكلام في أنه هل يكون وقت طواف النساء وقت طواف الحجّ أولاً بل هو موسع؟ وقع الخلاف بين الأصحاب في ذلك، قال في كشف اللثام: «لم ينصّ أكثر الأصحاب على آخر وقته وظاهرهم أنه كطواف الحجّ» وفي الكافي- على ما هو المحكى عنه- (إن آخر وقته آخر أيام التشريق) وفي المبسوط: (يطوف للنساء متى شاء من مقامه بمكة، ويجوز أن يريد مقامه بها قبل العود الى منى) قد يقوى في النظر جواز الإتيان بطواف النساء بعد ذى

١-١ الوسائل ج ٢ الباب ٢ من ابواب الطواف الحديث ٤ و ٥.

٢-٢ الوسائل ج ٢ الباب ٢ من ابواب الطواف الحديث ٤ و ٥.

ص: ١١١

الحجة لاقتضائه إطلاق روايات المقام؛ لأن الروايات المأثورة عنهم في المقام غير متعرضة لتحديد آخر وقته. إن قلت: إن قوله تعالى: «الحجّ أشهر معلومات» يمنع عنه، قلت: إنه لا يمنع عنه؛ لعدم كون طواف النساء جزء للحج، ولذا لا يحكم بفساد الحج بتركه - على ما حقق في محله - ودل عليه بعض الأخبار (١).
 إن قلت: إن مقتضى أخبار البيان كونه من واجبات الحج، وإن لم يكن تركه موجباً لفساد الحج، فعليه - إذا كان من واجباته وأفعاله - تعيين الإتيان به في أشهر الحج لظاهر الآية المتقدم على إطلاق الاخبار.
 قلت: إنه وإن كان كذلك إلا - أن مقتضى ظاهر بعض الأخبار الذي اشرنا اليه آنفاً عدم كونه من أفعال الحج - فعليه لا دليل على توقيت وقته بذى الحجة، لعدم كونه خالياً عن الإشكال مضافاً الى أنه يمكن أن يقال:
 عدم طواف النساء من الواجبات في الحج بل من واجبات الحج ولذا لو تركه عمداً لا يوجب بطلان الحج فتدبر.
 ٢- عدد الطواف:

ألف - عدد طواف الحج في حج الأفراد:

اتفق فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على لزوم طواف واحد على المفرد للحج، وخالفهم فقهاء الإمامية حيث ذهبوا إلى أن عليه طوافين، طواف الحج وطواف النساء للأدلة الخاصة عندهم.
 ب- عدد طواف الحج في القران:
 وقع الخلاف بين فقهاء المسلمين في عدد الطواف في حج القران، فقال محمد بن إدريس الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو ثور: إن عليه طوافاً واحداً، وهو مذهب عبدالله بن عمر وجابر (٢).
 وقال أبو حنيفة عليه اثنان (٣)،

١- ١ الوسائل ج ٢ الباب ٥٩ من ابواب الطواف.

٢- ٢ بداية المجتهد ١: ٣٤٤.

٣- ٣ بداية المجتهد ١: ٣٤٤.

ص: ١١٢

واختاره الثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى (١) واستدلوا لذلك بأنه قارن بين الحج والعمرة وأنهما نسكان من شرط كل منهما إذا انفرد طوافه وسعيه فوجب أن يكون الأمر كذلك إذا اجتمعا.

وقالت الإمامية: إن عليه طوافين، طواف الزيارة وطواف النساء، وكذا في عمرته المفردة.

ج- عدد طواف الحج في حج التمتع:

إن الإمامية يوجبون على من يحج حج التمتع ثلاثة أطوفة:

١- طواف للعمرة، وهو ركن منها، فلو أخل به يحكم بطلانها.

٢- طواف للحج، وهو ركن منه، فلا يصح الحج بدون الطواف.

٣- طواف للنساء، وهو واجب في الحج، وليس ركناً من أركانه، فالحج بدونهن صحيح، ولكن لم تبرأ ذمته من هذا الواجب بالخصوص إلا بعد إتيانه، ولا تحلل له النساء بدونه أيضاً.

وأما أهل السنة فاتفقوا على أن من تمتع بالعمرة إلى الحج أن عليه طوافين:

أحدهما- للعمرة.

وثانيهما- للحج في يوم العيد بعد أعمال منى، وينكرون طواف النساء ولا يرونه من واجبات الحج.

٣- شرائط الطواف الخارجية:

وهي أمور:

الأول- الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، فلا يصح من الجنب، ولا من الحائض والنفساء لما روى أن النبي صلى الله عليه وآله لما أراد أن يطوف توضعاً ثم طاف (٢) وقال: خذوا عني مناسككم (٣) وقال: الطواف بالبيت صلاة إيمان الله أحل فيه النطق (٤) وقال: لا صلاة إلا بطهور (٥).

قالت به الإمامية والمالكية والشافعية والأوزاعية (٦) وكذلك الحنابلة، وخالفت فيه الحنفية حيث

١- ١ بداية المجتهد ١: ٣٤٤.

٢- ٢ صحيح البخارى ٢: ١٨٣، وسنن البيهقي ٥: ٨٦.

٣- ٣ فتح العزيز ٧: ٣٠٣، وعوالى اللئالى ١: ٢١٥، ورواه مسلم في صحيحه ٢: ٩٤٣، والنسائي في سننه ٥: ٢٧٠ بلفظ قريب منه.

٤- ٤ سنن الدارمى ٢: ٤٤، وسنن البيهقي ٥: ٨٥، نحوه ولكن باختلاف يسير.

٥- ٥ التهذيب ٢: ١٤٠، والفقهاء ١: ٢٢، وفي الصحاح الست بلفظ لا صلاة بغير طهور.

٦- ٦ الفقه على المذاهب الأربعة، وبداية المجتهد ١: ٣٤٣، والمنهاج للنووي، والسراج الوهاج للشيخ الزهري ١٥٨، وكفاية الأخيار ١:

١٣٦، والمنهاج القويم ٤١٨، ومغنى المحتاج ١: ٤٨٥، والأم ٢: ١٧٨، ومختصر المزنى ٦٧، وبلغه السالك ١: ٢٧٤.

ص: ١١٣

ذهبوا إلى عدم اشتراط الطهارة من الحدث الأصغر والأ-كبر فيصحة الطواف، وأنه يجزى بدونها، ولكن يجبر بدم، وقالوا: لو كان محدثاً بالحدث الأصغر وطافصح طوافه ولزمه شاء، وإن طاف جنباً أو حائضاًصح ولزم بدنه، ويعيده مادام بمكة (١).
واستدل للقول الأول بعدة أخبار، منها:

١- ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأسماء بنت عميس التي كانت حائضاً: أصنعى ما يصنع الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت (٢).

٢- ما روى عنصلى الله عليه وآله وسلم أنه لما أراد ان يطوف توفياً ثم طاف وكان يقول: خذوا عنى مناسككم.

٣- ما روى عنصلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

الطواف بالبيتصلاة (٣)، وقال لاصلاة إلا بطهور.

واستدل للقول الثانى بالإجماع على جواز السعى بين الصفا والمروة من غير طهارة، فكذلك الطواف.

وقالت الإمامية: إن الجنب والحائض لا-يجوز لهما المرور فى المسجد الحرام، ولا فى مسجد النبى فضلماً عن المكث، ويجوز لهما المرور من غيرهما من المساجد، وفيه تعرف الكذب والافتراء على الإمامية حيث نسب إليهم أنهم يذهبون إلى الحرم بقصد تلويثه!!
ينبغى هنا التنبيه على ما يلى:

أ- لو طاف الحاج على غير وضوء وعاد إلى بلده رجع وأعاد الطواف مع الإمكان، وإلا استتاب من يطوف عنه، وقال أبو حنيفة: لا شىء عليه إلا الدم فيجبره به.

ب- إنما تعتبر الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر فى الطواف فيما إذا كان الطواف واجباً، وأما إذا كان مستحباً فلا يشترط فيه الطهارة من الحدث الأصغر، نعم يحرم على المحدث بالحدث الأكبر الدخول إلى المسجد للطواف حول الكعبة، فمن هنا لا يمكن له الطواف أبداً.

١- ١ فقه السنة ٥: ١٥٤، وبداية المجتهد ١: ٢٤٣، والفتاوى الهندية ١: ٢٤٣، واللآباب ١: ٢٠٣، والهداية ١: ١٦٥، والمبسوط ٤: ٣٨،

وبدايع الصنايع ٢: ١٢٩، وتبيين الحقائق ٢: ٥٩، والمجموع ٨: ١٧.

٢- ٢ البداية والنهاية ١: ٣٤٣.

٣- ٣ البداية والنهاية ١: ٣٤٣.

ص: ١١٤

ج- أما الحاج المعذور الذي لا يمكنه الطهارة المائية لمرض ونحوه، فهل تقوم مقامها الطهارة الترابية (التيتم) أم لا؟
الظاهر أنها تقوم مقامها، فلو كان محدثاً بالحدث الأكبر ولم يستطع الغسل لعذر يتعين عليه التيمم، وفيما عدا الجنابة يتعين عليه الوضوء ثم يطوف.

د- من شك في الحدث والطهارة للطواف فحكمه حكم الشك في الحدث والطهارة للصلاة، فإن كان شكّه بالحدث بعد يقينه بالطهارة بنى على الطهارة مطلقاً للاستصحاب وصحّ طوافه، وإن شك في الطهارة بعد اليقين بالحدث تجب عليه الطهارة للاستصحاب، وبنى على عدم صحة الطواف، وإذا شك في الطهارة بعد الفراغ من الطواف فلا اعتبار بشكّه وصحّ طوافه لقاعدة الفراغ.
الثاني - طهارة البدن اوللباس كما هو الحال في الصلاة، قالت به الإمامية والشافعية (١) والمالكية والحنابلة وخالفهم في هذه المسألة الحنفية حيث قالوا: أما طهارة الثوب والبدن والمكان فسنة مؤكدة حتى ولو طاف وعليه ثوب كله نجس فلا جزاء عليه (٢).

الثالث- ستر العورة على نحو ما تقدم في الصلاة فيجب على من يريد الطواف أن يستر عورته ولو كان قد أمن من الناظر، فلا يصح طواف العريان، وهذا هو المتفق عليه (٣)، وقالت الإمامية: إنه يشترط ستر العورة بثوب طاهر غير مغصوب وأن لا يكون من غير مأكول اللحم ولا من الحرير ولا الذهب كما هو الحال في الصلاة بل تشدد بعضهم في أمر الطواف أكثر من الصلاة حيث قال:
بالعفو عن الدم إذا كان بمقدار الدرهم البغلي في الصلاة وعدم العفو عنه في الطواف.

الرابع- الختان، فلا يصح الطواف من الأعلف رجلاً كان أوصيباً، وبه

١- ١ المنهاج للنووي، والسراج الوهاج للزهري: ١٥٩.

٢- ٢ كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٥٣٥.

٣- ٣ السراج الوهاج، والمنهاج للنووي.

ص: ١١٥

قالت الإمامية، فإذا طاف الصبي غير المختون أو طيف به بمعنى أنه حملة وليه أو غيره فطاف به، وكان غير مختون بعد أن أحرم به الولي فلا يجوز لهذا الصبي أن يتزوج بعد البلوغ إلّا أن يأتي بالعمرة المفردة، ولا يفيد تدارك طواف النساء فقط بنفسه فيما إذا أمكنه ذلك وبنائه فيما إذا لم يمكنه ذلك؛ لأن الختان كان شرطاً فيصح مطلق الطواف، وبدونه لم يكن طواف حجه أيضاً صحيحاً.

الخامس - النية بالخصوص، وبه قالت الإمامية والحنابلة، ولكن قالت المالكية والحنفية والشافعية: تكفي نية الحج بوجه العموم ولا يشترط نية الطواف بالخصوص (١).

وجميع هذه الشروط معتبرة في كل طواف واجب سواء كان لعمرة التمتع أو للعمرة المفردة أو لحج التمتع أو لحج الأفراد أو لحج القران، ويعبر عن هذه الشروط بالشروط الخارجية لخروجها عن عملية الطواف.

وإليك الآن شرائط الطواف الداخلية بعنوان واجبات الطواف، ويعبر عنها بذلك لدخالته في أصل الطواف:

٤- واجبات الطواف الداخلية:

وهي سبعة:

١- الابتداء بالحجر الأسود، والختم به، فلا يصح أن يبدأ بالطواف من غيره كما لا يصح الاختتام بغير الحجر الأسود أيضاً، وبه قالت الإمامية والحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وبقية المذاهب، ويكفي عند الجميع حصول الابتداء والاختتام بالحجر الأسود المحاذة العرفية في ابتداء الشوط وختامه بأن يكون أول جزء من بدنه بإزاء أول جزء من الحجر.

٢- جعل البيت على يساره، فلا يصح الطواف بعكس ذلك بان يجعله على يمينه، ويكفي في تحقق ذلك الصدق العرفي، فلا يضر الانحراف اليسير

ص: ١١٦

مادام الصدق العرفي متحققاً، وبه قالت الإمامية وبقية المذاهب.

٣- إدخال حجر إسماعيل في الطواف بأن يجعله على يساره أى يطوف حوله دون أن يدخل فيه، فإذا طاف بينه وبين البيت فجعل البيت عن يساره والحجر عن يمينه بطل طوافه، وعليه أن يعيد ذلك الشوط فقط إذا كان واحداً.

واستدلوا لذلك بقطع معظم الأصحاب، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاف خارج الحجر (١).

ينبغي هنا الإشارة إلى أمرين:

أ- أن حجر إسماعيل كان بيتاً له.

ب- أن إسماعيل دفن أمه هاجر في هذا المكان، وأنه كره أن توطأ فحجر عليه.

٤- خروج جميع بدنه عن البيت، وعن حجر إسماعيل وعمّا يحسب من البيت فلا يصح طواف من داخل البيت أو على جدار الحجر أو على شاذروان الكعبة، وهو المقدار الباقي من أساس الجدار السابق بعد البناء الجديد، فإذا طاف كذلك بطل طوافه.

٥- كون الطواف بين البيت ومقام إبراهيم عليه السلام وهو الصخرة التي عليها أثر قدمه، وكان إبراهيم عليه السلام يقف عليها حينما بينى البيت، وكيف كان فلا يصح أن يجعل مقام إبراهيم داخل المطاف، بل الواجب أن يجعل عن اليمين والبيت عن اليسار ويكون الطواف بينهما مراعيًا بذلك القدر من البعد في جميع الجهات، وهى المسافة التي قدرت ب (٢٦) ذراعاً ونصف الذراع تقريباً بذراع اليد، فإذا وقع الطواف خارج الحد المذكور لزمه تدارك ذلك الطواف عند كثير من فقهاء الشيعة، وإلاً فيحكم ببطلانه للخبر الضعيف المنجبر بعمل الأصحاب، وخالف في ذلك بعض فقهاء الإمامية ولم يجعل حداً له للخبر الصحيح المعرض عنه عند الأصحاب لذهابه إلى عدم انكسار الخبر الصحيح باعراض الاصحاب عنه وهذا القول هو الذى اخترناه فى

ص: ١١٧

أبحاثنا الاجتهادية على أساس أن إعراض المشهور غير كاسر للخبر الصحيح كما أن عملهم غير جابر للخبر الضعيف، وبما أن الخبر الدال على اعتبار الحد المذكور في الطواف يكون ضعيفاً سنداً ولذا ما اشترطناه فيه، وأما الخبر الدال على عدم اعتباره فيه فلما يكون صحيحاً سنداً ولذا أخذنا به وقلنا بعدم اعتبار الحد المذكور في الطواف.

وأما فقهاء المذهب الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي فلم يعتبروا الحد المذكور في الطواف، وقال الحصني الشافعي في كتابه (١): من واجبات الطواف أن يقع في المسجد، حتى لو طاف في الأروقة جاز، وكذا صرح به ابن جزى المالكي في كتابه (٢) حيث قال عند البحث عن واجبات الطواف:

والخامس أن يطوف بداخل المسجد.

٦- العدد، أي كون العدد في الطواف حول البيت سبعة أشواط من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود، وبه قال فقهاء جميع المذاهب.
٧- الموالات، وعدم الفاصل بين الأشواط، فإنها شرط في صحة الطواف، وهي أن يتابع بين أشواط الطواف، ولا يعمل في خلالها عملاً ينافي تلك الموالات، هذا ما قالت به الإمامية والمالكية والحنابلة، وخالفهم الحنفية والشافعية، وقالوا: هي سنة، فلو فرق الطائف طوافه تفريقاً كثيراً بغير عذر لا يبطل، ويبني على طوافه (٣).

وقال أبو حنيفة على ما حكى عنه العلامة في التذكرة: إذا أتى بأربعة أشواط ثم ترك فإن كان بمكة لزمه إتمام الطواف، وإن كان قد خرج منها جبرها بدم.

ثم إن الإمامية قالوا: إن الموالات شرط في الطواف الواجب، وأما في المستحب فليست بشرط.

٨- أن يطوف ماشياً، فإن عجز طاف ركباً، قالت به الحنفية (٤) وكذلك الحنابلة على ما نقل عنهم،

١- ١ كفاية الأختيار ١: ١٣٦.

٢- ٢ القوانين الفقهية: ٨٩.

٣- ٣ على ما حكى عنهم.

٤- ٤ المبسوط ٤: ٤٥، وبدائع الصنائع ٢: ١٣٠، والمنهل العذب ١: ٢١١، والأم ٢: ١٧٤، والمجموع ٨: ٢٧، وفتح العزيز ٧: ٣١٥، والشرح الكبير ٣: ٤٠٤.

ص: ١١٨

ولكن قال معظم الامامية والشافعية والمالكية (١) بعدم وجوبه بلصرح جماعة من الإمامية بجواز الركوب له اختياراً؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طاف على راحلته.

٥- صلاة الطواف:

صلاة الطواف هي ركعتان مثل فريضة الصبح يصليهما الحاج خلف مقام إبراهيم قريباً منه بحيث يصدق عليه أنهصلاها عنده إن أمكنه ذلك وإلّاصلاها في أحد جانبيه، وإلّا حيث شاء من المسجد الحرام، وكيف كان فقد وقع الخلاف بين فقهاء المسلمين في حكمها في أنها واجبة أو غير واجبة.

ذهب بعض فقهاء المذاهب الإسلامية كالشافعية على قول (٢) والحنابلة إلى عدم وجوبها، واستدلوا لذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمصلوات في اليوم والليله، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلّا أن تطوع (٣) وقالوا باستحبابها لاستظهارهم من الأخبار ذلك.

وذهب بعض آخر منهم كالإمامية والأوزاعية والثورية والمالكية (٤) والحنفية والشافعية على قول إلى وجوبها واستدلوا لذلك بقوله تعالى: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» (٥)

لدلالة الأمر على الوجوب. وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه طاف بالبيت سبعمائة وصالّى خلف المقام ركعتين وقال:

خذوا عني مناسككم (٦).

٦- مستحبات الطواف:

وهي أمور:

قالت الإمامية: من سنن الطواف الوقوف عند الحجر الأسود والدعاء مستقبلاً وقراءة سورة القدر، وذكر الله والسكينة في المشى واستلام الحجر وتقبيله في كلّ شوط مع الإمكان والإشارة إليه، واستلام الأركان كلّها كلما مرّ بها وتقبيلها، واستلام المستجار (وهو خلف الكعبة قريب من الركن اليماني) في الشوط السابع والتداني

١- ١ القوانين الفقهية: ٨٩.

٢- ٢ الوجيز ١: ١١٨، والفتح الرباني ١٢: ٧٤، ونيل الأوطار ١: ١٣٤، وكفاية الأختيار ١: ١٣٩، والشرح الكبير ٣: ٤١٤.

٣- ٣ كفاية الأختيار ١: ١٣٩.

٤- ٤ القوانين الفقهية: ٨٩.

٥- ٥ سورة البقرة: ١٢٥.

٦- ٦ بداية المجتهد ١: ٣٤١.

ص: ١١٩

من البيت إلى غير ذلك من الأشياء المذكورة في الأحاديث.

قالت المذاهب الأخرى: من سنن الطواف استقبال الحجر الأسود عند بدء الطواف مع التهليل والتكبير ورفع اليدين كرفعهما في تكبيرة الصلاة، واستلامه بهما بوضعهما عليه وتقبيله بدون صوت ووضع الخد عليه إن أمكن وإلا لمسه بيده والدعاء بما يشاء.

استحباب الاضطباع:

وأما الاضطباع (وهو جعل وسط الرداء تحت الابط الأيمن وطرفه على الكتف الأيسر) فقد نسب استحبابه إلى الحنفية والشافعية والحنابلة ولم ينسب إلى المالكية (١).

استحباب الرمل في أثناء الطواف:

أما استحباب الرمل (وهو الإسراع في المشى مع تقارب الخطى دون الوثوب والعدو) فقالت به الإمامية والمالكية (٢) والشافعية والحنابلة (٣) في الأشواط الثلاثة الأولى في طواف القدوم.

٧- أحكام الطواف:

ينبغي هنا ذكر مسائل:

الأولى- إذا حاضت المرأة في أثناء الطواف، فإن كان قد تم لها أربعة أشواط فأكثر تمتنع من بقية الطواف، وتأتي ببقية الأعمال من السعي والتقشير إذا كانت في العمرة، ثم تنتظر إلى أن تطهر فتقضى ما فاتها من الطواف والصلاة ولا يجب عليها إعادة السعي.

وإن حدث لها ذلك قبل إتمام أربعة أشواط، أي في الشوط الأول أو الثاني أو الثالث أو في أثناء الرابع فعندئذ تقطع طوافها وتخرج من البيت فوراً ثم تنتظر فإن طهرت قبل الموقف بعرفة تأتي بالطواف كاملاً والصلاة بعدها وكذلك السعي والتقشير، وإذا لم تطهر قبل الموقف فينقلب حينئذ حجها إلى الأفراد وتمضى بنفس الإحرام الأول إلى عرفة والمشعر وتأتي بأعمال

١- ١ الفقه على المذاهب الأربعة.

٢- ٢ القوانين الفقهية لابن جزي: ٨٩.

٣- ٣ بداية المجتهد ١: ٣٤٠.

ص: ١٢٠

منى وبقية أعمال مكة، فإذا فرغت من مناسك الحج كلها تأتي بعمره مفردة بعد إكمال المناسك ويجزيها عن حجة الإسلام وذلك للنصوص، هذا ما قالت به الإمامية.

الثانية- إذا انتهى من الأشواط ثم شك في أنه هل أتى بها صحيحة أو لا؟ لم يلتفت وبنى على الصحة ويمضى ولا شيء عليه، هذا هو المتفق عليه عند فقهاء المسلمين، وإذا لم يكن الشك بعد الانتهاء من الأشواط فحينئذ إذا حدث له الشك بعد ما أحرز السبعة، كما لو شك بين السبعة والثمانية بنى على الصحة ولم يلتفت إلى شكه، هذا أيضاً هو متفق عليه. وأما لو شك بين الستة والسبعة فما دون بنى على البطلان وعليه أن يعيد هذا في الطواف الواجب.

وأما في الطواف المستحب فإنه يبنى على الأقل ويتم، إن كان أحد طرفي الشك مادون السبعة، ولا يفرق فيه بين أن يكون الشك في أثناء الطواف أو عند انتهاء الشوط الأخير، هذا كله بنظر فقهاء الإمامية، وأما بنظر فقهاء السنة فالقاعدة عندهم هي البناء على الأقل أخذاً بالقدر المتيقن كما هو الحال في الشك في عدد ركعات الصلاة.

الثالثة- من ترك من طواف الزيارة ثلاثة أشواط فما دونها:

فقال الحنفية: إن عليه دم شاة فيما إذا عاد إلى بلده، ومن ترك أربعة بقي محرماً أبداً حتى يطوفها (١) وقالت بقية المذاهب: إنه لو ترك خطوة منها لم يجزه ولم تحل له النساء حتى يعود إليها فيأتي بها وصرح به الشافعي (٢).

٨- مكروهات الطواف:

قالت الإمامية: من مكروهات الطواف، الكلام بغير ذكر الله، وغير الدعاء، وغير قراءة القرآن الكريم، والضحك، والتمطى، والتثاؤب، وفرقة الأصابع، ومدافعة البول والغائط، والأكل، والشرب، ولبس البرطله (وهي القلنسوة الطويلة التي كانت تلبس قديماً) لأنها زى اليهود.

١- ١ فتح العزيز ٧: ٣٠٤، وبدائع الصنائع ٢: ١٣٢، والمبسوط ٤: ٤٦، والهداية ١: ١٦٦.

٢- ٢ الأم ٢: ١٧٠، وفتح العزيز ٧: ٣٠٣، والمبسوط ٤: ٤٦، وبدائع الصنائع ٢: ١٣٢.

ص: ١٢١

الهوامش:

نشأة الحياة العلمية فى الحجاز

ص: ١٢٣

نشأة الحياء العلمية فى الحجاز

عبد الجبار الرفاعى

مقدمة فى بيان دور أهل البيت وشيعتهم

فى ظهور وتطور العلوم الاسلاميه فى المدينة ومكة

الإسلام أول دين سماوى اقترنت ولادته بالدعوة إلى القراءة والحث على التعلم، فالكلمة الأولى التى هتف بها الوحي ووعتها أسمع النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم هى الأمر بالقراءة «اقرأ باسم ربك الذى خلق» (١)

، وتلتها مباشرة «اقرأ وربك الأكرم» (٢)

، وجاء فى سياقها تأكيد دور القلم «الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم» (٣)

. وتكررت الآيات التى تحث على القراءة والتعلم ومرادفاتها الأخرى منبسطة على مساحة واسعة فى كتاب الله تعالى، حتى أضحي هذا الموضوع محورياً أساسياً فى القرآن.

وافتح نزول القرآن على النبى بالأمر بالقراءة ظاهرة متميزة لا نعث على ما يماثلها فى أى كتاب سماوى غيره، تعنى فى إحدى دلالاتها أن القرآن كتاب يهدف إلى تعميم المعرفة وإشاعة العلم واستئصال منابع الأمية والجهل، ويتجلى هذا المعنى بصورة واضحة فى بيان القرآن لمهمة النبى المتمثلة فى التزكية والتعليم

١-١ العلق / ١.

٢-٢ العلق / ٣.

٣-٣ العلق: ٤، ٥.

ص: ١٢٤

الكتاب والحكمة «.. ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة..» (١)

، هذه المهمة التى باشرها النبى منذ اليوم الأول الذى بُعث فيه، وواصلها بدأب ومثابرة حتى آخر لحظة فى حياته الشريفة. لقد اتخذ النبى بعد بعثته من بيته ما يشبه المدرسة يعلم فيها ثلة قليلة ممن آمن به وصدقته فى دعوته تعاليم دينه الجديد، وما ينطوى عليه من عقائد ومفاهيم وأحكام، ثم انتقل إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم، وصارت هذه الدار الواقعة بمكة على الصفا بمثابة مدرسة للدعوة، يجرى فيها إعداد وتأهيل المسلمين الأوائل بشكل سرى، خشية من تنبه قريش واجهاضها الدعوة قبل أن تقوى شوكتها. واستمرت هذه الدار تستقبل المؤمنين الجدد ليتعلموا فيها تعاليم الاسلام، (فلما تكامل عددهم أربعين رجلاً خرجوا) (٢) وانطلقت الدعوة الى المرحلة العلنية لتفتح على كل الناس وتجهر عالياً بعقيدة التوحيد. ومع اتساع نطاق الدعوة ضاقت بها دار الأرقم فخرجت تبحث عن أماكن أخرى، فاحتضنتها دور المسلمين الأوائل فى مكة، وسعى هؤلاء المسلمون لاتخاذ البيت الحرام منطلقاً لرسالتهم وقتئذ، بيد أن خصومهم من المشركين أصروا على الحيلولة بينهم وبين الإفادة من البيت الحرام كمدرسة لتعليم القرآن والدعوة إلى الدين الجديد، وقد نقلت لنا كتب السيرة صوراً متنوعة من التعذيب والاضطهاد الذى لاقاه المؤمنون من قريش فى مكة (٣). وبعد احتدام الصراع بين المسلمين والمشركين فى مكة اضطر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للهجرة إلى المدينة المنورة بمعية المسلمين، وكان قد سبق ذلك بسنوات هجرة طائفة من المسلمين إلى الحبشة فراراً من أذى قريش، وبحثاً عن أرض جديدة للدعوة. وفى دار الهجرة دخلت الدعوة مرحلة جديدة حققت فيها مكاسب

١-١ البقرة ١٥١، آل عمران ١٦٤.

٢-٢ ابن هشام. السيرة النبوية تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الابيارى، عبد الحفيظ شلبى. القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٩٣٦ م، ج ١: ص ٢٧٠ الهامش.

٣-٣ المصدر السابق. ص ٣٤٢-٣٤٣.

ص: ١٢٥

عظيمة، عندما امتدت جغرافياً فاستوعبت مناطق نفوذ جديدة. ومنذ وصول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وإشادة المسجد النبوى، أضحى المسجد مركزاً فاعلاً فى حياة الجماعة المسلمة فى المدينة، تلقى من على منبره المسلمون أنوار الوحي ومعارف القرآن متدفقاً من فم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، ويمكن القول: إن هذا المسجد المتواضع فى بنائه وعمارته البسيطة احتضن مدرسة فريدة. الكتاب الذى كان محور الدراسة فيها هو القرآن، والمعلم الأول هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتلامذته هم الصحابة. واستمرت هذه المدرسة تنمو وتتكامل، ففى كل يوم تستقبل تلامذة جدد من المسلمين القادمين إلى المدينة للتعرف على الاسلام، ومع مرور الزمن اتسع نطاق العلوم التى تدرس فى المسجد، فلم تقف عند دراسة القرآن الكريم وإنما امتدت لتشمل الحديث الشريف، والمغازى والسيرة الشريفة، والفقه، حيث ظهرت أبرز مدارس الفقه الاسلامى المعروفة لدى المسلمين فى أروقة هذا المسجد.

المراكز العلمية عند الشيعة:

من المعالم الشاخصة فى مسيرة مدرسة أهل البيت الاهتمام بالعلم وتوقير العلماء، كما نقرأ ذلك فى تاريخ أتباع هذه المدرسة من الشيعة فى مختلف مراحل التاريخ، فلم تمنعهم ظروف الاضطهاد السياسى والقمع العنيف من أجهزة الخلفاء والسلاطين من طلب العلم. ويمكن القول: إن التشيع تحقق فى العلوم الاسلامية بعمق مثلما تحقق وظهر فى الثورات الاسلامية منذ عاشوراء وصبغ التاريخ الاسلامى بلون الدم والشهادة. وكما لانحتاج إلى جهد كبير للتدليل على دور الثوار الشيعة فى مقاومة سلاطين الجور، كذلك لا يمكن أن نغفل حجم مساهمات علماء الشيعة عند

ص: ١٢٦

الحديث عن نشأة وتطور العلوم الاسلاميه (١). وهذا لا- يعنى أننا نذهب إلى ماقاله بعض الباحثين فى رد تمام ما يزخر به التراث الاسلامى من معارف وفنون إلى التشيع ونفى مساهمه بقيه فرق المسلمين، فإن المسلمين بأسرهم كان لهم نصيب فى ابداع هذه المعارف وتنميتها، إلا أن العطاء العلمى للتشيع يظل متميزاً كما وكيفاً، ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الوضع الأمنى والسياسى الذى عاشه الشيعة فى مختلف فترات التاريخ. ولأجل بيان شىء من آثار هذا العطاء سنتحدث بايجاز عن المراكز العلميه للتشيع بالحجاز وموقعها الريادى فى نشأة وتطور العلوم الاسلاميه.

المدينه المنوره:

المدينه هى الرحم الذى ولدت فيه بذره التشيع، واحتضن الجيل الأول من شيعه الإمام على ابن أبى طالب عليه السلام، وتواصل توطن أئمه أهل البيت عليهم السلام فيها إلى الامام الحسن العسكرى عليه السلام، ولم يغادرها أحد منهم إلا للضرورات سياسيه أو عسكريه أو علميه أو أن يستقدمه السلطان الجائر فيسيره إلى بغداد أو سامراء.

إن تراث أهل البيت وعلوم الإمامه فاضت من المدينه إلى بقيه الأمصار بعد انتشار التشيع فى شتى أقاليم الدوله الإسلاميه آنذاك، وكان المسجد النبوى هو المركز العلمى الأهم الذى عقدت تحت سقفه الحلقات الدراسيه الأولى عند الشيعة، وشهد هذا المسجد منذ تأسيسه إلى عدة قرون تعاقب مجموعه كبيره من التلامذه، الذين انخرطوا فى حلقات الأئمه عليهم السلام وأصحابهم ثم العلماء الشيعة فى فترات لاحقه. فبعد غياب الرسول صلى الله عليه وآله عن المسرح مكث الإمام على عليه السلام نحواً من ثلاثين سنه أمضى معظمها فى المدينه ماخلا نحو خمس سنوات فى الكوفه-

١ - ١ حول مساهمات الشيعة فى نشأة وتطور العلوم الاسلاميه راجع: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للسيدحسن الصدر. طهران: منشورات الأعلم. والشيعة الاماميه ونشأة العلوم الاسلاميه، للدكتور علاء الدين السيد أمير محمد القزوينى. قم: انتشارات الشريف الرضى.

ص: ١٢٧

عكف فيها عليصيانة القرآن الكريم والسنة الشريفة وتعليمهما، وكان قد انبرى لهذه المهمة منذ اليوم الأول بعد وفاة رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم، يقول ابن النديم: إن علياً عليه السلام (رأى من الناس طيرةً عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس فى بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن) (١) ويشير إلى ذلك ابن أبى الحديد بقوله (وأما قراءته للقرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه فى هذا الباب، اتفق الكلّ على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه) (٢) وانفرد الإمام على من بين الصحابة كافة باستيعابه لتمام علوم النبوة، فقد أورد الصفار فى بصائر الدرجات بسنده (عن سماعة بن مهران عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن الله علّم رسول الله الحلال والحرام والتأويل وعلّم رسول الله علمه كله علياً عليه السلام) وبسنده (عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى علّم رسول الله عليه السلام القرآن وعلمه شيئاً سوى ذلك منا علّم رسول الله عليه السلام) (٣) ويقول الإمام على عليه السلام (كنت أدخل على رسول الله كل يوم دخله، فيخلىنى فيها أدور معه حيث دار، وقد علّم أصحاب رسول الله أنه لم يصنع ذلك بأحد غيرى... وكنت إذا سألته أجابنى، وإذا سكّت وفيت مسألنى ابتدأنى، فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها علىّ، فكتبتها بخطى، وعلّمنى تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعلمنى فهمها وحفظها) (٤). وقال عليه السلام موضحاً مرجعيته للتفسير وعلوم القرآن بعد رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم: (سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية فى ليل نزلت أو فى نهار أنزلت، مكيتها ومدنيها، سفرها وحضرها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، لأخبرتكم به) (٥). واحتفظت لنا كتب الحديث

١-١ ابن النديم. الفهرست. تحقيق: رضا تجدد، طهران: ١٩٧١ م، ص ٣٠.

٢-٢ ابن أبى الحديد. شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ط ٢، ١٩٦٥ م، ج ١: ص ٢٧.

٣-٣ الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ. بصائر الدرجات. تصحيح: محسن التبريزى. قم: ١٤٠٤ هـ، ص ٢٩٠.

٤-٤ الشيخ الصدوق. الخصال، تصحيح: على أكبر الغفارى. قم: جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية، ص ٤٥١.

٥-٥ الشيخ المفيد: الاختصاص. تصحيح: على أكبر الغفارى. قم: جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية، ص ٢٣٦.

ص: ١٢٨

بعناوين جملة من الكتب، التى أملاها رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب عليه السلام، اشتهر منها «الصحيفة» و «كتاب على» و «مصحف فاطمة». أما الصحيفة فهى عبارة عن (صحيفة صغيرة تشتمل على العقل - مقادير الديات - وعلى أحكام فكاك الأسير) (١) أخرج نبأها البخارى، وغيره (عن أبى جعيفة، قال: قلت لعلى: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهّم أعطيه رجلٌ مسلم، أو مافى هذه. قال: قلت: فما فى هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يُقتل مسلمٌ بكافر) (٢).

والكتاب الآخر الذى ورثه الإمام على عليه السلام من رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم هو ما عُرف ب «كتاب على»، قال غزافير الصيرفى: (كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبى جعفر عليه السلام، فجعل يسأله، وكان أبو جعفر عليه السلام له مُكرماً، فاختلفا فى شىء، فقال أبو جعفر عليه السلام: يا بنى قم فأخرج كتاب على، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، وفَتَحَهُ، وجعل ينظر حتى أخرج المسألة. فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خطٌ على عليه السلام، وإملاء رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم. وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد، إذهب أنت وسلمه وأبو المقدام حيث شتتم يميناً وشمالاً فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام (٣) وعن أبى عبدالله عليه السلام قال: (والله إن عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً، فيها جميع ما يحتاج اليه الناس حتى أرش الخدش، إملاء رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم وكتبه على بيدهصلوات الله عليه) (٤). وعن (الفضيل بن يسار قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام: يا فضيل عندنا كتاب على سبعون ذراعاً، ما على الأرض شىء يُحتاج اليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش، ثم خطه بيده على إبهامه) (٥).

وكان «مصحف فاطمة» كتاباً آخر أملاه رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب عليه السلام، وتوارثه أهل البيت عليهم السلام كأحد ودائع النبوة، روى (أبو حمزة عن أبى عبدالله عليه السلام

١- ١ عتر، د. نور الدين. منهج النقد فى علوم الحديث. دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ، ص ٤٦.

٢- ٢ صحيح البخارى باب كتابة العلم من كتاب العلم. بيروت: دار الفكر، ١٤١١ هـ، ج ١: ص ٤١.

٣- ٣ النجاشى، أحمد بن على. رجال النجاشى. تحقيق: السيد موسى الشيرى الزنجانى. قم: جماعة المدرسين، ١٤٠٧ هـ، ص ٣٦٠.

٤- ٤ بصائر الدرجات. ص ١٤٥.

٥- ٥ المصدر السابق. ص ١٤٧.

ص: ١٢٩

قال: قيل له إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم إلأما عند الناس، فقال: صدق، والله ما عنده من العلم إلأما عند الناس، ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام، وعندنا الجفر، أفيدرى عبد الله أمسك بغير أو مسك شاء، وعندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القرآن، ولكنه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط على عليه السلام .. (١).

لقد كان الامام على بن أبى طالب عليه السلام يمثل المرجعية العلمية فى حياة المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بالرغم من إقصائه عن المسرح السياسى فى حياة الخلفاء الثلاث، لكنه كان يسهر على حماية تجربة الاسلام الفتية من النكوص والتداعى، وهذا ما جعله يسجل حضوراً مشهوداً فى مواقف متنوعة، منها ما يرتبط بالقضاء وحسم الخصومات بين الطرفين المتنازعين حين يتعذر على الخليفة اتخاذ موقف قضائى بذلك (٢)(٣)(٤)، ومنها ما يرتبط ببيان المواقف الاستراتيجية فى المنعطفات السياسية والعسكرية فى الحياة الإسلامية، عندما يتعرض المسلمون لأخطار وشيكة، إثر الصراع المحتدم مع الامبراطوريتين الرومانية والفارسية، وقوى الشرك الأخرى فى الجزيرة العربية. يضاف إلى ذلك الدور البارز الذى اضطلع به الإمام على عليه السلام فى حلّ المعضلات العقائدية والفكرية، التى كانت تتوالد كل يوم مع ازدياد عدد المسلمين واتساع رقعة الدولة الإسلامية. وهذا ما تحكيه بوضوح المراجع التاريخية، التى تحدثت عن تلك الحقبة، فحين تشير إلى طبيعة التحديات المختلفة، التى كانت تواجه المسلمين وقتئذ، تكشف عن الدور المتميز، الذى كان ينهض به الإمام على عليه السلام، فى التفسير وبيان ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه كان هو المرجع، وفى بيان الأحكام الشرعية هو المرجع، وفى حلّ المعضلات الفكرية المتنوعة هو المرجع، وفى المناظرات العقائدية هو المرجع، حتى شهد الخليفة الثانى بمرجعته

-
- ١- ١ المصدر السابق. ص ١٦١. للتعرف المفصل على هذه الكتب، يمكن مراجعة أصول الكافى، ج ١: ص ٢٣٨ - ٢٤٢ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة.
- ٢- ١ المصدر السابق. ص ١٦١. للتعرف المفصل على هذه الكتب، يمكن مراجعة أصول الكافى، ج ١: ص ٢٣٨ - ٢٤٢ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة.
- ٣- ١ المصدر السابق. ص ١٦١. للتعرف المفصل على هذه الكتب، يمكن مراجعة أصول الكافى، ج ١: ص ٢٣٨ - ٢٤٢ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة..
- ٤- ٢ راجع: قضاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلى الله عليه وآله. للمحقق الشيخ محمد تقى التستري.

ص: ١٣٠

هذه غير مرة قائلًا: (لولا علىُّ لهلك عمر)، و (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)، و (لا يُفتين أحد فى المسجد وعلى حاضر) (١). من هنا يتبين أنه كان المدرس الأول فى المدينة المنورة، فإن (أمير المؤمنين علم فى مجلس واحد أربعمئة باب، مما يصلح للمسلم فى دينه ودينه) (٢). وكان هو منهل العلم الذى استقى منه عدد وفير من الصحابة والتابعين المعارف الإسلامية، واليه ينتهى تأسيس جملة من العلوم الإسلامية، يقول ابن أبى الحديد المعتزلى: (ومن العلوم علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرغ. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمتصحة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس فى ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخزيجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط. ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن فى جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشُّبلى، والجُنيد، وسرى، وأبو يزيد البسطامى، وأبو محفوظ معروف الكرخى، وغيرهم ... ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذى ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبى الأسود الدؤلى جوامعه) (٣). فى ضوء ذلك يتضح أن الإمام على عليه السلام مكث فى المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله مدة ناهزت عقدين ونصف العقد عكف فيها على غرس بذرة العلوم الإسلامية، واعداد جيل من التلامذة كعبد الله بن عباس المعروف بحبر الأمة، أسهم هذا الجيل فيما بعد فى الامتداد بمدرسة على عليه السلام من المدينة إلى بقية الأمصار الإسلامية، وتنمية العلوم التى غرسها. ومثلما كان للإمام على الريادة فى إرساء مدرسة المدينة المنورة، والسهر على تربية طائفة من التلامذة من ذوى البصائر، كذلك فعل الشىء نفسه لما بويع بالخلافة واتخذ من الكوفة عاصمة له.

١- ١ شرح نهج البلاغة، ج ١: ص ١٨.

٢- ٢ الشيخ الصدوق. الخصال. تصحيح: على أكبر الغفارى. قم: جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية، ص ٦١٠-٦١١.

٣- ٣ المصدر السابق، ج ١: ص ١٩-٢٠.

ص: ١٣١

مدرسة المدينة بعد غياب الامام على عليه السلام:

لم تقفل مدرسة المدينة أبوابها بعد هجرة أمير المؤمنين إلى الكوفة عام ٣٥ للهجرة، ثم استشهاده فى مسجد الكوفة بعد خمس سنوات من هذا التاريخ، وإنما تعاقبت عليها عدة أجيال من تلامذة الإمام على وتلامذتهم. إذ امتدت الحركة العلمية فى المدينة بأبناء على من الأئمة عليه السلام، وتلامذته الآخرين، الذين برز منهم عبدالله بن عباس، الذى باشر تعليم التفسير والحديث والفقہ والأدب، وكان مجلسه يكتظ بالدارسين من مختلف الطبقات، قال عطاء: (ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر علماً وأعظم جفنة، وأن أصحاب القرآن عنده يسألونه، وأصحاب النحو عنده يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه، وأصحاب الفقه عنده يسألونه، كلهم يصدرهم فى واد واسع) (١).

إلا أن ابن عباس عنى بتعليم التفسير وعلوم القرآن عناية فائقة فعرف به، ومُلئت المصنفات المبكرة للتفسير بمروياته وآرائه الخاصة. وعمل الوضعون فيما بعد على وضع أشياء كثيرة ونسبتها إليه ترفلاً لأبنائه من الخلفاء فى العصر العباسى (٢). وعلى هذا لا يمكن القول: أن تراث ابن عباس التفسيري يعبر عن روح مدرسة الإمام على عليه السلام بصورة نقيه أمينه، وإن كان ابن عباس نفسه أميناً فيما حكاه عن أستاذه، لكن التشويه والدس الذى ابتليت به آثاره فى العصر العباسى نأى بها عن المنبع الذى استقت منه، على أن ابن عباس لم ينفرد فى مدرسة المدينة، وإنما سطع فيها نجم الحسن والحسين عليهم السلام، اللذين ورثا ودائع النبوة والعلوم التى نهلها أمير المؤمنين عليه السلام من رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أورث الحسين ذلك لولده على السجاد وصار السلف منهم يوصلها لخلفه، (عن عمر بن يزيد قال أبو جعفر عليه السلام: إن علياً عالم هذه الأمة، والعلم يتوارث، ولا يهلك أحد منّا إلا ترك من أهله من يعلم مثل علمه أو ماشاء الله) (٣). وتؤكد المصادر التاريخية أن

-
- ١-١ الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد أو مدينة الإسلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣ هـ. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١: ص ١٧٤-١٧٥.
 - ٢-٢ أحمد أمين. فجر الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٧٥ مص ١٧٣-١٧٤، ٢٠٢-٢٠٣.
 - ٣-٣ بصائر الدرجات: ص ١١٨.

ص: ١٣٢

عبدالله بن عباس كان على بينة من هذا الأمر، ولذلك كان يبألغ فى احترام الحسن والحسين، يقول مدرك بن عمارة: (رأيت ابن عباس آخذاً بركاب الحسن والحسين، فقيل له: أتأخذ بركائيهما وأنت أسنّ منهما؟ فقال: إن هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو ليس من سعادتى أن آخذ بركائيهما) (١).

لقد واصل الحسنان رعاية مدرسة أبيهم فى المدينة، والتف حولهما نخبة من تلامذة أمير المؤمنين وغيرهم ينهلون من حلقات دروسهم فى المسجد النبوى الشريف، وذاع نبأ هذه الحلقات فرحل إليها طلاب العلم من خارج المدينة، فكان الحسن (يجلس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويجمع الناس حوله، فيتكلم بما يشفى غليل السائلين، ويقطع حجج القائلين) (٢). ونالت حلقة الإمام الحسن فى المسجد النبوى اهتمام القادمين إلى المدينة، وتميزت على ماسواها من الحلقات الأخرى فى المسجد، يروى الواحدى (فى تفسيره الوسيط ما يرفعه بسنده أن رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس حوله، فقلت له: أخبرنى عن «شاهد ومشهود» (٣).

، فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة، فجزته إلى آخر يحدث، فقلت له: أخبرنى عن «شاهد ومشهود»، فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلام كأن وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً» (٤). وقال تعالى: «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود» (٥).

. فسألت عن الأول؟ فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثانى؟ فقالوا:

ابن عمر، وسألت عن الثالث؟ فقالوا: الحسن ابن على بن أبى طالب عليهم السلام، وكان قول الحسن أحسن) (٦).

١- ١ ابن عساكر. ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: محمد باقر المحمودى. قم: مجمع احياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٤ هـ، ص ٢١٠-٢١١.

٢- ٢ على بن عيسى الاربلى. كشف الغمة فى معرفة الأئمة. تعليق: هاشم الرسول. بيروت: دار الكتاب الاسلامى، ج ٢: ص ١٦٩.

٣- ٣ البروج ٣.

٤- ٤ الأحزاب ٤٥.

٥- ٥ هود/١٠٣.

٦- ٦ كشف الغمة، ج ٢: ص ١٦٩.

ص: ١٣٣

أما حلقة الإمام الحسين فى المسجد النبوى فقد اشتهرت وتفوقت على نظائرها من حلقات الدرس فى المسجد، حتى اضطر معاوية للاعتراف بذلك عندما قال (لرجل من قريش: إذا دخلت مسجد رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم، فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبى عبد الله، مؤتزرًا على أنصاف ساقيه، ليس فيها من الهزلي (١) شىء) (٢).

وتمتع الإمام الحسين عليه السلام بمرجعية علمية فى المدينة مثلما تسنم أمير المؤمنين عليه السلام قبل ذلك هذه المرجعية، فكان يدحض الشبهات العقائدية حين يعجز غيره عن تفنيدها، يقول (عكرمة عن ابن عباس: بينما هو يُحدّث الناس، إذ قام إليه نافع ابن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس تُفتى الناس فى النملة والقملة، صف لى إلهك الذى تعبد؟ فأطرق ابن عباس إعظاماً لقوله. وكان الحسين بن على جالساً ناحية، فقال: إلیّ يا ابن الأزرق. قال: لست إياك أسأل! قال ابن عباس:

يا ابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة، وهم ورثة العلم. فأقبل نافع نحو الحسين، فقال له الحسين: يا نافع إن من وضع دينه على القياس، لم يزل الدهر فى الالتباس سائلاً ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل. يا ابن الأزرق أصف إلهى بما وصف به نفسه، وأعزفه بما عزّف به نفسه:

لا يُدرک بالحواس، ولا يُقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص، يوحد ولا يُعص، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق، وقال: يا حسين ما أحسن كلامك! قال له الحسين:

بلغنى أنك تشهد على أبى، وعلى أخى بالكفر، وعلىّ. قال ابن الأزرق: أما واللّهِ يا حسين لئن كان ذلك، لقد كنتم منار الإسلام، ونجوم الأحكام. فقال له الحسين:

إنى أسالك عن مسألة. قال: سل. فسأله عن هذه الآية «وأما الجدار فكان الغلامين يتيمين فى المدينة» (٣).

؟ يا ابن الأزرق: من حُفظ فى الغلامين؟ قال ابن

١-١ الهزلي: نسبة إلى الهزل مقابل الجد. وهى اشارة إلى أن حلقة الإمام الحسين ليس فيها عبث وشعوذة وإنما كل ما فيها حق وصواب.

٢-٢ ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق. ص ١٢.

٣-٣ الكهف / ٨٢.

ص: ١٣٤

الأزرق: أبوهما. قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول اللّهلصلى الله عليه و آله و سلم؟ قال ابن الأزرق: قد أنبأ الله تعالى أنكم قوم خصمون (١).

وبعد الإمام الحسين عليه السلام انبرى ولده الإمام السجاد عليه السلام لتبنى مدرسه المدينة ورعايتها، وحظى السجاد عليه السلام بمقام المرجعية العلمية فى هذه المدرسه مثلما حظى أبوه وجده عليهما السلام قبل ذلك، وهذا ما تدلل عليه مجموعة شهادات صدرت من علماء معروفين من معاصريه، (فكان الزهرى يقول: على بن الحسين أعظم الناس على منة) (٢) ويضيف قائلاً: (ما كان أكثر مجالستي مع على بن الحسين! وما رأيت أحداً كان أفقه منه، ولكنه كان قليل الحديث ... لم أدرك من أهل البيت أفضل من على بن الحسين) (٣). و (قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أروع من فلان! قال: هل رأيت على بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أروع منه!) (٤).

وقال ابن خلكان فى معرض الحديث عنه: (وفضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تُحصِر) (٥). وكان الإمام السجاد منصرفاً إلى بث علوم النبوة، متخدداً من المسجد النبوى مدرسه له، ففى كل جمعة يستثمر توافد المسلمين على المسجد فينبى للإرشاد والوعظ، يقول سعيد بن المسيب: (كان على بن الحسين عليهما السلام يعظ الناس، ويزهدهم فى الدنيا، ويرغبهم فى أعمال الآخرة بهذا الكلام فى كل جمعة، فى مسجد رسول اللّهلصلى الله عليه و آله و سلم، وحفظ عنه وكتب، يقول: أيها الناس اتقوا الله ...) (٦).

وحين يتحدث الإمام السجاد واعظاً يتفاعل معه الناس وتهيج عواطفهم، وتسود المجلس موجة من البكاء، (قال أبو حمزة: كان الإمام على بن الحسين عليهما السلام إذا تكلم فى الزهد ووعظ، أبكى من حضرته) (٧) ويبدو أن الإمام السجاد كان يمضى قسطاً وافراً من وقته يُعلم فى المسجد النبوى، قال يزيد بن حازم: (رأيت

١-١ ترجمه الامام الحسين من تاريخ مدينة دمشق. ص ٢٢٥-٢٢٦.

٢-٢ ابن سعد. الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، ج ٥: ص ٢١٤.

٣-٣ المزمى. تهذيب الكمال فى أسماء الرجال تحقيق: د. بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ، ج ٢٠: ص ٣٨٦.

٤-٤ المصدر السابق، ص ٣٨٩.

٥-٥ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان. تحقيق: د. إحسان عباس. قم: منشورات الرضى، مج ٣: ص ٢٦٩.

٦-٦ الكلىنى. روضة الكافى. تصحيح: على أكبر الغفارى. بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٥ هـ، ص ٦٠-٦٣.

٧-٧ المصدر السابق، ص ١٣.

ص: ١٣٥

على بن حسين وسليمان بن يسار، يجلسان بين القبر والمنبر، يتحدثان إلى ارتفاع الضحى ويتذاكران (١) و (عن ثوير بن فاخته، قال: سمعت على بن الحسين عليهما السلام يُحدّث فى مسجد رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: حدثنى أبى أنه سمع أباه على بن أبى طالب عليه السلام يُحدّث الناس، قال: ... (٢)، ولم يقتصر نشاطه العلمى على فترات وجوده فى المسجد، وإنما كان أهل العلم يقصدونه حيث مضى ولا ينفكّون عن طلب الإفاده منه والارتشاف من معين علومه حتى فى سفره، يقول سعيد ابن المسيب (إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتى يخرج على بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب ..) (٣). إن خروج موكب يضم ألف رجل من القراء مع على بن الحسين، يبرهن بدون شك على حاجة أهل القرآن إليه، وأنه هو المرجع الأول فى التفسير وعلوم القرآن يومئذ، ويمكن أن نستنتج من هذا الرقم الكبير «ألف راكب» وجود أجماع بين المسلمين على منزلته العلميه، ولا سيما إذا لاحظنا أن هذا الموكب لا يفارقه فى رواحه ومجيئه، يقول سعيد بن المسيب: (كان القوم لا يخرجون من مكّة حتى يخرج على بن الحسين سيد الساجدين ..) (٤).

إن التفاف الناس وطلاب العلم خاصة حول الإمام السجاد عليه السلام، ومرافقتهم له بنحو دائم فى سفره وحضره، يعبر عن ظاهرة ملفتة للنظر، خصوصاً أن السجاد عليه السلام كان يخضع لرقابة السلطة الأموية باستمرار، لكن ذلك لم يثن أهل العلم من الارتباط بمجالسه والحرص على مرافقته أينما رحل. وقد كان الوضع الأمنى الذى عاشه الامام السجاد عليه السلام فى المدينة عقيب واقعة كربلاء مباشرة لا يسمح له بممارسة مهامه العلميه بحرية، إلّا أنه لم يتخلّ عن تلك المهام، فتكثف عمله على اعداد وتربية نخبة من الرجال الذين وعوا علومه ونشروها بين الناس، (قال الفضل بن شاذان: ولم يكن فى زمن على بن الحسين عليه السلام فى أول أمره إلّا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم،

١-١ الطبقات الكبرى. ج ٥: ص ٢١٧.

٢-٢ الكلىنى. روضة الكافى. ص ٨٩-٩٠.

٣-٣ اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشى. تصحيح: حسن المصطفى. مشهد: جامعه مشهد، ١٣٤٨ ش، ص ١١٧.

٤-٤ المصدر السابق، ص ١١٧.

ص: ١٣٦

يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلى واسمه وردان ولقبه كنكر، سعيد بن المسيب رباه أمير المؤمنين عليه السلام، وكان حزن جد سعيد أوصى إلى أمير المؤمنين عليه السلام (١).

وكان لتلامذة الامام السجاد دور هام فى نشر العلوم الاسلاميه، فمثلاً عُرِفَ سعيد بن جبير كأحد أبرز رجال التفسير والفقه فى عصره، حتى (كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعنى سعيد بن جبير) (٢). واعترف ابن عمر عندما سأله رجال بأن سعيد أفقه منه، (عن أسلم المنقرى عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة، فقال: إئت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب منى، وهو يفرض منها ما أفرض) (٣). وروى (عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلّا وهو محتاج إلى علمه) (٤).

أما سعيد بن المسيب فكان من أبرز علماء عصره مثلما وصفه الإمام السجاد (عن أبي جعفر، قال: سمعت على بن الحسين يقول: سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وأفهمهم فى زمانه) (٥).

ومضافاً إلى ما أنجته مدرسة الإمام السجاد عليه السلام من حملة العلوم الإسلامية، خلفت لنا هذه المدرسة أيضاً نصيبين هامين، أحدهما عبارة عن مجموعة من الأدعية التى طفحت بالتعاليم والمفاهيم الربانية، اشتهرت باسم «الصحيفة السجادية»، والآخر هو وثيقة حقوقية نصت على طائفة من الحقوق الأساسية لله تعالى، وللنفس، وللأئمة، وللرعية، وللرحم، وللناس ... وغير ذلك وعرفت باسم «رسالة الحقوق».

مدرسة المدينة فى عصر الباقر والصادق عليهما السلام:

وبعد وفاة الإمام على بن الحسين عليه السلام نهض بمهمة إدارة مدرسته والتعليم

١-١ المصدر السابق، ص ١١٥.

٢-٢ تهذيب الكمال، ج ١٠: ٣٦٤.

٣-٣ الطبقات الكبرى، ج ٦: ص ٢٥٨.

٤-٤ تهذيب الكمال، ج ١٠: ص ٣٦٤.

٥-٥ رجال الكشي، ص ١١٩.

ص: ١٣٧

فيها ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام، الذى احتضن تلامذة أبيه، واقتفى أثره فى تربية مجموعة من العلماء، (وشهر أبو جعفر بالباقر من: بقر العلم، أى شقّه فعرف أصله وخفيته) (١). واعترف له بالتفوق العلمى وأهليته لإمامة المسلمين من ترجم له من المؤرخين، فمثلاً قال عنه الذهبي: (وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد، والشرف، والثقة، والرزانه، وكان أهلاً للخلافة) (٢)، وقال عنه أبو زرعة (ولعمري إن أبا جعفر عليه السلام لمن أكبر العلماء) (٣). ولم ينفرد الشيعة بتوقير مقامه والإفاده منه، وإنما ورد نميره طائفة من طلاب العلم الآخرين، لما وجدوا لديه من غزارة فى العلم وإحاطه شاملة بالعلوم الإسلامية، فكانوا إذا أرادوا معرفة السنة الشريفة جاءوه، وإذا اضطربت الآراء وتزايدت الشبهات لم يجدوا الجواب النهائى عليها عند غيره، فقد (روى أبو جعفر عليه السلام، أخبار المبتدئ وأخبار الأنبياء، وكتب عنه الناس المغازى، وأثروا عنه السنن، واعتمدوا عليه فى مناسك الحج التى رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكتبوا عنه تفسير القرآن، وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار، وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء، وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام... وروى عنه عليه السلام أنه سئل عن الحديث يرسله ولا يسنده، فقال: «إذ حدثت الحديث فلم أسنده، فسندى فيه أبى عن جدى عن أبيه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل») (٤). وكان مجلسه عامراً بالعلماء، وهم فى غاية التواضع والاحترام له، قال عبدالله بن عطاء المكي: (ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عليهم السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة - مع جلالة فى القوم - بين يديه كأنه صبى بين يدي معلمه. وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن على عليهما السلام شيئاً، قال: حدثنى وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء محمد بن على بن الحسين عليهم السلام) (٥). وكان عليه السلام يقد عليه السائلون وطلاب العلم

١-١ شمس الدين الذهبي. سير أعلام النبلاء تحقيق: مأمون الصاغري. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ، ج ٤: ص ٤٠٢.

٢-٢ المصدر السابق، ص ٤٠٢.

٣-٣ الشيخ المفيد. الإرشاد فى معرفة حجج الله على العباد. تحقيق: مؤسس آل البيت عليهم السلام الحياء التراث، ١٤١٣ هـ، ج ٢: ص ١٤٣.

٤-٤ المصدر السابق، ص ١٤٣، ١٤٧.

٥-٥ المصدر السابق: ص ١٤٠.

ص: ١٣٨

من شتى البلاد فى ذلك العصر، ومجلسه يومئذ معروف فى المسجد النبوى الشريف، ومزدحم بهؤلاء القادمين من تلك البلاد، كل منهم يسأل ويطلب معرفة الحلال والحرام ومعالم دينه من أبى جعفر عليه السلام، يقول أبو حمزة الثمالى: (كنت جالساً فى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أقبل رجل فسلم، فقال: مَنْ أنت يا عبدالله؟ فقلت: رجل من أهل الكوفة، فقلت: ما حاجتك؟ فقال لى:

أعرف أبا جعفر محمد بن على عليهما السلام؟ فقلت: نعم، فما حاجتك إليه؟ قال: هيات له أربعين مسألة أسأله عنها، فما كان من حق أخذته، وما كان من باطل تركته. قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحق والباطل؟ قال: نعم، فقلت له: فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل، فقال لى: أهل الكوفة أتم قوم ما تطاقون، إذا رأيت أبا جعفر عليه السلام فأخبرنى، فما انقطع كلامى معه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان، وغيرهم، يسألونه عن مناسك الحج، فمضى حتى جلس مجلسه، وجلس الرجل قريباً منه، قال أبو حمزة: فجلست حيث أسمع الكلام، وحوله عالم من الناس، فلما قضى حوائجهم وانصرفوا، التفت إلى الرجل، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصرى، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة... (١). وقد كان أبو جعفر الباقر عليه السلام مثلما كان أبوه السجاد عليه السلام، حيثما ذهب أو حل يلحقه أهل العلم وينتهز أهل ذلك البلد أو القادمون إليه من بلدان أخرى فرصة وجوده عليه السلام فيرتشفون من منهله الغزير، (عن ثوير بن فاخته، قال:

خرجت حاجاً فصحبنى عمر بن ذر القاضى، وقيس الماصر، والصلت بن بهرام، وكانوا إذا نزلوا منزلاً، قالوا: انظر الآن، فقد حررنا أربعة آلاف مسألة تسأل أبا جعفر عليه السلام منها عن ثلاثين كل يوم... (٢). أما إذا بلغ الإمام الباقر عليه السلام بيت الله الحرام، فيتهافت على مجلسه المقيمون فى مكة وللقادمون من الامصار، ويصبح

١- ١ فروع الكافى. ج ٦: ص ٢٥٦.

٢- ٢ رجال الكشى. ص ٢١٩.

ص: ١٣٩

مجلسه فى البيت الحرام حديث الحاج فى الموسم، لشدة ازدحام الناس عليه، (قال الأبرش الكلبى لهشام، مشيراً إلى الباقر عليه السلام: مَنْ هذا الذى احتوشه. أهل العراق يسألونه؟ قال هذا نبى الكوفة، وهو يزعم أنه ابن رسول الله، وباقر العلم، ومفسر القرآن، فاسأله مسألة لا يعرفها، فأناه، وقال: يا ابن على قرأت التوراء، والانجيل، والزبور، والفرقان؟ قال: نعم، قال: فإنى أسألك عن مسائل؟ قال: سل، فإن كنت مسترشداً فستنتفع بما تسأل عنه، وإن كنت متعتاً فتضل بما تسأل عنه ...) (١). ويؤكد موقف آخر تجمهر طلاب العلم حوله عليه السلام فى الحرم، كما يقول أبو بصير: (كان أبو جعفر الباقر عليه السلام جالساً فى الحرم، وحوله عصابة من أوليائه، إذ أقبل طاووس اليماني فى جماعة، فقال: من صاحب الحلقة؟ قيل: محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام، قال: إياه أردت، فوقف عليه، وسلّم وجلس، ثم قال: أتأذن لى فى السؤال؟ فقال الباقر عليه السلام: قد أذناك فسل ...) (٢). وتخرج فى مدرسه الإمام الباقر عليه السلام نخبة من العلماء الذين سهروا على حفظ ورواية أحاديث أهل البيت عليهم السلام ونشرها بين حفظة العلم، من أمثال أبان بن تغلب بن رباح، الذى كان من تلامذة على بن الحسين، وأبى جعفر، وأبى عبدالله عليهم السلام، روى عنهم، وكانت له عندهم منزلة وقدم ... وقال له أبو جعفر عليه السلام:

«اجلس فى مسجد المدينة وأفت الناس، فإنى أحب أن يرى فى شيعتى مثلك» ...

وكان أبان إذا قدم المدينة تقوّضت إليه الحلق، وأخليت له سارية النبيصلى الله عليه وآله وسلم (٣). واعترف الجمهور باستيعاب تلامذة الإمام الباقر عليه السلام ودقتهم فى رواية الحديث الشريف، فقد ورد فى (مسند أبى حنيفة قال الراوى: ما سألت جابر الجعفى قط مسألة إلا أتانى فيها بحديث ...) (٤). وهكذا كان محمد بن مسلم الثقفى الذى يقول: (ما شجر فى رأى شىء قط إلا سألت عنه أبى جعفر عليه السلام، حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبى عبدالله عليه السلام عن ستة عشر ألف

١-١ محمد باقر المجلسى: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ، ج ٤٦: ص ٣٥٥.

٢-٢ المصدر السابق، ص ٣٥٤-٣٥٥.

٣-٣ رجال النجاشى. ص ١٠-١٢.

٤-٤ بحار الأنوار. ج ٤٦: ص ٢٨٩.

ص: ١٤٠

حديث (١). وكان بعض الوافدين إلى مدرسة الإمام الباقر عليه السلام من الأمصار يمكثون عدّة سنوات فيها للتزود من معارف أهل البيت عليهم السلام منقطعين عن أوطانهم وأهليهم، كما فعل محمد بن مسلم الذى (أقام بالمدينة أربع سنين يدخل على أبى جعفر عليه السلام يسأله، ثم كان يدخل على جعفر بن محمد عليه السلام يسأله) (٢).

وقدم جابر الجعفى إلى المدينة لطلب العلم منه عليه السلام، يقول جابر: (دخلت على أبى جعفر عليه السلام وأنا شاب، فقال من أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال: ممّن؟

قلت: من جعفى، قال: ما أقدمك إلى ههنا؟ قلت: طلب العلم، قال: ممن؟ قلت:

منك (... (٣).

ولا يسعنا فى هذا المقام أن نتحدث عن جميع من تخرج فى مدرسة الامام الباقر، والذين تجاوز عدد المعروفين منهم أكثر من (٤٥٠) أربعمائه وخمسين رجلاً (٤).

وبعد وفاة الإمام الباقر خلفه فى مدرسته ولده الإمام جعفر بن محمد الصادق، الذى (نقل الناس عنه من العلوم ماسارت به الركب، وانتشر ذكره فى البلدان، ولم يُنقل عن أحد من أهل بيته ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقله الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبى عبد الله عليه السلام، فان أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم فى الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل ... وكان عليه وآبائه السلام يقول: «حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدى، وحديث جدى حديث على بن أبى طالب أمير المؤمنين، وحديث على أمير المؤمنين حديث رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ» (٥). واتسع نطاق مدرسته فاستوعبت عدداً غفيراً من طلاب العلم، وامتدت جغرافياً لتتخذ من مدينة الكوفة مركزاً لها فى ذروة نموها وتطورها. فإن انتقال الإمام وحلوله فى أى مكان كان سبباً لأن

١- ١ رجال الكشى. ص ١٤٣.

٢- ٢ المصدر السابق: ص ١٤٧.

٣- ٣ المصدر السابق. ص ١٩٢-١٩٣.

٤- ٤ الشيخ محمد بن الحسن الطوسى. رجال الطوسى. قم: منشورات الرضى، ص ١٠٢-١٤٢.

٥- ٥ الإرشاد فى معرفة حجج الله على العباد- المفيد- ص ١٧٩، ١٨٦.

ص: ١٤١

يقصده أهل العلم ويلتفوا حوله للارتشاف من ندير علمه. وكان البعض يستفيد من وفود الإمام الصادق عليه السلام إلى بيت الله الحرام فيتلقي العلم منه، ويلجأ إليه فى دحض شبهات الزنادقة التى بدأت بالظهور فى هذا العصر، وبلغت الجراء بأصحابها أن يذيعوها فى المسجد الحرام فى موسم الحج، فان (ابن أبى العوجاء، وابن طالوت، وابن الأعمى، وابن المُقَفَّع، فى نفرٍ من الزنادقة، كانوا مجتمعين فى الموسم بالمسجد الحرام، وأبو عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام فيه إذ ذاك يفتى الناس، ويُفسر لهم القرآن، ويُجيب عن المسائل بالحجج والبيئات. فقال القوم لابن أبى العوجاء: هل لك فى تغليط هذا الجالس وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به؟ فقد ترى فتنة الناس به، وهو علامة زمانه، فقال لهم ابن أبى العوجاء: نعم، ثم تقدم ففرق بين الناس، وقال: أبا عبدالله، إن المجالس أمانات، ولا بد لكل من كان به سُعالٌ أن يسعل، فتأذن فى السؤال؟ فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «سل إن شئت».

فقال له ابن أبى العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟! مَنْ فكر فى ذلك وقدر، علم أنه فعل غير حكيم ولا ذى نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنائه، وأبوك أسه ونظامه. فقال له الصادق عليه وعلى آبائه السلام: «إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق فلم يستعذبه، وصار الشيطان وليه وربّه، يُورده مناهل الهلكة، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم فى إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله قبله للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يودى إلى عُفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه قبل دخو الأرض بألفى عام، فأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عما زجر، الله عز وجل المنشىء للأرواح والصور».

فقال له ابن أبى العوجاء: ذكرت - أبا عبدالله - فأحلت على غائب. فقال

ص: ١٤٢

الصادق عليه السلام:

«كيف يكون- يا ويلك- عَنَّا غائِباً مَنْ هُوَ مَعَ خَلْقِهِ شَاهِدٌ، وَإِلَيْهِمْ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ؟! يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَيَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ، لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَشْتَغَلُ بِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَى مَكَانٍ أَقْرَبُ مِنْ مَكَانٍ، تَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ آثَارُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ أَعْمَالُهُ، وَالذِّى بُعِثَ بِالْآيَاتِ الْمَحْكَمَةِ وَالْبِرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَاءَنَا بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ، فَإِنْ شَكَّكَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ فَاسْأَلْ عَنْهُ أَوْضَحَهُ لَكَ». قال: فأبلس ابنُ أبي العوجاء، ولم يدر ما يقول، فانصرف من بين يديه، وقال لأصحابه:

سألتكم أن تلتمسوا لى حُمْرَةً فَأَلْقَيْتُمُونِى عَلَى جَمْرَةٍ، قَالُوا لَهُ: اسْكُتْ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ فَضَحْتَنَا بِحَيْرَتِكَ وَانْقِطَاعِكَ، وَمَا رَأَيْنَا أَحَقَرَ مِنْكَ الْيَوْمَ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ: أَلِى تَقُولُونَ هَذَا؟! إِنَّهُ ابْنُ مَنْ حَلَقَ رُؤُوسَ مَنْ تَرَوْنَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى أَهْلِ الْمَوْسَمِ (١).

وعندما نراجع مواقف المعاصرين للإمام جعفر الصادق من الفقهاء، والرواة، والمفسرين، نجدهم يعترفون بأسرهم له بالفضل والمقام العلمى الشامخ، ويشهد الخصم منهم فضلاً عن سواه بمرجعيتة العلمية، وحاجة الجميع اليه واستغنائه عن الجميع، يقول النوفلى: (سمعتُ مالك بن أنس الفقيه يقول: واللَّه ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد عليه السلام زُهداً، وفضلاً، وعبادة، وورعاً، وكُنْتُ أَقْصَدُهُ فَيَكْرَمُنِي، وَيُقْبِلُ عَلَيَّ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا ثَوَابُ مَنْصَامٍ يَوْمًا مِنْ رَجَبٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا؟ فَقَالَ: - وَكَانَ وَاللَّهِ إِذَا قَالِصَدَقَ - حَدَّثَنِى أَبُو عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْصَامٌ مِنْ رَجَبٍ يَوْمًا إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا ثَوَابُ مَنْصَامٍ يَوْمًا مِنْ شَعْبَانَ؟

فَقَالَ: حَدَّثَنِى أَبُو عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْصَامٌ يَوْمًا مِنْ شَعْبَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ (٢).

١-١ المصدر السابق. ص ١٩٩-٢٠١.

٢-٢ بحار الأنوار. ج ٤٧: ص ٢٠. عن: أمالى الصدوق. ص ٥٤٢.

ص: ١٤٣

وبمثل هذا يشهد الفقيه المعروف أبو حنيفة، كما فى (مسند أبى حنيفة، قال الحسن بن زياد: سمعتُ أبا حنيفة وقد سُئِلَ مَنْ أَفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد. لما أقدمه المنصور بعث إليّ، فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فُتِنوا بجعفر بن محمد فهَيَّيْء له من مسائلك الشداد، فهَيَّيْء له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته، فدخلتُ عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلَمَّا بصرت به، دخلنى من الهيبة لجعفر ما لم يدخلنى لأبى جعفر، فسَلَّمْتُ عليه، فأوماً إليّ فجلستُ، ثم التفتَ اليه، فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه، ثم التفتَ إليّ، فقال: يا أبا حنيفة ألقى على أبى عبد الله من مسائلك، فجعلتُ ألقى عليه فيجيبنى، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشىء. ثم قال أبو حنيفة: أليس أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس) (١).

وقد أمضى الامام جعفر الصادق عليه السلام جُلَّ حياته فى المدينة المنورة منصرفاً لإحياء السنه الشريفه ونشر معارف الوحي، كتب الشهرستانى يصف الإمام الصادق عليه السلام (وهو ذو علم غزير فى الدين، وأدب كامل فى الحكمة، وزهد بالغ فى الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة، يفيد الشيعة المتمين اليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق، وأقام بها مدة) (٢).

واشتهر مجلسه فى المدينة؛ لأنه (كان يجلس للعامه والخاصه، ويأتيه الناس من الأقطار، يسألونه عن الحلال والحرام، وعن تأويل القرآن، وفصل الخطاب، فلا يخرج أحد منهم إلأراضياً بالجواب) (٣). واستقطب مجلسه القادمين إلى المدينة، فكان أهل العلم لا يتركون الورد عليه عندما يأتونها، فقد دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم، فقال له: (يا أبا حنيفة، إن ههنا جعفر بن

١-١ ابن شهر آشوب. مناقب آل أبى طالب. تصحيح: هاشم الرسولى المحلاتى. قم: انتشارات علامه، ج ٤: ص ٢٥٥.

٢-٢ الشهرستانى. كتاب الملل والنحل. تخريج: محمد بن فتح الله بدران. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ج ١: ص ١٤٧.

٣-٣ المسعودى، على بن الحسين. اثبات الوصية. بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٩ هـ، ص ١٩٦.

ص: ١٤٤

محمد، من علماء آل محمد، فذهب بنا إليه، نقتبس منه علماً، فلما أتيا إذا هما بجماعة من علماء شيعة ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه (...) (١) ولم ينقطع توافد أصحابه عليه على مدار السنة، وكان يزدحم وفدهم وقت الحج، فمثلاً عُرف عن زرارة بن أعين واخوانه مجيؤهم اليه من الكوفة باستمرار، حتى (قال ربيعة الرأى لأبى عبدالله عليه السلام: ما هؤلاء الأخوة الذين يأتونك من العراق، ولم أر فى أصحابك خيراً منهم ولا أهياً؟ قال: أولئك أصحاب أبى، يعنى ولد أعين) (٢).

وهكذا (عمر بن محمد بن يزيد أبو الأسود بياع السابرى ... أحد من كان يفد فى كل سنة) (٣)، إلى أبى عبدالله عليه السلام من الكوفة للارتشاف من معارف الوحي لديه.

وهاجر آخرون من أصحابه إلى المدينة عازفاً عن وطنه ملتحقاً به عليه السلام، مثلما فعل حماد بن عيسى الجهنى البصرى، الذى (لحق بأبى عبدالله عليه السلام، ومات بوادى قنأ بالمدينة ... سنة تسع ومائتين) (٤).

وقد أسهم تزايد وفود أصحاب الصادق عليه السلام إلى المدينة فى تنامى الحركة العلمية فيها، وازدهار حلقات الدراسة والمناظرة فى أروقة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول أبو خالد الكابلى: (رأيت أبا جعفر صاحب الطاق، وهو قاعد فى الروضة، قد قطع أهل المدينة أزراره، وهو دائب يجيبهم ويسألونه، فدنوت منه، فقلت: إن أبا عبدالله ينهانا عن الكلام، فقال: أمرك أن تقول لى؟ فقلت: لا- والله، ولكن أمرنى أن لا- أكلم أحداً، قال: فاذهب فأطعه فيما أمرك، فدخلت على أبى عبدالله عليه السلام، فأخبرته بقصة صاحب الطاق، وماقلت له، وقوله لى اذهب وأطعه فيما أمرك، فتبسم أبو عبدالله عليه السلام، وقال: يا أبا خالد، إن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض، وأنت إن قصوك لن تطير) (٥). وما كان لهذه الحركة العلمية أن تأخذ بالاتساع لو لم يكن الإمام مرشداً وهادياً لها، فقد كان أبو عبدالله عليه السلام، يقول لعبد الرحمن بن الحجاج: (يا عبد الرحمن كلم أهل المدينة،

١- ١ الطبرى. الاحتجاج. ص ٢١٠.

٢- ٢ رجال الكشى. ص ١٤١.

٣- ٣ العلامة الحلى. رجال العلامة الحلى. تحقيق السيد محمدصادق بحر العلوم. النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٤١ م، ص ١١٩.

٤- ٤ الشيخ المفيد. الاختصاص. ص ٢٠٥.

٥- ٥ رجال الكشى. ص ١٨٥-١٨٦.

ص: ١٤٥

فإننى أحب أن يُرى فى رجال الشيعة مثلك) (١).

وكان الامام جعفر الصادق عليه السلام يغمز تلامذته يفيض من العطف والرعاية والموودة، ويتكفل شيئاً من نفقتهم، ويقوم بضيافتهم فى منزله إذا وردوا المدينة، يقول زيد الشحام: (رأنى أبو عبدالله عليه السلام وأنا أصلى، فأرسل الئى ودعانى، فقال لى: من أين أنت؟ قلت: من مواليك، قال: فأئى موالى؟ قلت: من الكوفة، فقال:

من تعرف من الكوفة؟ قلت: بشير التبال وشجرة، قال: وكيفصنعتهما اليك؟

فقال: ما أحسنصنعتهما إلى! قال: خير المسلمين من وصل وأعان ونفع، ما بئ ليله قط ولله فى مالى حق يسألنيه، ثم قال: أى شىء معكم من النفقة؟ قلت:

عندى مائتا درهم، قال: أرنها، فأتيتها بها فزادنى فيها ثلاثين درهماً ودينارين، ثم قال: تعش عندى، فجئت فتعشيت عنده، قال: فلما كان من القابلة لم أذهب اليه، فأرسل إلى فدعانى من عنده (من غده)، فقال: مالك لم تأتنى البارحة، قد شفقت على؟ فقلت: لم يجتنى رسولك، قال: فأنا رسول نفسى إليك مادمت مقيماً فى هذه البلدة، أى شىء تشتهى من الطعام؟ قلت: اللبن، قال: فاشترى من أجلى شاه لبوناً... (٢). ويتكرر هذا الموقف مع آخرين من أصحابه جاءوا المدينة، فعن مفضل بن قيس بن رمانة، الذى قال: (دخلت على أبى عبدالله عليه السلام، فشكوتُ اليه بعض حالى، وسألته الدعاء... فقال: هذا كيس فيه أربعمائة دينار، فاستعن به، قال: قلت: لا والله، جعلتُ فداك ما أردتُ هذا، ولكن أردت الدعاء لى... (٣). وفى حالات أخرى يبادر من يدخل عليه فيكرمه، كما يقول جابر المكفوف: (دخلت عليه، فقال: أما يصلونك؟ قلت: بلى، ربما فعلوا، قال: فوصلنى بثلاثين ديناراً... (٤). بهذا الأسلوب يتفقد أبو عبدالله عليه السلام تلامذته، ويتولى تأمين نفقاتهم، ويقيهم الحاجة إلى غيره، وهو أسلوب ينبئنا عن كيفية تمويل التعليم وتأمين نفقات المتعلم وقتئذ.

١-١ المصدر السابق. ص ٢٤٢.

٢-٢ رجال الكشى. ص ٣٦٩.

٣-٣ رجال الكشىص. ١٨٤.

٤-٤ المصدر السابق. ص ٣٣٥.

ص: ١٤٦

وطالما حثَّ الامام عليه السلام أتباعه على طلب العلم، ولا سيما الشباب منهم، وتمنى لهم أن ينخرطوا فى سلك العلماء والمتعلمين، روى (أبو قتادة عن أبى عبدالله عليه السلام، أنه قال: لستُ أحبُّ أن أرى الشاب منكم إلَّا غادياً فى حالين: أما عالماً أو متعلماً، فإن لم يفعل فَرَط، فإن فَرَطَ ضَيِّع، وإن ضَيِّعَ أثم، وإن أثم سكن النار، والذي بعث محمدأصلى الله عليه وآله وسلم بالحق) (١).

وأفصح الصادق عليه السلام عن معيار يحدد فى ضوءه منزلة كل واحد من شيعته، فيما رواه عن أبيه الباقر عليه السلام حين قال له: (يا بنى اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هى الدراية للرواية، وبالدرایات للروایات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الايمان، إنى نظرت فى كتاب لعلّى فوجدتُ فى الكتاب:

أن قيمة كل أمرء وقدره معرفته، إن الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول فى دار الدنيا) (٢).

مدرسة المدينة بعد الامام الصادق عليه السلام:

لم يدم عصر الازدهار الذى عاشته مدرسة المدينة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام إثر ازدياد الاضطهاد، الذى كان يتعرض له تلامذة الأئمة فى العصر العباسى، وقسوة الأحوال الأمنية التى عاشوها، وانتهت بإمامهم موسى الكاظم عليه السلام إلى السجن، ثم القتل بالسم. وهيمت حالة من الخوف والذعر على الشيعة بالمدينة، أدت إلى حرصهم على التكتم، واحاطة نشاطهم بالسريه، يقول هشام بن سالم: (كنا بالمدينة بعد وفاة أبى عبدالله عليه السلام، أنا، ومؤمن الطاق، وأبو جعفر، ... فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومى إلى بيده، فخفت أن يكون من عيون أبى جعفر، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على أن من اتفق من شيعة جعفر فيضربون عنقه، فخفت أن يكون منهم، فقلت لأبى

١-١ الشيخ الطوسى. الأمالى. تحقيق: مؤسسه البعثه. قم: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٤١٤ هـ، ص ٣٠٣.

٢-٢ الشيخ الصدوق. معانى الأخبار. تصحيح: على أكبر الغفارى. قم: جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية، ١٣٦١ ش، ص ١-٢.

ص: ١٤٧

جعفر: تنحّ فإنى خائف على نفسى وعليك، وإنما يريدنى ليس يريدك، فتنحّ عنى لا تهلك وتعين على نفسك، فتنحّى غير بعيد. وتبع الشيخ، وذلك أنى ظننت أنى لا أقدر على التخلص منه، فمازلت أتبعه حتى وردنى على باب أبى الحسن موسى عليه السلام، ثم خلانى ومضى، فإذا خادم بالباب، فقال لى: أدخل رحمك الله، قال:

فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام، .. قلت: جعلت فداك، أسألك عما كان يسأل أبوك؟

قال: سل تُخبّر ولا تُدع، فإن أذعت فهو الذبح، قال: فسألته فإذا هو بحر. قال:

قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعه أبيك ضلال فألقى إليهم، وادعوهم إليك فقد أخذت على بالكتمان؟ قال: من أنست منهم رُشدًا فألق إليهم، وخذ عليهم بالكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح، وأشار بيده إلى حلقه ... (١).

إن هذه الظروف حالت بين الإمام الكاظم عليه السلام واتصال أصحابه به بنحو طبيعى، ذلك أن غياب الحرية ينتج ضمور الحركة العلمية وتراجعها، ومع ذلك فإن الإمام عليه السلام لم يتخلّ عن مهمّة بثّ معارف الوحي ونشرها بين خاصه أصحابه، كما حرص تلامذته على الإفاده من أية فرصة تتاح لهم بلقائه، وتسجيل كلّ شىء يتفوّه به، روى أبو الوضاح أن أباه قال: (كان جماعة من خاصة أبى الحسن عليه السلام من أهل البيت، والشيعه، يحضرون، ومعهم فى أكمامهم ألواح أبنوس لطاف، وأميال، فإذا نطق أبو الحسن بكلمة أو أفتى فى نازلة، أثبت القوم ما سمعوا منه فى ذلك) (٢).

وأصر الشيعه على مواصلة الاتصال بأبى الحسن موسى الكاظم عليه السلام وهو فى سجنه ببغداد، عبر مراسلات كانت تجرى بطريقة سرية، ولم تمنعه الرقابة المشدده فى السجن، وقسوة الأحوال التى كان يعيشها فيه من بيان معارف الوحي على خاصته، يقول على بن سويد السائى: (كتبت إلى أبى الحسن عليه السلام وهو فى الحبس، أسأله عن حاله، وعن جواب مسائل كتبت بها إليه، فكتب إلى:

١-١ السيد أبو القاسم الخوئى. معجم رجال الحديث. د. م: ط ٥، ١٤١٣ هـ، ج ٢٠: ص ٣٢٦-٣٢٧.

٢-٢ بحار الأنوار. ج ١٢: ص ٢٧٨. طبعه الكسبانى.

ص: ١٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم ... (١).

وربما بادر فى بعض المرات فبعث هو رسائل من سجنه إلى شيعته لتجليه وتوضيح أمور معينة؛ لئلا يلتبس الموقف فيها عليهم، يقول الحسين بن المختار:

(خرجت إلينا ألواح من أبى إبراهيم موسى عليه السلام، وهو فى الحبس، فإذا فيها مكتوب: عهدى إلى أكبر ولدى) (٢). بيد أن ماتعرض له الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من رقابه مشددة، آلت فى خاتمة المطاف إلى الحبس ثم الشهادة، لم تحجبه عن طلاب العلم وتمنعهم من التلمذ على يديه، أحصى منهم الشيخ الطوسى فى رجاله ما يربو على مائتين وخمسين (٣). ومع أن هذا العدد من التلاميذ يعد قليلاً بالمقارنة مع عدد تلامذته أبيه جعفر الصادق عليه السلام، الذى قُدّر بأربعة آلاف، لكن هذا العدد يعتبر كبيراً بالنسبة إلى طبيعة الظروف السياسية، التى عاشها الإمام وأصحابه فى ظل الحكم العباسى.

وبالرغم من أن هذه الظروف أعاقَت الإمام الكاظم عليه السلام عن التصدى للتدريس وإدارة الحلقات العلمية فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مثلما كان يفعل سلفه، إلا أنه عمد لتبني أساليب أخرى لا تثير حفيظة عيون السلطة، فى تربيته وتعليم تلامذته، ويمكن التعرف على شىء من ذلك فى العدد الوفير من الصحف والنسخ الحديثية التى دونها هؤلاء التلاميذ عنه، فقد ذكر النجاشى طائفة من أسمائهم مع بيان لأسماء كتبهم التى تلقوها من الإمام الكاظم عليه السلام، ومن هؤلاء:

محمد بن تميم النهشلى التميمى البصرى (٤)، ومحمد بن صدقة العنبرى البصرى (٥)، وعلى بن عبيد الله بن حسين (٦)، والحسن ابن على بن يقطين (٧)، وأخو الإمام الكاظم على بن جعفر (٨)، ومحمد بن الفرج الرُّخَجِي (٩)، وعبدالله ابن محمد الأهوازي (١٠)، وعلى بن يقطين (١١)، وموسى بن إبراهيم المروزى (١٢)، وعلى بن حمزة بن الحسن (١٣)، ومحمد بن زُرْقَان (١٤)، ومحمد بن ثابت (١٥).

١- ١ رجال الكشى. ص ٤٥٤.

٢- ٢ الشيخ الصدوق. عيون أخبار الرضا. تصحيح: السيد مهدي الحسينى اللاجوردى. قم: ١٣٦٣ ش، ص ٣٠.

٣- ٣ رجال الطوسى. ص ٣٤٢-٣٦٦.

٤- ٤ رجال النجاشى. ص ٣٦٥.

٥- ٥ المصدر السابق. ص ٣٦٤.

٦- ٦ المصدر السابق. ص ٢٥٦.

٧- ٧ المصدر السابق. ص ٤٥.

٨- ٨ المصدر السابق. ص ٢٥٢.

٩- ٩ المصدر السابق. ص ٣٧١.

١٠- ١٠ المصدر السابق. ص ٢٢٧.

١١- ١١ المصدر السابق. ص ٢٧٣.

١٢- ١٢ المصدر السابق. ص ٤٠٨.

١٣- ١٣ المصدر السابق. ص ٢٧٢-٢٧٣.

١٤-١٤ المصدر السابق. ص ٣٧٠.

١٥-١٥ المصدر السابق. ص ٣٦٩.

ص: ١٤٩

ومحمد بن فضيل بن كثير الصيرفى الأزدي (١). وذكر الشيخ الطوسى فى الفهرست «مسائل» ليونس بن عبد الرحمن (٢)، ولصفوان بن يحيى (٣)، رويها عن موسى بن جعفر عليه السلام.

ولم يقفل مسجد رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الحقبة أبوابه تماماً عن حلقات الدراسة، ومجالس العلم الشيعية، وإنما كان ينتخب موسى بن جعفر عليه السلام بعض أصحابه، ممن يتوفر على مزايا علمية متميزة، فيوجهه لعقد مجلس علم فى المسجد؛ لثلا- يغيصوت الهدى عن هذا المكان الشريف، يقول حماد: (كان أبو الحسن عليه السلام يأمر محمد بن حكيم أن يجالس أهل المدينة فى مسجد رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم، وأن يكلمهم ويخاصمهم، حتى كلمهم فيصاحب القبر، فكان إذا انصرف إليه، قال له: ما قلت لهم؟ وما قالوا لك؟ ويرضى بذلك منه) (٤).

على أن قلته ظهور موسى بن جعفر عليه السلام وتكتمه على بعض نشاطه العلمى، لم يخف حقيقته عن المسلمين، فقد أستأثر بمقام المرجعية العلمية خلفاً لسلفه من آباءه الأئمة عليه السلام، واعترف له بذلك قطاع كبير ممن عاصره أو جاء بعده، فمثلاً (كان أحمد بن حنبل مع انحرافه عن أهل البيت عليهم السلام، لما روى عنه، قال: حدثنى موسى بن جعفر، قال: حدثنى أبى جعفر بن محمد، قال: حدثنى أبى محمد بن على، قال:

حدثنى أبى على بن الحسين، قال: حدثنى أبى الحسين بن على، قال: حدثنى أبى على بن أبى طالب، قال: قال: رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال أحمد: وهذا إسناد لو قرى على مجنون لأفاق) (٥). بل أن هارون الرشيد الذى حبس موسى بن جعفر عليه السلام فيما بعد، يعترف بمقامه العلمى لما دخل عليه الإمام فى المدينة، فبالغ الرشيد فى احترامه، سأله ولده المأمون عن دوافع هذا الاحترام بدهشة! (لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئاً ما رأيتك فعلته بأحد من أبناء المهاجرين، والأنصار، ولا بنى هاشم، فمن هذا الرجل؟ فقال: يا بنى هذا وارث علم النبىين، هذا موسى بن جعفر

١-١ المصدر السابق. ص ٣٦٧.

٢-٢ الشيخ الطوسى. الفهرست. ص ١٨١.

٣-٣ المصدر السابق. ص ٨٣.

٤-٤ رجال الكشى. ص ٤٤٩.

٥-٥ ابن شهر اشوب. مناقب آل أبى طالب. ج ٤: ص ٣١٦-٣١٧.

ص: ١٥٠

بن محمد عليهم السلام، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا. قال المأمون: فحينئذ انغرس فى قلبى محبتهم (١). وبعد وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام تصدى لرعاية مدرسة المدينة ولده الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام، الذى نهج منهج سلفه فى إشاعة معارف الوحي لتلامذته الخاصين، حذراً من محاولات السلطة العباسية التى اغتالت والده، وكثفت جهودها لإجهاض مدرسته، ولذلك لم تعد حلقات مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الحقبة إلى عصر ازدهارها السابق فى أيام جعفر الصادق عليه السلام وأبيه محمد الباقر عليه السلام فقد صوّر أحد تلامذة الإمام الرضا عليه السلام حالة الخوف التى كانوا يعيشونها عقب وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، بقوله: (لما مضى أبو الحسن موسى عليه السلام، وتكلم الرضا خفنا عليه من ذلك، وقلنا له: إنك قد أظهرت أمراً عظيماً، وإننا نخاف عليك هذا الطاغية، فقال: ليجهد جهده، ولا سبيل له على. قال الصفوان: فأخبرنا الثقة أن يحيى بن خالد، قال للطاغى: هذا على ابنه قد قعد وادعى الأمر لنفسه، فقال: ما يكفيننا ما صنعنا بأبيه، تريد أن نقتلهم جميعاً) (٢) من هنا اضطر على بن موسى عليه السلام لاقتفاء أثر أبيه فى التكتم على المهم من حركته العلمية فى زمن هارون الرشيد، لكن هلاك الرشيد وجلوس المأمون الذى أظهر الولاء لأهل البيت على منصة الخلافة، أشاع مناخاً مناسباً من الحرية للإمام الرضا عليه السلام وتلامذته، وأتاح لهم ممارسة حياتهم الفكرية من دون خشية السلطان، وبرز الدور العلمى للإمام بالتدريج، بحيث أضحى مقامه العلمى فى المدينة، هو المرجع الذى يتلقى جميع أهل العلم منه، ويرجع إليه طلاب العلم دون غيره من علماء التابعين، الذين كان عددهم وفيراً فى المدينة آنذاك، كما ينقل أبو الصلت الهروى: (ولقد سمعت على بن موسى الرضا عليهما السلام، يقول: كنت أجلس فى الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيى

١-١ الصدوق. عيون أخبار الرضا. ج ١: ص ٩٣.

٢-٢ الطبرسى. إعلام الورى بأعلام الهدى. تصحيح: على أكبر الغفارى: بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩، ص ٣١٣.

ص: ١٥١

الواحد منهم عن مسأله، أشاروا إلى بأجمعهم، وبعثوا إلى بالمسائل، فأجبت عنها (١). وقد أذعن علماء الأديان له، واعترفوا بتفوقه العلمى، بعد أن فند مقولاتهم، ونقض حججهم، وتغلب عليهم فى مناظراته معهم، فقد ذكر الهروى أنه لم يرَ (أعلم من على بن موسى الرضا عليهما السلام، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادته، ولقد جمع المأمون فى مجالس له ذوات عدد علماء الأديان، وفقهاء الشريعة، والمتكلمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى مابقى أحد منهم إلا أقر له بالفضل، وأقر على نفسه بالقصور ...) (٢).

وأكد إبراهيم بن العباس تفوق على بن موسى الرضا عليه السلام العلمى على كافة علماء عصره، بقوله: (... وما رأيت نقل إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه، بما كان فى الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شىء فيجيب عنه، وكان كلامه كله، وجوابه، وتمثله، انتراعات من القرآن، وكان يختمه فى كل ثلاث، ويقول: لو أنى أردت أختمه فى أقرب من ثلاث لختمت، ولكنى ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها، وفى أى شىء أنزلت، وفى أى وقت، فلذلك صرت أختمه فى كل ثلاث) (٣).

لقد ازدلف طلاب العلم من شتى الأمصار ينهلون من معارف الوحي عند على بن موسى الرضا عليه السلام، وصار العلماء يقتفون أثره للترود منه أينما حل، كما (حدث أبو الصلت، قال: كنت مع على ابن موسى الرضا عليه السلام، وقد دخل نيسابور، وهو راكب بغلة شهباء، فغدا فى طلبه علماء البلد: أحمد بن حرب، وياسين بن النضر، ويحيى بن يحيى، وعدة من أهل العلم، فتعلقوا بلجامه فى المربعة، فقالوا:

بحق آباءك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك، قال: حدثنى أبى العدل الصالح موسى بن جعفر، قال: حدثنى أبى الصادق جعفر بن محمد، قال: حدثنى أبى باقر علم الأنبياء محمد بن على، قال: حدثنى أبى سيد العابدين على بن

١-١ المصدر السابق. ص ٣١٥.

٢-٢ المصدر السابق. ص ٣١٥.

٣-٣ المصدر السابق. ص ٣١٤.

ص: ١٥٢

الحسين، قال: حدثنى أبى سيد شباب أهل الجنة الحسين بن على، قال: سمعت أبى سيد العرب على بن أبى طالب، قال: سمعت رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الإيمان معرفه بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. قال: وقال: أحمد بن حنبل: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرأ من جنونه (١). وروى أبو الصلت هذا الحديث فى مجلس طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان، (وفى مجلسه يومئذ إسحاق بن راهويه ... وجماعه من الفقهاء وأصحاب الحديث ... فخرس أهل المجلس كلهم، ونهض أبو الصلت، فنهض معه إسحاق بن راهويه والفقهاء، فأقبل إسحاق بن راهويه على أبى الصلت، وقال له .. يا أبا الصلت، أى إسناد هذا؟ فقال: يا بن راهويه، هذا سعوط المجانين، هذا عطر الرجال ذوى الألباب) (٢).

لقد منحت الحرية النسبية فى عصر المأمون الإمام الرضا عليه السلام فرصة ثمينة لنشر السنه الشريفه بين رواه الحديث، ولذلك كان يحث أصحابه باستمرار على تعلم معارف أهل البيت عليهم السلام، واذاعنها ونشرها بين الناس، كيما يتعرف الناس على معالم مدرسه الوحي عبر قنواتها الأصيلة. يقول الهروى: (سمعتُ أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا، ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا ...) (٣) ووردت اشارات يستفاد منها أن الإمام الرضا عليه السلام كان يطلب من بعض تلامذته التصدى لمهمه التعليم فى مواطنهم، وكان يحيل إليهم أصحابه من مواطنهم، فقد ذكر عبد العزيز بن المهتدى، الذى كان من خاصه أصحاب الإمام عليه السلام أنه سأله قائلاً: (إنى لا ألقاك فى كل وقت، فعمّن آخذ معالم دينى؟ قال:

خُذْ من يونس بن عبد الرحمن) (٤). وقال ابن المسيب الهمداني: (قلت للرضا عليه السلام شقتى بعيدة، ولست أصل اليك فى كل وقت، فممن آخذ معالم دينى؟

قال: من زكريا بن آدم القمى المأمون على الدين والدنيا) (٥). إن توجيه الإمام

١- ١ الأربلى. كشف الغمه. ج ٣: ص ٩٧.

٢- ٢ الشيخ الطوسى. الأمالى. ص ٤٤٩.

٣- ٣ الشيخ الصدوق. عيون أخبار الرضا .. ج ١: ص ٧.

٤- ٤ رجال الكشى. ص ٤٨٣.

٥- ٥ رجال العلامة الحلى. ص ٧٥.

ص: ١٥٣

الرضا عليه السلام أصحابه لتعلم معالم دينهم من يونس بن عبد الرحمن، وزكريا بن آدم، يدلل على اهتمام الإمام عليه السلام بتنمية النبتة الفتية للحركة العلمية فى الأمصار الشيعية، التى عُرسَت بذرتها من قبل آباءه الطاهرين عليهم السلام وتلامذتهم المخلصين. وتجدر الإشارة إلى أن العصر الذى عاش فيه الإمام الرضا عليه السلام اتسم بازدهار الحياة العقلية وتأسيس مراكز علمية هامة لدى المسلمين، التى كان من أبرزها بيت الحكمة فى بغداد، الذى باشر فيه جملة من المترجمين نقل العلوم اليونانية وغيرها من علوم الأوائل إلى العربية. وقد رافق هذه الحركة ولادة وانبعث مجموعة تيارات فكرية، كانت تموج بها الحياة العقلية وقتئذ، وولدت فى هذا الفضاء الثقافى أسئلة متنوعة، حار أهل العلم فى تقديم إجابات شافية عنها، فتكفل على بن موسى الرضا عليه السلام ببيان إجابات دقيقة عن تلك الأسئلة الحائرة، فقد ذكر محمد بن عيسى اليقطينى فى تقدير عدد الأسئلة، أنه: (لما اختلف الناس فى أمر أبى الحسن الرضا عليه السلام، جمعت من مسائله، مما سُئل عنه وأجاب عنه، خمس عشرة ألف مسألة) (١). وهو عدد كبير، ولاسيما إذا لاحظنا طبيعة العصر آنذاك وبدائية وسائل الاتصال فيه. بيد أن هذا العدد من المسائل يكشف عن مدى نمو الحياة العقلية فى ذلك العصر، والموقع الذى كان يحتله الإمام فى توجيهها.

وبعد وفاة على بن موسى الرضا عليه السلام ورثه فى الإشراف على مدرسة المدينة ولده أبو جعفر محمد الجواد عليه السلام، الذى نصّ عليه بقوله: (... هذا أبو جعفر، قد أجلسه مجلسى، وصيرته مكانى، وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القُدَّة بالقُدَّة) (٢). وقد تصدى أبو جعفر عليه السلام للمهام، التى كان يضطلع بها أبوه من قبل فى سن مبكرة، وبرهن للعامَّة والخاصة تقدمه على سواه، وحمله لموارث النبوة، فكان إذا دخل مسجد رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم هرع إليه أهل العلم

١-١ الشيخ الطوسى كتاب الغيبة. تحقيق: الشيخ عباد الله الطهرانى، والشيخ على أحمد ناصح. قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١ هـ، ص ٧٣.

٢-٢ الشيخ المفيد. الإرشاد. ج ٢: ص ٢٧٦.

ص: ١٥٤

للإفادة منه، وتؤكد بعض المواقف أن التبجيل والاحترام اللذين يعامله بهما هؤلاء يعبران عن اعترافهم بفضله وتقدمه على غيره، ويتجلى هذا بوضوح فى الموقف الذى نقله (محمد بن الحسن بن عمار، قال: كنت عند على بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنين أكتب عنه ما يسمع من أخيه- يعنى أبا الحسن عليه السلام- إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن على الرضا المسجد- مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم- فوثب على بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم أجلس رحمك الله، فقال: ياسيدى كيف أجلس وأنت قائم، فلما رجع على بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبية، وأنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا، إذا كان الله عز وجل - وقبض على لحيته- لم يؤهل هذه الشيبة، وأهل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد) (١). مع العلم أن على بن جعفر كان من العلماء المعروفين فى مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى ذلك الوقت، حتى أن بعض التلامذة كان يبقون عنده سنوات متلمذاً عليه، وهو فى هذا المقام العلمى الشامخ نراه يبالغ فى تعظيم الإمام الجواد عليه السلام، وهذا يكشف عن الإذعان لمرجعته العلميه لمدرسة المدينة، والاعتراف بتفوقه على من عاصره من أهل العلم. وقد تجاوزت شهرة الإمام عليه السلام حدود المدينة، فعرفه أهل العلم فى بقية الأمصار، خاصة فى عاصمة الخلافة يومئذ بغداد، (وكان المأمون قد شغف بأبى جعفر عليه السلام، لما رأى من فضله معصغر سنه، وبلوغه فى العلم والحكمة، والأدب، وكمال العقل، مالم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوجه ابنته أم الفضل، وحملها معه إلى المدينة، وكان متوفراً على إكرامه، وتعظيمه، وإجلال قدره) (٢). وكان المأمون قد واجه معارضة شديدة من البيت العباسى لما قرر تزويج ابنته لأبى جعفر الجواد عليه السلام، فاضطر أن يفسح لهم عن الأسباب التى دعت للإقدام على ذلك،

١-١ أصول الكافى. ج ١: ص ٣٢٢.

٢-٢ الشيخ المفيد. الإرشاد. ج ٢: ص ٢٨١.

ص: ١٥٥

بقوله: (وأما أبو جعفر محمد بن على فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل فى العلم والفضل معصغر سنّه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ماقد عرفته منه فيعلموا أن الرأى ما رأيتُ فيه) (١). إلّا أن المعترضين لم يقبلوا ما قاله المأمون، (فقالوا: إن هذا الصبى وإن راقك منه هديّه، فإنهبصبيّ لا معرفه له ولا فقه، فأمله ليتأدب، ويتفقه فى الدين، ثم اصنع ماتراه بعد ذلك .. فقال لهم:

... فإن شئتم فامتنحوا أبا جعفر، بما يتبين لكم به ما وصفتُ من حاله). فاتفقوا مع المأمون على انتداب قاضى القضاة يحيى بن أكنم لامتحانه، وكان أبو جعفر يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فعقد مجلس بحضور المأمون، والمعترضين، وبدأت المناظرة بسؤال وجهه يحيى بن أكنم لأبى جعفر عليه السلام، بالصيغة التالية: (ما تقول - جعلتُ فداك - فى مُحرم قتلَصيداً؟ فقال له أبو جعفر: قتلُه فى حلٍّ أو حَرَم؟

عالمًا كان المُحرم أم جاهلاً؟ قتله عمدًا أو خطأ؟ حُرًا كان المُحرم أم عبدًا؟ صغيرًا كان أم كبيرًا؟ مُبتدئًا بالقتل أم مُعيدًا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟

منصغار الصيد كان أم من كبارها؟ مُصرًا على ما فعل أو نادماً؟ فى الليل كان قتلُه للصيد أم نهاراً؟ مُحرمًا كان بالعُمره إذ قتله، أو بالحجّ كان مُحرمًا؟ فتحيّر يحيى بن أكنم، وبان فى وجهه العجز والانقطاع، ولجّج حتى عرّف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لى فى الرأى، ثم نظر إلى أهل بيته، وقال لهم:

أعرفتم الآن ما كنتم تُنكرُونه؟ ... ثم أجاب أبو جعفر عليه السلام على هذه الفروع بالتفصيل، وعاد فسأل يحيى بن أكنم بمسألة أخرى، فلم يحر ابن أكنم جواباً، فأجاب عليها الإمام عليه السلام مثلما فعل فى سابقها (فأقبل المأمون على مَنْ حضره من أهل بيته، فقال لهم: هل فيكم أحدٌ يجيبُ عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال؟! قالوا: لا والله، إن أمير المؤمنين أعلم

ص: ١٥٦

وما رأى.

فقال لهم: ويحكم، إن أهل هذا البيت حُصُوا من الخلق بمترون من الفضل، وإنَّصَرَ السُّنَّ فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام، وحكّم له به، ولم يدعُ أحداً فى سنّه غيره. وبأيع الحسن والحسين عليهما السلام، وهما ابنا دون الست سنين، ولم يباعدصياً غيرهما؟ أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجرى لآخرهم ما يجرى لأولهم؟! قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم (١).

ومكث أبو جعفر مضطرباً بالمرجعية العلمية فى المدينة طيلة حياته، (فلم يزل بها حتى أشخصه المعتصم فى أول سنة عشرين ومائتين إلى بغداد، فأقام بها إلى أن توفى فى آخر ذى القعدة من هذه السنة) (٢). وكان مقامه فى المدينة محط أنظار الفقهاء والمحدثين، فقد استقطب القادمين إلى الحج منهم، وكانوا بعد إنصرافهم يردون المدينة للقاء أبى جعفر الجواد عليه السلام والتزود من علومه، والوقوف على الإجابات الصحيحة للأسئلة والإشكالات المختلفة، التى كانت تتوالد كل يوم، مع اتساع معرفة المسلمين بالثقافات المترجمة من اليونانية والسريانية وغيرها. ففى أحد السنوات (وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً، فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة؛ ليشاهدوا أبى جعفر عليه السلام، فلما وافوا أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج اليهم عبدالله بن موسى، فجلس فيصدر المجلس، وقام مناد، وقال: هذا ابن رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم، فمن أراد السؤال فليسأله، فسئل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب، فورد على الشيعة ما حيرهم وغمهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا وهموا بالانصراف، وقالوا

١-١ المصدر السابق. ص ٢٨٣-٢٨٧.

٢-٢ المصدر السابق. ص ٢٨٩.

ص: ١٥٧

فى أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل لجواب المسائل لما كان من عبدالله ما كان، ومن الجواب بغير الجواب. ففتّح عليهم باب منصدر المجلس، ودخل موفّق وقال: هذا أبو جعفر، فقاموا إليه بأجمعهم، واستقبلوه، وسلموا عليه، فدخل صلوات الله عليه، وعليه قميصان، وعمامة بذوابتين، وفى رجليه نعلان، وجلس، وأمسك الناس كلهم، فقام صاحب المسألة فسأله عن مسائله، فأجاب عنها بالحق، وفرحوا، ودعوا له، وأثنوا عليه، وقالوا له: إن عمّك عبدالله أفتى بكيت وكيت، فقال: لا إله إلا الله، ياعمّ إنّه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه، فيقول لك: لِمَ تفتى عبادى بما لم تعلم، وفى الأمة مَنْ هو أعلم منك؟ (١).

وخلف الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام بعد وفاته ولده الإمام أبا الحسن على الهادى عليه السلام، الذى شغل مقام أبيه فى رعايته مدرسة المدينة، فقد مكث الإمام الهادى عليه السلام فى المدينة نحو ثلاث وعشرين سنة بعد وفاة أبيه، ثم أشخصه المتوكل العباسى إلى العراق، (وكان مقامه بسير مَنْ رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهرًا) (٢). وكان أبو الحسن عليه السلام يتولى رعايته تلامذته، ويشرف على أنشطتهم، ويتابع أعمالهم، ويراقب سلوكهم وهو فى المدينة، عبر مكاتباته معهم، هذه المكاتبات التى تضمنت حلولاً لمشكلات عقائدية وفكرية كان يتعرض لها أتباع الإمام عليه السلام المنتشرون فى شتى الأصقاع، ولعلّ من أبرز هذه المكاتبات رسالته عليه السلام فى الرد على أهل الجبر والتفويض، وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، والتى جاء فيها: (من على بن محمد، سلام عليكم، وعلى مَن اتبع الهدى، ورحمة الله وبركاته، فإنه ورد على كتابكم، وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم فى دينكم، وخوضكم فى الصدر، ومقاله مَنْ يقول منكم بالجبر، ومَنْ يقول منكم بالتفويض، وتفرقكم فى ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتونى عنه، وبيانه لكم، وفهمت ذلك كله. اعلموا رحمكم الله ...) (٣). وكان أصحابه

١ - ١ الشيخ محمد باقر المجلسى. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٣ هـ، ج ٥٠:ص ١٠٠.

٢ - ٢ الشيخ المفيد. الإرشاد. ج ٢:ص ٣١٢.

٣ - ٣ الحسن بن على بن شعبة الحرانى. تحف العقول عن آل الرسول تصحيح: على اكبر الغفارى. قم: جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية، ١٤٠٤ هـ، ص ٤٥٨ - ٤٧٥.

ص: ١٥٨

يلجأون اليه فى مختلف أنواع التحدىأ التى تواجههم، ويأتى جوابه ليكون القول الفصل فى ذلك، فمثلاً كتب اليه بعض أصحابه: (جُعِلْتُ فداك ياسيدى، إن على بن حسكئة يدعى أنه من أوليائك، وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونيبك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم ... فكتب عليه السلام: كَذَبَ ابن حسكئة عليه لعنة الله، وبحسبك أنى لا أعرفه فى موالى، ماله لعنة الله، فوالله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنيفية ... (١).

وكانت الحركة العلمية عند الشيعة تخطى برعاية الإمام بكافة مناشطها وفعاليتها، وحرص الشيعة فى عصره على الرجوع اليه فيما التبس من مواقف وأفكار فى حياتهم، واطلاعه على التراث الذى بأيديهم، لمعرفة مدى أصالته ومطابقتها لهدى أهل البيت عليهم السلام، فقد قال الجعفرى: (أدخلت كتاب يوم ولية الذى ألفه يونس بن عبد الرحمن على أبى الحسن العسكرى عليه السلام، فنظر فيه، وتصفحه كله، ثم قال: هذا دينى ودين آبائى، وهو الحق كله) (٢).

ومع أن المصادر التاريخية تسكت عن الحديث حول النشاط التعليمى الخاص لأبى الحسن الهادى عليه السلام فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، إلا أن المصادر الرجالية ترجمت لأكثر من مائة وستين تلميذاً من أصحاب الإمام الهادى عليه السلام (٣)، من سائر بلدان التشيع وقتئذ. ويدل هذا العدد على كثافة الجهود التى كان يبذلها أبو الحسن عليه السلام فى تربية وتعليم تلامذته المقيمين فى المدينة، والذين يعيشون خارجها؛ فى سائر البلدان.

مدرسة المدينة بعد الإمام الهادى عليه السلام:

غادر الإمام الهادى عليه السلام موطنه وموطن آبائه عليه السلام المدينة مضطراً، بعد أن أشخصه المتوكل إلى سامراء، وفُرِضت عليه وعلى ولده الإمام العسكرى عليه السلام

١-١ رجال الكشى. ص ٥١٨-٥١٩.

٢-٢ رجال الكشى. ص ٤٨٤-٤٨٥.

٣-٣ رجال الطوسى. ص ٤٠٩-٤٢٧.

ص: ١٥٩

الاقامة فيها إلى وفاة الإمام الهادى عليه السلام سنة ٢٥٤ هـ، ثم وفاة الإمام العسكرى سنة ٢٦٠ هـ، وغيبه الإمام الثانى عشر المهدى عليه السلام.

وبغياب أبى الحسن الهادى عليه السلام عن المدينه طويتصفحة نور متلائه من تاريخ مدرسه الوحى بالمدينه، تعاقب على إدارتها سلسله مطهره من الهداه بدءاً بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته للمدينه حتى العقد الخامس من القرن الثالث الهجرى، بعد أن غادر الإمام العاشر عليه السلام من أئمه أهل البيت عليه السلام المدينه إلى سامراء.

ربما يقال هل أفلت هذه المدرسه أبوابها، وانصرف طلابها، منذ منتصف القرن الثالث، أم واصلت رسالتها فى نشر معارف الوحى فى القرون التاليه؟ فى الجواب عن هذا السؤال، يمكن القول: أنه نستطيع أن نجزم بعدم خلو المدينه من وجود أعلام معروفين من الشيعة فى فترات مختلفه، وهذا ما يورده بصراحه المؤرخون وكتاب التراجم، فمثلاً أحصينا ما ترجمهم السيد محسن الأمين فى كتابه «أعيان الشيعة» من الأعلام الشيعة المنسوبين إلى المدينه منذ عصر الصحابه إلى القرن الرابع عشر الهجرى، فوجدنا الرقم يقترب من الأربعمائه، بيد أن ذلك لا يمنعنا من القول: إن المدينه لم تعد حاضره علميه أساسيه للتشيع بعد عصر الأئمه عليهم السلام؛ لغبه الآخريين عليها، وانتقال المركز العلمى منها إلى الكوفه، وقم، والرى، ثم بغداد. وبقاء الشيعة فيها أقليه إلى عصرنا هذا.

تلخيص واستنتاج:

تأسيساً على ما سبق يمكن استخلاص النقاط التاليه؛ لبيان معالم مدرسه المدينه:

١- مؤسس مدرسه المدينه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بعد الهجرة الشريفه، ثم

ص: ١٤٠

ورثه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وورث الحسنان أبيهما عليهم السلام، ولم يزل أبناؤهم الأئمة يرث الخلف منهم السلف إلى أن هاجر الإمام العاشر أبو الحسن الهادى عليه السلام تاركاً المدينة إلى سامراء مكرهاً بأمر المتوكل العباسى.

٢- مركز الحركة العلمية فى المدينة هو مسجد رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم، فيه كانت تُعقد حلقات الدروس، وفيه يتلقى الرواة الأحاديث الشريفة، ويتعلم أهل القرآن تلاوته، وتفسيره، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه. وفيه أيضاً كانت تجرى المناظرات العلمية، وإليه ترد البعثات من سائر الأمصار، ممن يرحلون فى طلب العلم. وربما علم الأئمة عليهم السلام فى منازلهم أحياناً خاصة شيعتهم، حذراً من أعين السلطان.

٣- لم تقتصر مهمة التعليم فى مسجد رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم على الأئمة عليهم السلام فقط، بل كانت تعقد حلقات لتلامذتهم البارزين أيضاً، مثل حلقة عبدالله بن عباس كما ذكرنا فيما سبق، وغيره. وبموازاة ذلك عُقدت حلقات لرجال معروفين من الصحابة فى هذا المسجد كعبدالله بن عمر، وآخرين من التابعين بعد ذلك. وتميز فيما بعد دور مالك بن أنس الذى انطلق مذهبه من أروقة مسجد رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم، وتلميذه محمد بن إدريس الشافعى.

٤- مرت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالمدينة تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية التى عاشها التشيع بالأدوار التالية:

أ- الدور الأول: ويبدأ هذا الدور بتأسيس مدرسة المدينة، ويمتد إلى وفاة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ، ويمثل هذا الدور الذى استمر قرن ونصف القرن تقريباً عصر نشأة هذه المدرسة ونموها وبلوغها ذروة تكاملها فى حياة الإمام الصادق عليه السلام.

ب- الدور الثانى: ويبدأ هذا الدور مع الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

ص: ١٦١

بعد وفاة أبيه جعفر الصادق عليه السلام، ويمتد إلى مغادرة الإمام على بن محمد الهادى المدينة إلى سامراء نحو سنة ٢٣٤ هـ، ويمثل هذا الدور الذى استمر نحو قرن من الزمان عصر انكماش هذه المدرسة، واختفاء بعض نشاطاتها، وانتقال بعض حلقاتها من المسجد النبوى، وغيابها فى بيوت أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بالمدينة، وتحوّل بعض فعاليتها العلمية، مثل بعض الاتصالات والمكاتبات إلى الحالة السريّة، حذراً من السلطان الغاشم وجواسيسه على نشاطات الأئمة وشيعتهم.

ج- الدور الثالث: ويبدأ هذا الدور فى منتصف القرن الثالث الهجرى، بعد هجرة الإمام الهادى عليه السلام من المدينة، وانتقال مركز علوم أهل البيت عليهم السلام قبل ذلك إلى الكوفة، وقم، والرى، ثم بغداد. ويمثل هذا الدور عصر اضمحلال هذه المدرسة، وأفولها، وقلّة تعاطى دراسة علوم أهل البيت عليهم السلام فيها.

٥- كانت مدرسة المدينة هى ينبوع الذى تدفقت منه علوم أهل البيت عليهم السلام إلى المراكز العلمية الأخرى عند الشيعة، فمنها فاض العلم إلى الكوفة، ومنها فاض العلم إلى البصرة، ومنها فاض العلم إلى قم والرى، ثم انتشرت العلوم من هذه المراكز فيما بعد إلى غيرها من البلدان.

٦- علوم مدرسة المدينة تمحورت بالسنة الشريفة، والتفسير وعلوم القرآن، بشكل أساسى، وظهرت فيها فى فترة لاحقة بذور علم الكلام والفقه، واشتد عود العلمين الأخيرين فى الدور الثانى من أدوار مدرسة المدينة.

٧- خلقت مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى المدينة ميراثاً علمياً هاماً، تجسّد فى مجموعة كُتب توارثها أهل البيت عليهم السلام، هى: «صحيفة على عليه السلام»، و «كتاب على عليه السلام» أو «الجامعة»، و «مصحف فاطمة عليها السلام»، و «الصحيفة السجادية»، و «رسالة الحقوق». هذا غير الكُتب والمصنفات العديدة المنسوبة للأئمة عليهم السلام، التى رواها تلامذتهم عنهم (١).

١- ١ حول هذه الكتب، والمؤلفات المنسوبة للأئمة عليهم السلام، راجع كتاب: تدوين السنة الشريفة: ص ٥٢-٧٨، و ص ١٣٤-١٨٧. للصدىق العلّامة المحقق السيد محمد رضا الحسينى الجلالى.

ص: ١٦٢

٨- شهدت مدرسة المدينة أول تجارب للبعثات التعليمية فى تاريخ التعليم عند المسلمين، إذ لاحظنا بعض تلامذة أهل البيت عليهم السلام يهاجر من موطنه فى العراق، ويقيم فى المدينة أربع سنوات لغرض الدراسة، بينما كان آخرون يمكثون فترات أقل، ويتكاثف وجود طلاب العلم فى موسم الحج.

٩- عرفت مدرسة المدينة بالمدرسة السيارة المتنقلة، كما لاحظنا ذلك فى خروج عدد غفير من القراء بمعية على بن الحسين عليه السلام إلى مكة ورجوعهم معه بعد الفراغ من الموسم، واهتمامهم بالتلقى منه طيلة الطريق، وهكذا فعل أهل العلم مع بقية أهل البيت عليهم السلام. حتى أضحت مدرسة المدينة تنتقل إلى مكة كل عام فى موسم الحج مع قدوم إمام ذلك العصر إلى الحج، فيزدحم حوله المحذون والفقهاء والمتكلمون للارتشاف من نمير علمه فى حلقاته بالمسجد الحرام طيلة مقامه بمكة.

١٠- ظهرت فى مدرسة المدينة التجارب الأولى لتمويل التعليم عند المسلمين، بإيواء التلميذ القادم من خارج المدينة، واستضافته، والانفاق عليه.

ص: ١٦٣

الهوامش:

ارض عرفات

ص: ١٦٨

أرض عرفات

على قاضى عسكر

على بُعد ٢١ كيلومتراً تقريباً من مدينة مكة، توجد منطقة مقدّسة ذات تاريخ عريق تعرف باسم عرفات. يقصدها الحجاج لأداء حجّ التمتع، بعد ارتدائهم لملابس الإحرام، ويقفون في هذه المنطقة من ظهر اليوم التاسع من ذى الحجة إلى أوان غروب الشمس، منهمكين بالدعاء والتضرّع؛ لينزل الله تعالى عليهم رحمته، ويعطيهم الرخصة مرّة أخرى للدخول إلى الحرم. ويبدى الضامنون لعيون المعرفة، والعرفاء العاشقون، شوقاً عظيماً للحضور في عرفات، ولشدة شوقهم في مجالسة الإمام صاحب الأمر - أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - الذى يحضر كلّ عام في هذا الموقف، الذى يذوب المؤمنون في أجوائه. والمقالة التى بين أيديكم، تناولت منطقة عرفات بمختلف أبعادها بالدراسة والتحقيق:

ص: ١٦٩

عرفات في اللغة:

عَرَفَات، مأخوذة من كلمة عَرَفَ وعلى قول الراغب: هو إدراك الشيء بتفكير وتدبرٍ لأثره (١)، وهذه الكلمة اسم مفرد وردت في اللفظ بصورة الجمع، إلا أنه لا يُجمع.

ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى أن الأماكن لا تزول، فصارت كالشيء الواحد، وبهذا الاستعمال كأنهم جعلوا كلَّ جزءٍ منها عرفه (٢). قال الفراء: عرفات معرفة وإن وردت جمعاً، والدليل على كونها معرفة أنك لا تدخلُ فيها ألفاً ولا ماً (٣).

وقال الأخفش ايضاً: وإنما صرفت عرفات لأن التاء بمنزلة الياء والواو في مسلمين ومسلمون، وصارَ التنوين بمنزلة «النون»، فلما سُمِّي به ترك على حاله (٤).

كما قال الجوهري: وقول الناس «نزلنا بعرفة» وعرفه مفردةً شبيهةً بـ «مولد»، وليس بعربي محض (٥). تسمية عرفات:

هناك اختلافات في وجهات النظر حول السبب في تسمية عرفات بهذا الاسم:

١- قال البعض: سُميت بذلك لأنَّ آدمَ وحواءَ عليهما السلام تعارفاً بها بعد نزولهما من الجنة (٦).

٢- وقال قوم آخرون: سُميت عرفات لأنَّ الناس يعترفون فيها بذنوبهم (٧).

٣- في رواية عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عرفات، لم سُميت عرفات؟ فقال: «إنَّ جبرئيل عليه السلام خرج بإبراهيم عليه السلام يوم عرفه، فلما زالت

١- ١ تاج العروس ٢٤: ١٣٣.

٢- ٢ المصدر نفسه: ١٣٨.

٣- ٣ المصدر نفسه.

٤- ٤ المصدر نفسه.

٥- ٥ لسان العرب ٩: ١٥٧، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٨ هـ. ق.

٦- ٦ معجم البلدان ٤: ١١٧، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤١٠ هـ. ق.

٧- ٧ المصدر نفسه.

ص: ١٧٠

الشمس قال له جبرئيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك، فسميت عرفات لقول جبرئيل: اعترف، فاعترف» (١).

٤- وقال آخر: سمى اليوم بيوم «عرفة» والموضع «عرفات» لتعارف الحجيج مع بعضهم البعض في هذا الموضع (٢).

٥- وقالوا أيضاً: لأنها مقدّسة معظّمة، كأنّها عُرِفَتْ؛ أى طُبِّيتْ، لذا سميت عرفات (٣).

٦- ويعتقد البعض: بما أن أحد معاني كلمة «عزف» يعنى الصبر، ولما يكابد فيه الحجاج من التعب الشديد للوصول إلى عرفات

والوقوف فيه والصبر على ذلك، سميت عرفات، ولدعم وجهة نظرهم هذه، استشهدوا بهذا البيت الشعري، إذ قال الشاعر:

قل لابن قيس أخى الرقيات ما أحسن العِزْفَ فى المصيبات! (٤) ٧- وأخيراً قالوا: والسبب فى تسميتها بعرفه أن جبرئيل عليه السلام

عزّف إبراهيم عليه السلام المناسك، فلما وقفه بعرفه قال له: عزفت؟ قال: نعم، فسميت عرفه (٥).

ومن مجموع ما ذكر من الأقول، يمكن القول لعل الاعتراف بالذنب الذى جاء فى التسميتين الثانية، والثالثة التى أمضاها الإمام الصادق

عليه السلام أيضاً، يعدّ أفضل دليل على تسمية هذه البقعة المقدّسة ب «عرفات».

تاريخ عرفات:

طبقاً لما دوّن، فإن تاريخ هذا الاسم وهذا الموضع، يعود إلى زمن النّبى آدم عليه السلام، وذلك عندما أُخرج هو وزوجه حوّاء من

الجنّة، وبعد مدة من الزمن تلاقيا فى هذا الموضع، ومن هنا فقد رأى البعض أن هذا اللقاء هو السبب فى

١- ١ مستدرک الوسائل ١٠: ٢٦، الباب ١٤، الحديث رقم ١٣٧٢.

٢- ٢ أحكام الحج وأسراره: ٢٣٧.

٣- ٣ تاج العروس ٢٤: ١٣٧.

٤- ٤ معجم البلدان ٤: ١١٧.

٥- ٥ المصدر نفسه.

ص: ١٧١

تسمية هذه النقطة من الأرض باسم «عرفات» (١).

وبعد هذا التأريخ وعلى إثر تشريع الحج، أصبح الوقوف في عرفات أمراً واجباً (٢). إلا أن شهرة هذه الأرض ذاعت من عصر النبي إبراهيم عليه السلام فصاعداً.

وقبل العثور على بئر زمزم، وبسبب وجود آبار المياه في أطراف عرفات، فإن بعض القبائل كالجرهميين اختاروا هذه المنطقة كمحل مناسب لسكناهم.

كتب المرحوم المجلسي قائلاً:

«... وكانت جرهم نازلةً بنى المجاز وعرفات إلى ما قبل ظهور الماء في زمزم، فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء،

فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان واتبعوها، واختاروا السكن إلى جوار زمزم (٣).

وبامتلاء بئر زمزم بالماء ووجود المصادر المائية حول منطقة عرفات، واستواء الأرض في هذه المنطقة، نزلت مجموعة أخرى من الناس

في هذه الأرض، وقاموا بزراعة النخيل والحقول، وقد سكن قسمٌ فيها بشكل دائم، وقسم آخر كانوا ينزلون في هذه المنطقة في بعض

فصول السنة. وبعد مدة من الزمن، نقلوا المياه من آبار عرفات إلى مكة وليستخدمها الناس الساكنون فيها.

يقول الأزرقى نقلًا عن ابن عباس:

لما انتشرت قريش بمكة وكثر ساكنها، قلت عليهم المياه واشتدت المؤنة في الماء، حفرت بمكة آباراً، فحفر مرةً بن كعب بن لؤى بيراً

يقال لها: رُم، وبلغنى أن موضعها عند طرف الموقف بعرفة قريباً من عرفة (٤).

وبئر «الروا» كانت تقع خارج مكة وفي بواديهما مما يلي عرفة (٥).

ويقول البشارى في أخباره عن عرفات:

«عرفة قرية فيها مزارع وخضرة ومباطخ، وبها دورٌ حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة» (٦).

١-١ لسان العرب ٩: ١٥٧.

٢-٢ شفاء الغرام ٢: ٣٦، ١٠٨.

٣-٣ بحار الأنوار ١٢: ٩٨.

٤-٤ أخبار مكة، الأزرقى ٢: ٢١٤.

٥-٥ المصدر نفسه: ٢٢٠.

٦-٦ معجم البلدان ٤: ١١٨.

ص: ١٧٢

ويقول ياقوت الحموي: إن موضع هذه القرية يقع على بعد ميلين عن الموضع الحالي (١).
 والمسلم به أن أشخاصاً كانوا يسكنون هذه المنطقة ولهذا كانوا يسمون بلقب العرفي. ومن هؤلاء زنفل بن شداد العرفي، وكان للعاص
 بن وائل داراً في هذه المنطقة، وروى أن سعيد بن المسيب أثناء مروره من جوار تلك الدار سمع مغنياً يغنى فيها بهذه الأشعار:
 تضوع مسكاً بطنُ نعمان! إذ مشت به زينب في نسوةٍ عَطَّراتٍ فضرب برجله الأرض وقال: هذا والله مما يلدأ استماعه:
 وليست كأخرى أوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكف للجمرات
 وحلت بنان المسك وخفاً مرجلاً على مثل بدرٍ لاح في الظلمات
 وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت برؤيتها من راح من عرفات (٢) ولم يبق الآن أى أثر لتلك المنازل والمزارع في عرفات، إلا أنه في
 السنوات الأخيرة زُرعت أشجارٌ كثيرة في عرفات، تضيف المزيد من الجمال على هذه المنطقة، كما يقصد أهل مكة هذه المنطقة على
 مدار أيام السنة بهدف الراحة والاستحمام، وينعمون بفيء تلك الأشجار وظلالها ومناظرها الجميلة.
 حدود عرفات:

لو تصورنا منطقة عرفات على شكل قوس، لوجدنا أن الجبال تحيط بأطراف هذا القوس، ووتر هذا القوس هو وادي عُرنة. إذ يحفُّ
 بعرفات من الشمال الشرقي جبل سَعْد: وهو جبل عال أسمر، ومن الشرق جبل أمغر (أشهب) يسمى جبل «مِلْحَة»، وارتفاعه أقل من
 الأول، ومن الجنوب سلسلة جبال لاطيئة (لاطيئة) سوداء أبرزها «أم الرضوم». أما في الغرب والشمال الغربي فيمر

١-١ المصدر نفسه: ١١٧.

٢-٢ المصدر نفسه: ١١٨.

ص: ١٧٣

وادي عُرْنَه. إذ كانت جميع هذه المناطق تابعة لقريش (١). وفي الموقف أيضاً جبلٌ يصعده الحجيج، ويتضرعون فيه بالدعاء، وسمي هذا الجبل في الكتب التاريخية بعدة أسماء من قبيل «جبل الرحمة»، و«القُرَيْن»، و«الال» - بكسر وفتح الألف - و«النابت» (٢). ومن بين المشاعر، تقع عرفات خارج الحرم فقط. -صفحة خالي برای نقشه-

١-١ معجم معالم الحجاز ٦: ٧٥.

٢-٢ معالم مكة التاريخية والأثرية: ١٨٢.

ص: ١٧٤

الال أو جبل الرحمة:

جاء ابن هشام إلى الحجاز لأداء الحج، فلما قدم المدينة، ورد عليه كتابٌ من أبيه هشام بن عبد الملك، «أن قف بالناس على الال»، فقرأه فلم يدرِ ما الال، فبعث إلى الزهري، فدعاه، فقال: إن كتاب امير المؤمنين ورد بأن قف بالناس على الال فأى شىء عندك؟ فقال له الزهري: إن فتى من أهل العراق قد قدم على يطلب العلم، فلعل عنده من هذا علم (علماً) فأرسل الزهري، بطلب الفتى وهو- ابو بكر الهذلى- فجاء الهذلى واطلعه ابن هشام على الأمر وطلب منه الجواب، فقال: هو جبل عرفة الذى يقف عليه الناس، فسأله الزهري: فهل عندك على هذا شاهد؟ قال نعم: فقرأ شعراً أنشده النابغة الذبياني:

بمصطبختٍ من أضاف وثبيرة يُردنَ الالاً سيّرهن التدافع فأعجب ذلك ابن هشام، فدعا له ووهبه مالاً وكساه (١).

وفى روايه أن: رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وقف على النابت أمام الجبل الذى يسمى الال (الالاً)، حذو الجبل الذى يسمى مسلم (مسلماً) وهو جبل المشاء بين النبعة والتبعية (٢).

وجبل الرحمة الذى يسمى الالاً أيضاً- بكسر الهمزة والتخفيف- اسم الموضع الذى نزلت به الملائكة لنصرة جيش المسلمين وهو إلى اليسار باتجاه الصفراء (٣).

الوقوف فى عرفات:

بناءً على ما يذكره التاريخ، وعلى مّ العصور، كان اتباع الأديان السماوية، من الذين شُرّع لهم الحجّ كفريضة، يقفون فى عرفات أثناء الحج، وفى العصر الجاهلى أيضاً، كانت جماعة من جرهم وتأسياً منها بإبراهيم الخليل

١-١ أخبار مكة، الفاكهى ٥: ١٣.

٢-٢

٣-٣ تقويم البلدان: ١٠٩، رحلة ابن بطوطة ١: ١٣٢.

ص: ١٧٥

وإسماعيل عليهما السلام يعظمون الكعبة، ويطوفون ويؤدون الحج والعمرة، ويقفون على عرفات والمشعر (١). إلا أن البعض من قبائل قريش والساكنين في مكة، واستناداً إلى بعض الأفكار الخاطئة، ابتدعوا أموراً وتركوا الوقوف على عرفة، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر، ويقرون- أيضاً- أن الوقوف عليها من الأعمال التي يجب أن تؤدي في الحج بناءً على ما جاء في دين إبراهيم الخليل عليه السلام (٢).

ويقول الأزرقى:

... عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه انه قال: أضللتُ بغيراً لي يوم عرفة، فخرجت أطلبه حتى جيت عرفة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله واقف بعرفة مع الناس، فقلت: هذا رجلٌ من الحمس، فما له خرج من الحرم؟ يعني قريشاً كانت تسمى الحمس والأحمسى المشدد في دينه، فكانت قريش لا تجاوز الحرم، تقول:

نحن أهل الله لا نخرج من الحرم، وكان سائر الناس يقف بعرفة وذلك قول الله عز وجل: «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» (٣). ويضيف الأزرقى قائلاً: وجعل الحمسيون موقفهم في طرف الحرم من غرة بمفضى المأزمين بدل الوقوف بعرفة، يقفون به عشية عرفة، ويظلون به يوم عرفة في الأراك، ويفيضون منه إلى المزدلفة (٤).

يقول سفيان: جاءهم ابليس، فقال: إنكم إن خرجتم من الحرم إلى الحل زهدت العرب في حرمكم فخذلهم عن ذلك، وبه قال سفيان: عن حميد بن قيس عن مجاهد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله واقف بعرفة سنين كلها لا يقف مع قريش في الحرم- يعني اذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة- (٥).

قال سعيد بن عبد الله الراوندى (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ. ق):

كانت قريش في الجاهلية لا تخرج إلى عرفات ويقولون لا نخرج من

١-١ أخبار مكة، الأزرقى ١: ١١٧.

٢-٢ المصدر نفسه.

٣-٣ البقرة: ١٩٩، أخبار مكة للأزرقى ٢: ١٩٥.

٤-٤ أخبار مكة، الأزرقى ١: ١٤٥.

٥-٥ المصدر نفسه ٢: ١٩٦.

ص: ١٧٦

الحرم، وكانوا يقفون يوم عرفه بالمشعر الحرام وليله العيد أيضاً بها، وكان الناس الذين يحجّون غيرهم يقفون بعرفات يوم عرفه، كما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق يفعلون، فأمر الله أن يقف المسلمون كلّهم يوم عرفه بعرفات ويفضوا منها عند الغروب الى المشعر بقوله تعالى: «ثُمَّ أفيضوا من حيث أفاض الناس»، والإفاضة منها لا يمكن إلّا بعد الوقوف أو الكون بها (١).

أرض المغفرة وقبول الدعاء:

إحدى أهم الألفاظ التي يحصل عليها الحجاج من رحلة الحج المعنوية، هو غفران الذنوب. ففي اليوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام، يأتي الحجيج من كل فجّ ويجتمعون في عرفات، ويطلبون من الله الغنى أن يغفر لهم ما تقدّم من ذنوبهم، ويطهرهم من الأدران التي علقت بهم، وهم في دعاء وبكاءٍ وتوسل.

وقد اجتمع في هذه الأرض المقدسة جميع أنبياء الله تعالى من آدم عليه السلام، إلى خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام من على بن أبي طالب إلى المهدي الموعود عليهم السلام، وعلموا الآخرين، خاصة أتباعهم وأشياعهم، كيفية الدعاء والتضرع والاستفادة من هذا اليوم العظيم. وهذه الأرض المقدسة هي ملتقى العشاق والعارفين، وأى عارفٍ يقرأ في عرفات، دعاء عرفه للإمام الحسين عليه السلام المليء بمعناه ومحتواه، ولا يتأثر بما فيه من الجمال والعدوثة والمعرفة؟!

ولكثره ما قيل في الروايات الواردة بشأن غفران الذنوب في عرفات، فإن المغفرة والرحمة الإلهية، سرعان ما تتبادر الى الذهن بمجرد سماع اسم عرفه وعرفات، والفت انظار القراء الكرام الى بعض من هذه الروايات:

عن على عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله، لما حجّ حجة الوداع، وقف بعرفة فأقبل على الناس بوجهه وقال: مرحباً بوفد الله - ثلاث مرات - الذين إن سألوأ أعطوا،

ص: ١٧٧

وتخلف نفقاتهم، ويجعل لهم في الآخرة بكلّ درهم ألفاً من الحسنات، ثم قال: يا أيها الناس ألا أبشركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إنه إذا كانت هذه العشية باهى الله بأهل هذا الموقف الملائكة، فيقول:

[يا ملائكتي] انظروا الى عبيدى وإمائي أتونى من أطراف الأرض، شعثاً غبراً، هل تعلمون ما يسألون؟ فيقولون: ربنا يسألونك المغفرة، فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم، فانصرفوا من موقفكم مغفوراً لكم [ما سلف] (١).

عن على عليه السلام قال: «قيل: يا رسول الله أى اهل عرفات أعظم جرماً؟ قال: الذى ينصرف من عرفات وهو يظن أنه لم يغفر له» (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات» (٣).

عن الحسين بن على عليه السلام قال: «جاء رجل من اليهود الى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد- الى أن قال- إنى أسألك عن عشر كلمات أعطهاها الله تعالى موسى فى البقعة المباركة حيث نجاه- إلى أن قال- يا محمد فاخبرنى عن التاسع، لأى شىء أمر الله الوقوف بعرفات بعد العصر؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لأن بعد العصر ساعة عصى آدم عليه السلام ربه، فافترض الله على أمتى الوقوف والتضرع والدعاء فى أحب المواضع إلى الله، وهو موضع عرفات، وتكفل بالإجابة، والساعة التى ينصرف هى الساعة التى تلقى آدم من ربه كلمات، فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم، قال:

صدقت يا محمد، فما ثواب من قام بها ودعا وتضرع إليه؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذى بعثنى بالحق بشيراً ونذيراً، إن لله تبارك وتعالى فى السماء سبعة أبواب؛ باب التوبة، وباب الرحمة، وباب التفضل، وباب الإحسان، وباب الجود، وباب الكرم، وباب العفو، لا يجتمع [بعرفات] أحد إلا تساهل من هذه الأبواب، وأخذ من الله هذه الخصال، فإن لله تبارك وتعالى مائة ألف ملك، مع كل ملك مائة وعشرون ألف ملك، ولله مائة رحمة ينزلها على أهل عرفات،

١- ١ مستدرک الوسائل ٨: ٣٦.

٢- ٢ المصدر نفسه ١٠: ٣٠.

٣- ٣ المصدر نفسه.

ص: ١٧٨

فإذا انصرفوا أشهد الله تلك الملائكة بعق رقاب أهل عرفات، فإذا انصرفوا أشهد الله تلك الملائكة بأنه أوجب لهم الجنة، وينادى مناد: انصرفوا مغفوراً لكم فقد أرضيتوني، ورضيت لكم، قال: صدقت يا محمد... (١).

وورد في نقل آخر:

«وأهل موقف عرفات هم وقوف بين يدي الله عز وجل» (٢).

وعن أبي نصر البزنطي، عن الرضا عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: ما من برٍّ ولا فاجر يقف بجبال عرفات فيدعو الله إلا استجاب الله له، أما البرّ ففي حوائج الدنيا والآخرة، وأما الفاجر ففي أمر الدنيا» (٣).

عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المغفرة تنزل على أهل عرفه مع الحركة الأولى، فإذا كانت الدفعة الأولى فعند ذلك يضع الشيطان التراب على رأسه يدعو بالويل والثبور، قال: فتجتمع إليه شياطينه فيقولون: ما لك؟ فيقول: قوم قد قتلهم منذ ستين وسبعين سنة غفر لهم في طرفه عين - يعنى من يحضر [من] الحاج بعرفه» (٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من حفظ سمعَه وبصره ولسانه يوم عرفه حفظه الله - عز وجل - من عرفه إلى عرفه» (٥).

وعن ابن عباس أنه أورد مقدمة لها ارتباط بالحديث الآنف الذكر إذ قال:

إن الفضل بن عباس كان رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وعشيه عرفه، وكان الفتى يلاحظ النساء، قال: فكان النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله يصرف بصره، ويقول: «يا ابن أخي، إن هذا يومٌ من ملك سمعَه إلامن حق، وبصره إلا من حق، ولسانه إلامن حق، غفر له ذنبه» (٦).

وقال ابن عباس: إن الله - عز وجل - يباهى بأهل عرفه أو الحاج أهل السموات» (٧).

وفي حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: وإذا وقفت عشية عرفه، فإن الله يهبط

١-١ المصدر نفسه ١٠: ٣٢.

٢-٢ بحار الأنوار ٣: ٣٢٠.

٣-٣ الوافي ٢: ٤٢.

٤-٤ أخبار مكة، الفاكهي ٥: ١٥.

٥-٥ المصدر نفسه ٥: ١٨.

٦-٦ المصدر نفسه: ٢١.

٧-٧ المصدر نفسه.

ص: ١٧٩

برحمته إلى السماء الدنيا حتى تظل على أهل مكة، فيباهى بهم الملائكة فيقول:

هؤلاء عبادى جاؤونى شعثاً من كل فج عميق، يرجون رحمتى ومغفرتى، فلو كانت ذنوبهم بعدد الرمال أو كعدد القطر أو كزبد البحر لغفرت لهم...» (١).

وقال ابن عباس: رأيت النبي صلى الله عليه وآله عشية عرفة بعرفة، ويدها إليصدره يدعو كاستطعام المسكين» (٢).

وجاء فى رواية أخرى: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» (٣).

وقال عبد الله بن كرزب أيضاً: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة» (٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما رئى الشيطان يوماً هو أصغر فيه، ولا أدحر، ولا أحقر، ولا أغيظ منه فى يوم عرفة، وما ذلك إلا مما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما رئى يوم بدر» (٥).

وكان الدعاء: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلى العظيم، سبحان الله رب السموات السبع والأرض رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين» (٦).

ولعرفات أهمية بالغة لدرجة أنه جاء فى الروايات: «الحج عرفة»؛ وطبعاً لا يعنى ذلك أن بقية أعمال الحج قليلة الأهمية! بل إن هذه الرواية، ترشد حجاج بيت الله الحرام، الى أهم أركان الحج أى عرفة، ولعل السبب فى هذه الأهمية يعود الى الدور الذى تحظى به عرفات فى غفران الذنوب، إذ إن المذنب الذاهب الى عرفات يعود منها مغفوراً له.

الصوم فى عرفات:

ورد النهى عن الصوم يوم عرفة فى بعض روايات الفريقين، ولعل السبب

١-١ أخبار مكة، الأزرقى ٢: ٣٠٦. مستدرک الوسائل ٨: ٤٢.

٢-٢ أخبار مكة، الفاكهى ٥: ٢٤.

٣-٣ المصدر نفسه.

٤-٤ المصدر نفسه: ٢٥.

٥-٥ المصدر نفسه: ٢٦.

٦-٦ المصدر نفسه ٥: ١٢.

ص: ١٨٠

فى ذلك يعود الى ضرورة أن يكون الفرد نشيطاً أثناء الدعاء والتضرع؛ لأن الفرد الصائم، فى تلك البقعة- وخاصة فى الهواء الحار- يستحوذ عليه الضعف ولا يجد القدرة على الدعاء. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يصوم يوم عرفه، وفعل ذلك الخلفاء وبعض الصحابة أيضاً تأسياً به صلى الله عليه وآله (١).

وقال الشيخ الكفعمى فى المصباح: يستحب الصوم يوم عرفه، لمن لا يخاف الضعف فى الدعاء (٢). ويدل ذلك الى أن الكراهية فى الصوم، إنما بسبب مخافة الضعف حال الدعاء.

كما أن أدعية الإمام الحسين بن على والإمام السجاد عليهم السلام يوم عرفه من الأدعية المهمة جداً إذ تنطوى على إشارات عظيمة تهزّ الجنان.

وعن بشر وبشير ابني غالب الأسدي قالوا: وقفنا مع أبى عبد الله الحسين ابن على بن أبى طالب عليهما السلام بعرفة، فخرج عشية عرفه من فسطاطه فى جماعة من أهل بيته وولده وشيعته ومواليه، متذللًا خاشعًا فجعل يمشى هوناً حتى وقف فى مسيرة الجبل، فاستقبل البيت ورفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، وشرع بقراءة هذا الدعاء:

«الحمد لله الذى ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع...» (٣).

وورد فى الدعاء السابع والأربعين من أدعية الصحيفة السجادية، دعاء الإمام السجاد عليه السلام وتضرعه يوم عرفه أيضاً. نزول رسول الله فى عرفات:

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، ثم سار حتى أتى عرفه، وقد ضربت له قبة بنمرة فنزل بها (٤).

١-١ المصدر نفسه: ٢٩-٣٣.

٢-٢ مفاتيح الجنان: ٤٧٠.

٣-٣ المصدر نفسه: ٤٧٤.

٤-٤ أخبار مكة، الفاكهى ٥: ٩.

ص: ١٨١

وينقل أبو الوليد عن جدّه، عن مسلم بن خالد، عن ابن جريح قال: سألت عطاء أبن كان رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله ينزل يوم عرفه؟ قال: بنمره (١)، منزل الخلفاء الى الصخره الساقطه بأصل الجبل عن يمينك وأنت ذاهب إلى عرفه يلقى عليها ثوب يستظل به صلى الله عليه وآله (٢).

وقال الصدوق رحمه الله في المقنع:

فإذا أتيت عرفات فاضرب خباءك بنمره قريباً من المسجد، فإن ثم ضرب رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله خباءه وقتته، فإذا زالت الشمس يوم عرفه فاقطع التلبية واغتسل، وصل بها الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وإنما تتعجل في الصلاة، وتجمع بينهما لتفرغ للدعاء فإنه يوم دعاء ومسألة.

ويقول الأزرقى:

وموقف النبي صلى الله عليه وآله عشية عرفه بين الأجل النبعة والنيعة والنابت وموقفه منها على النابت وهي الظراب التي تكتنف موضع الإمام، والنابت عند النشرة التي خلف موقف الإمام، وموقفه صلى الله عليه وآله على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هنالك ناتئة في الجبل الذي يقال له الألاً بعرفة عن يسار طريق الطائف وعن يمين الامام (٣).

وبظهور الإسلام في الحجاز، اتخذ اتباع هذا الدين الحنيف، الوقوف في عرفات ركناً من أركان الحج، ويقفون يوم التاسع من ذي الحجة في هذه البقعة، ولا يجوزون الوقوف خارج حدود هذه المنطقة.

السيول في عرفات:

وقع الكثير من الحوادث في عرفات، على مرّ التاريخ، لا- يسع المجال هنا للتطرق الى ذكرها جميعاً، وينقل الأزرقى نموذجاً عن تلك الحوادث بهذا الشكل:

١- ١ أودية مكة المكرمة: ١١٥، معجم البلدان ٧: ٣٦٢.

٢- ٢ أخبار مكة، الأزرقى ٢: ١٩٤.

٣- ٣ المصدر نفسه.

ص: ١٨٢

فى اليوم التاسع من شهر ذى الحجة سنة ١٠٥٣ وقع سيل عظيم بعرفة والحجاج وقوف هنالك، فاستمر من وقت الظهر الى الغروب، ولما نفر الناس عاقهم السيل المعترض من تحت العلمين عن المرور ودخول الحرم، فاستمر الناس وقوفاً الى آخر الليل حيث خفّ السيل، فقطعوه بالمشقة (١).

وقال أيضاً:

وأول من أوقد المصابيح النفطية بين الصفا والمروة، وجبلى عرفات فى لىالى موسم الحج هو أبو إسحاق المعتصم (٢).

إلقاء الخطب فى عرفات:

المعروف عن سيرة رسول اللّهلصلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام أنهم كانوا يلقون الخطب لحجاج بيت الله الحرام، ويتطرقون فى خطبهم إلى بيان المعارف الدينية والأخلاقية. حتى إن الخلفاء والحكام وتأسياً بهم، كانوا يلقون الخطب فى هذه

١-١ المصدر نفسه.

٢-٢ المصدر نفسه.

ص: ١٨٣

البقعة المقدسة، وشيئاً فشيئاً اقيم منبرٌ لخطيب يوم عرفة، يرتقيه الخطباء للتحديث الى الحجاج. وقال عمرو بن دينار: رأيت في زمن ابن الزبير منبر عرفة، حيث يصلّى الظهر والعصر عشية عرفة، مبنياً بحجارةٍ صغيرةً، فذهب به السيل، فجعل ابن الزبير حينئذٍ منبراً منيراً من عيدان (١).

وقام الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله في حجة الوداع، وهي آخر حجة له، بإلقاء الخطبة مرتين؛ الأولى قبل صلاة الظهر والعصر، والثانية بعدهما، وأبلغ الناس فيهما بقوانين الدين العامة وأحكامه الأبدية (٢). وخطب محمد بن هشام في عرفة أيضاً وقال: «عرفة كلّها موقف حتى منبرى هذا» (٣).

ويدأب الحجاج الإيرانيون في الوقت الحاضر على القيام بما يلي: في يوم عرفة يبدأ رجل الدين المرافق للقافلة بإلقاء الخطبة للحجاج، ثم يشرعون بقراءة دعاء عرفة، وفي مقر بعثته قائد الثورة الإسلامية أيضاً تقوم إحدى الشخصيات الدينية المعروفة بالتحدث وإلقاء الخطبة، ثم يقوم أحد مدّاحي أهل البيت عليهم السلام بقراءة الأشعار وذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وفي الختام يُقرأ دعاء عرفة.

وقال الأزرقى: «والمسافة بين المسجد الحرام وبين موقف الإمام بعرفة، عشرة أذرع بريد سواء لا يزيد ولا ينقص» (٤).

مسجد عرفات:

يوجد في عرفات مسجد ذكر في التأريخ باسم مسجد عرفة، والمسجد الجامع للنبي إبراهيم عليه السلام، أو مسجد إبراهيم أيضاً. وكان هذا المسجد صغيراً جداً في السابق، ويصلّى فيه الحجاج.

١-١ المصدر نفسه ٢: ١٩٥.

٢-٢ أحكام الحج وأسراره: ٢٣٨.

٣-٣ المصدر نفسه: ٣٤.

٤-٤ أخبار مكة، الأزرقى ٢: ١٩٠.

ص: ١٨٤

ويقول الأزرقى فى تحديد مسجد عرفات:

وذرع سعة مسجد عرفة من مقدمه الى مؤخره مائة وثلاث وستون ذراعاً، ومن جانبه الايمن الى جانبه الايسر بين عرفة والطريق مائتا ذراع وثلاث عشرة ذراعاً، وعلى جدران المسجد من الشرف مائتا شرافة وثلاث ..

شرافات ونصف، منها على جدر القبلة اربع وستون، وعلى العطف مع جدر القبلة من الجانب الايمن والايسر ثمان شرفات لكل منها، ومنها على بقيته سبع وخمسون ونصف، ومنها على مؤخر المسجد عشر فى الأيمن، وفى الايسر أربع، وفى مسجد عرفة من الابواب عشرة ابواب: باب فى القبلة عليه طاق طوله تسع أذرع، وعرضه ذراعان وثمان عشرة اصبعاً، وفى الجدر الايمن أربعة ابواب، وفى الايسر أربعة ابواب عرض كل باب ست أذرع، وسعة الباب الذى يلى الموقف مائة ذراع وأحد وثلاثون ذراعاً، ومن حد مؤخر المسجد الايمن الى حد مؤخره الايسر جدر مدور طوله ثلاثمائة ذراع واربعون ذراعاً، وعرضه من وسطه من جدر المسجد ثمانى وستون ذراعاً، والابواب التى فى الجدر الايمن فى الجبر، وطول الجدر فى السماء ست أذرع، وفى مؤخر المسجد الايمن فى طرف الجبر دكان مربع طوله فى السماء خمس أذرع وسعة أعلاه سبع أذرع وثمان عشرة إصبعاً فى ست اذرع وثمان عشرة اصبعاً يؤذن عليه يوم عرفة، وفى المسجد محراب على دكان مرتفع يصلى عليه الإمام وبعض من معه ويصلى بقيه الناس أسفل؛ وارتفاع الدكان ذراعان ... ومن مسجد عرفة الى موقف الإمام عشية عرفة ميل يكون الميل خلف الإمام إذا وقف وهو حيال جبل المشاة (١).

وقام الملك أشرف قايتباى (٨٧٣-٩٠١ هـ) فى عصر سلطنته، بتعمير مسجد النمرة فى عرفات وفتح وكرى قناة عرفة بعد انسدادها (٢). وبلغت مساحة مسجد النمرة فى العمارة والتوسعة الأخيرة ١٢٤ / ٠٠٠

١-١ المصدر نفسه ٢: ٤٥٢.

٢-٢ مسجد الحرام والكعبة: ٣٧٣ و ٣٧٤.

ص: ١٨٥

متر مربع. وقسم من بناء المسجد مؤلف من طابقين، ومساحتها حوالي ٢٧/٠٠٠ متر مربع، والمسجد مجهز تجهيزاً كاملاً بنظام التبريد، والمرافق الصحية المناسبة وغيرها، ويتسع لأكثر من ٣٠٠/٠٠٠ الف من المصلين، وبلغت تكاليف عمارته مبلغاً قدره حوالي ثلاثمائة وسبعة وثلاثون مليون ريال سعودي (١).

ويأتي جمعٌ من الحجاج يوم عرفه الى مسجد النمرة؛ ليستمعوا إلى خطبة خطيب المسجد، ثم يصلوا الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم يشعرون بالدعاء والتضرع ومسألة الله تعالى حتى غروب الشمس (٢).
عرفات والظالمون:

بالرغم من امتلاك عرفات للكثير من الخصائص المعنوية، إلا أنها لم تسلم من ظلم الظالمين على طول التاريخ، ولغرض إبعاد الحجاج وحرمانهم من الآثار المعنوية لعرفات، عمدوا إلى تحريف الحقائق.
قال ابو اليقظان: جاء رجلٌ من أولاد عثمان الى هشام بن عبد الملك يوم عرفه وقال: اليوم يومٌ استحب فيه الخلفاء لعن ابو تراب! (٣).
وقال سعيد بن جبير أيضاً:

إنما ترك معاوية التكبير في يوم عرفه، لأن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يكبر فيه! (٤) الماء في عرفات:
مع ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، وازدياد دخول الناس في هذا الدين الحنيف، ازداد اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً فشيئاً، وفي كل موسم من مواسم الحج يقف عدد كبير من الحجاج الوافدين لأداء مناسك الحج في منطقة عرفات، وبما

١- ١ أحكام الحج وأسراره: ٢٣٨.

٢- ٢ في خدمة ضيوف الرحمان: ١٠٨، ١١١.

٣- ٣ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢١، الباب ٢٣٨.

٤- ٤ أخبار مكة، الفاكهي ٥: ٣٣.

ص: ١٨٦

أن الماء يعدّ أحد المتطلبات الأساسية للناس في عرفات، قام البعض بإحداث الأحواض والحمامات بالقرب من جبل الرحمة؛ ليستفيد منها الحجاج اثناء وقوفهم في عرفات. وبهذا الصدد ذكر المؤرخون ما يلي:

كان أهل مكة فيما سلف يشربون من الآبار التي بداخل البلدة وخارجها، فلما كانت خلافة معاوية أُجرى إلى مكة عيوناً عشرة في قنوات عملها لذلك؛ ولما حجَّ عبد الله بن عامر جمع العيون وصرفها في عين واحدة في ميدان (صحراء) عرفة عرفت بعين عرفة. وقد كان خلفاء بني العباس والحكام المقتدرون يجرون الماء من عين عرفة إلى مكة عن طريق مجارٍ متعددة، وحدث أن تخربت عين عرفة أثناء خلافة المتوكل العباسي، فأرسل الخليفة مائة الف دينار إلى مكة لتعميرها واجراء ماء عين عرفات إليها، وفي عام ٢٤١ هـ حصل زلزال غارت منها العيون فتخربت عين عرفات فيها، ولكن ليس من المعلوم تأريخ إعادة تعميرها، وفي حدود عام ٥٠٠ هـ أعيد تعمير العين المذكورة على إثر تخريبها، وقد وجدت في لوحة بجبل الرحمة على يمين الصاعد إليه كتابة تشير إلى الذين قاموا بإصلاح عين عرفات وبقية مجارى مياه مكة، وقد جاء في هذه اللوحة:

«بسم الله الرحمن الرحيم ... وصلى الله على سيدنا محمد ... وعلى إمام الله ظل مولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعزَّ الله أنصاره؛ أمر الإمام الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زين الدين صاحب اربل - ولم أعرف ما بعد ذلك - سنة ٥٠٠ هـ لأبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعزَّ الله تعالى ببقائه الإسلام».

ووجدت لوحة أخرى تدل على عمارة لأبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين سنة ٥٨٤ هـ ونصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر سيدنا ومولانا الإمام الخليفة على كافة أهل الاسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أعزَّ الله

ص: ١٨٧

أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفه والمصانع لحجاج بيت الله الحرام، وذلك في سنة ٥٨٤هـ.

وهناك لوحة أخرى تدل على عمارة عين عرفه من قبل أمير الأمراء الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زين الدين أمير اربل في سنة ٥٩٤ هجرى.

ووجدت لوحة رابعة أيضاً تدل على عمارة عين عرفه من قبل المستنصر العباسي في سنة ٦٢٥هـ، و ٦٢٧هـ، و ٦٣٣هـ (١).

وذكر الفاكهي سبعة أحواض لعبد الله بن عامر بن كرز في عرفات، بينما يقول إبراهيم رفعت باشا بأنها ثمانية أحواض (٢).

وفضلاً عن استخدام مياه تلك الأحواض لأغراض الشرب، فقد كان البعض يغتسل فيها أيضاً، قال يزيد بن أبي زياد: رأيت مجاهدًا صائماً يوم عرفه وهو محرم، اغتسل من بعض حياض عرفه (٣).

وكانت في الناحية الجنوبية الشرقية لمسجد النمره بعض الجدران بقيت آثارها إلى فترة قريبة، وكانت تمثل في الحقيقة الحد الجنوبي لموقف عرفه. كما يوجد جنوب جبل الرحمة سوق كبيرة، بقيت موجودة لسنوات قريبة، وأورد إبراهيم رفعت باشا صوراً لهذه السوق في كتاب مرآة الحرمين (٤).

الهوامش:

ترنيمه عرفانيه

١-١ الحرمان الشريفان: ٢٦.

٢-٢ أخبار مكة، الفاكهي ٥: ٤٣، مرآة الحرمين ١: ٤٥.

٣-٣ أخبار مكة، الفاكهي ٥: ٤٣.

٤-٤ مرآة الحرمين ١: ٣٣٧.

ص: ١٩٠

ترنيمه عرفانيه

الدكتور الحسيني

ما أروع الحجّ

ما أروع الحجّ!

ما أروع الحجّ لو لبيتُ معتمراً ربّ الحجيج مُجيباً صاحب الدار!
وقد حدودُ طُوالِ الدربِ قافلتى وقد طويت النوى فى طيِّ أسحارى
وقد نزلتُ فناء البيت معتكفاً وطفْتُ سبعاً طواف الكوكب السارى
هنا وقفْتُ هناصليْتُ فى وَلِهٍ هنا جلسْتُ هنا راجعتُ أفكارى
هنا عرفتُ معانى الحجّ وازدلفت فى مشعر الحقّ آمالى وأوطارى
هنا رميتُ جماراً من هوى كبدى هنا نحرْتُ المُنَى فى كَفِّ نَحَارِ
هنا تحولتُ زُوْحاصفقتُ فَرِحاً وغزرتُ وشَدتُ فى لحنِ أطيّارِ
هنا تحوّل قلبى فى الهوى وَتَرّاً بيتّ ماليس ترجوه بأوتارِ

ص: ١٩١

هنا أذبتُ وُجودي في محبته هنا تحطم مِزماري وقيثاري ***
 ما أروع الحجّ أن يدنو لصاحبه من قد أتى البيت مَحْنياً بأوزارٍ واثقلته خطايا العُمر يحملها بكفه حَجلاً من ذلّ إقرارٍ
 وراح يمسح بالأحجارِ معتذراً من ذنبه خاطباً وُدّاً لغفارٍ
 يقول ياربُّ إنّي تائبٌ أبداً ممّا جَنَيْتُ وهذا بيتٌ ستّارٍ!
 فقد دعوتُ ضيوفاً ما لهم عددٌ من كلّ فِجٍ أتوا سبقاً بمضمارٍ
 ما طوّوا لباسَ «الأنا» واستبدلوا حُللاً من الصفاءِ بلبسِ الكاسى العارى
 فمن يحجُّ لبارى الخلق بارئهِ كانت محبته للبارى الذارى
 ومن يحجُّ لكسب المال متّجراً فالحجُّ حجٌّ ولكن حجٌّ تُجارٍ
 ومن يحجُّ لِدنياً كى يُصيبَ بها جاهاً وجاراً فحجُّ الجاهِ والجارِ
 لكنّما الحجُّ فى دينى ومعتقدى بأنّ يحجّ كعبدٍ حجّ أحرارٍ ***
 ما أروع الحجّ تطوافاً وتلبيةً من عاشقٍ وامقٍ يصبو لديّارٍ!
 يطوف فى البيتِ يقفو كلّ والههٍ ووالهٍ ثملاً من لحظ أنظارٍ
 قدسيه قد سقت كأساً معتقه من المحبّه لا من كفّ خمّارٍ
 هو الشرابُ الذى من ذاق جرعه قد ذاق من جنّه تجرى بأنهارٍ
 فحلّق الطائفون البيتَ فى سفّرٍ مع الأحبّه لا يرجى بأسفارٍ
 تنشى التلاوه فى أكناف كعبته ومسكها الخلدُ لا من عطرٍ عطارٍ
 لقد تجلّى بهم عشق الإله هوّى يُزرى بعشقٍ نواقيس وزنارٍ
 وإنّ تهادوا إلى الاستارِ تحسبهم ألحانَ عرشٍ تهادتْ حول أستارٍ
 يمسحون بأحجارٍ ويا خسيثُ جواهرُ الأرضِ أن تسمو لأنوارٍ

ص: ١٩٢

من جنه الخلد جبريل أتى جذلاً بأسود حَجراً في اللون كالقارِ
 لكته في ضياءٍ أو ملامسه كَفٌ لِحورٍ ونورٍ بين نُوارِ الله أكبر لو بايعت مصطفقاً كفاً بكفٍ فقد نُجيت من نارٍ ***
 ما أروع الحجاج لو قد جئت في نفرٍ يسعون بين جبال النور للغارِ!
 يهرولون بشوقٍ نحوه سحراً ليرشفوا من نَميرٍ مَارَ فَوَارِ
 ويُفعموا الروح في أكنافه مُتَعاً من كل غيثٍ من الرحمن مدرارِ
 مستلهمين من التاريخ عبرته بِعَبْرَةٍ سُفِحَتْ من عين عِبَارِ
 بالأمس قد فتح الدنيا بنعمته محمداً وسرى برقاً بأنصارِ
 مشى يخطط للإسلام دولته وبيتني مسجداً في رُوحِ إيثارِ
 وراح جُنْدٌ له في بأسهم شُعلاً يهدمون قُصورَ الظلم بالنارِ
 حتى استوت لمباني العدلِ قامته وقام معتدلاً يزهو بأدوارِ
 لكنما الفلكُ الدوارُ طَوَّحَهُ وخرَّ في جُرْفٍ وِيلاهُ مُنْهَارِ
 واليوم عادَ إلى الدنيا فراعنه من بعد ما غزى الإسلام في الدارِ
 والمسلمون ويالله في زمنٍ أضحى يسوسهم دَجَالُ أذهارِ
 لكنما النهضة الكبرى مُجَلِّجِلُهُ بَيْنَ الشعوبِ وشَبَّتْ نارُ إعصارٍ ***
 ما أروع الحجاج لو أصغيتُ مستمعاً وحي الإله ندياً من فم الغارِ
 فمن حراءِ مَشَتْ في الأرضِ ضِصِحْتُهُ «اقرأ وربك» قد خَطَّتْ بأنوارِ
 وقد تلا أحمدُ المختارُ سُورتها حرفاً فحرفاً وترتيلًا مع القارى
 وهكذا قرأ القرآن في كَبِدِ نَشْوَى وقلبٍ من الأشواقِ معطارِ
 وكان من قبلها يتلوصحائفه من غيرِ إذنٍ بإعلانٍ لأسرارِ

ص: ١٩٣

لكنما الأمر قد حانت شرائطه ودار دورته هدياً لأعصار
 وقد توالث من الرّحمنصاحه «قم» وانفضن دثاراً تحت دثار واضدح بتكبيره هدت عرووشهم وأنذر الكفر طراً أي إنذار
 وطهر الأرض من أرجاس ساستها من بعد تطهير اثواب لأبرار
 فمنذ ميلادك الميمون قد خمدت نار المجوس وأهل النار في النار
 وقد تصدع إيوان وأزوقه هدت لقيصر وانثالث كأحجار
 وغار ماء بأرض لم تكن ركزت فيها إلى الحق رايات لفهار
 فانهض لتخفق رايات قد ارتفعت باسم الإله ورفقت فوق أمصار
 وفي غد من فناء البيت يرفعها مهديكم ضارباً في حدّ بتار ***
 ما أروع الحج لو جاء الحجيج إلى جنب الغدير وحطوا رخل زوار!
 وقد أناخوا المطايا بعد حجهم مثل النبي بخم يوم تذكار
 وسألوا الشجرات الخضرة عن حديث قد كان بالأمس مشهوداً لأشجار
 هلاً سمعتن أصداء لركبهم مذ قام يخطب طه فوق أكوار؟
 وقال من كنت مولاه وسيدته هذا علي له مولى من الباري
 وآية نزلت «بلغ» بها نفراً من الحجيج ليرووها لأنفار
 ويعلم الناس أن الدين مكتمل و «اليوم» تمت بها أنعام حبار ***
 ما أروع الحج لو كان الختام له بسببية زائراً قيراً لمختار!
 ليرمق القبّة الخضراء سامقة بين السماكين نثت نث أنوار
 وقد تساقط منها الطل في حلل من الجنائن حول الجار والدار
 ومدد أحمد في أرض البقيع يداً بها ليمسح جرحاً جد نغار

ص: ١٩٤

من القُبُور التى فيها لبضعته أفلاذُ أكبادِها قُدت بأوتارِ
أهكذا يُحفظُ المختارُ فى وِلدٍ بالقتل والنفى والتَّشريدِ عَن دارِ؟ أهكذا الغيرةُ المحمىُّ جانبها؟ أين الحِفاظُ فياللخزى والعارِ؟
ماذا عدا أوبدا حتى مقابرهم ودورهم دُرست من دُون آثارِ؟ ***

لقاء مع المؤرخ الحجازى عاتق بن غيث البلادى

ص: ١٩٥

لقاء مع المؤرخ الحجازى عاتق بن غيث البلادى

فى بدايه لقائنا هذا، لو تلطفتم بالحديث عن حياتكم وعن مؤلفاتكم.

إذا كان ولا بد من الحديث عن حياتى المتواضعة البسيطة، فقد ولدت- فى الاصل- فى البادية ونشأت حتيصار عمرى ١٢ سنه ثم نزلت مكة ودرست بمدارسها، ولكن معظم تعليمى كان فى المسجد الحرام، وللمسجد الحرام يعود كامل الفضل فى أن أكون مؤلفاً او كاتباً وليس للمدارس المنهجية. فالمدارس المنهجية لا توصل الإنسان للدرجة هذه، حتى يصل للدكتوراه أو فوقها وأنا لم أصل الى هذا كله، وبعد عدة سنوات من الدراسة هذه، التى دامت- تقريباً- ثمانى سنوات او حوالى ١٠ التحقت بالجيش واشتغلت فيه حتىصرت ضابطاً؛ وصلت الى رتبة مقدم، وأثناء هذه المدة حصلت لى دراسات هامشية كثيرة منها دراسة اللغة الإنكليزية ودراسات الصحافة ودراسات أخرى. وبدأت أكتب بعض الكتب مثل معجم معالم الحجاز، لكن شعرت من الصعب التوفيق بين

ص: ١٩٦

العمل العسكري كقائد والعمل الفكري ككاتب فهذا يحتاج الى وقت كثير وذلك يحتاج الى وقت كثير، مما اضطرني أن أتنازل عن واحد منهما، والذين جربوا العمل الفكري يعرفون التنازل عن واحد منهما أمرًا صحيحًا، فتنازلتُ - فعلًا - عن الوظيفة العسكرية وتفرغت للعمل الفكري هذا وكان هذا سنة ١٣٩٨ قبل ١٨ سنة. وحتى لا أطيل عليكم فأول فكرة أتت في ذهني معجم معالم الحجاز وأمضيتُ فيه عدَّة سنوات، وكما تعرفون فإنها صار في عشرة مجلدات، وبعده تتابعت معجم قبائل الحجاز ثم معجم معالم الجغرافية في السيرة النبوية ثم على طريق الهجرة، ثم كتاب آخر في أنساب قبائل الحجاز وكتاب رحلات؛ اربع أو خمس رحلات. حتى الآن صار عندي في السوق مطبوعاً ٢٢ كتاباً؛ ففي هذه السنة صدر الكتاب الثاني والعشرون. فهذه عناوين كتبي، فكتاب معالم الحجاز وحده كما قلت ١٠ مجلدات ومعجم قبائل الحجاز ٣ مجلدات جمعت في مجلد ضخيم واحد. اضافة إلى مئات من المقالات والبحوث في الصحف والمجلات فهذه غير محسوب تعدادها.

هل اكتفيتم في تأليفكم لهذه الكتب خاصة معجم معالم الحجاز على المصادر والمراجع المكتوبة أم أنتم شاهدتم هذه المعالم بأنفسكم وكتبتم عنها؟

أنا اعتمد على الدراسة الميدانية في الدرجة الأولى واخضعها للشواهد التاريخية، فأنا عندما أريد أن اتحدث عن مدينة (رابغ) أزورها وأشاهدها وأحددها، ثم أرجع الى التاريخ لأرى هل لها أساس في التاريخ أو أنها مدينة حديثة. وإذا استطعت أرجع الى سنة تأسيسها أو عصره ودراستها فيه.

ورداً على سؤال حول حدود منى زمن الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء، وهل المجازر الآن هي داخل منى أو خارج منى؟

السؤال هذا ذو شقين: حدود منى كما حددها رسول الله صلى الله عليه وآله والى يومنا

ص: ١٩٧

هذا من الشرق وادى محسر، وهذا الوادى موجود وعليه علامات وضعتها الحكومة السعودية، وقبل الحكومة السعودية كانت فيه علامات. وحدّها الغربى العقبة (جمرة العقبة الكبرى) وفيه ناس بعد العقبة يذهبون الى منى لان الازدحام كثير. ومن اليمين والشمال الجبلان أو قمم الجبلين. هذه حدود منى وقد جعلوا لها مدرجات، أما الشق الثانى من السؤال عن المجازر فأنا لم أرها كلها. المجزرة الأولى كانت فى منى. والآن- كما فهمت- انتقلت الى مكان اسمه المعيصم، أنا لم أذهب اليه. فأهل مكة ليس عليهم هدى فلا نذهب للمجازر، ولكنى أعرف أن الأولى فى منى، والمعيصم هذا ليس من منى. وبالنسبة لمذهبنا (مذهب أهل السنة) أن الذبح جائز فى كل شعاب مكة للحديث أن شعاب مكة كلها مذبح ...

وبعض المذاهب الاخرى لا تجيز إلا داخل منى، هذا شىء قد يكون له وجه.

ما راىكم فى معنى محسر، ففى الكتب اللغوية أن محسراً من التعب والاعياء، وأخذ من تحسير من الحسر أى الكد والاعياء .. هل هذا صحيح؟

هنا يسمى وادى النار، فمنذ غزو ابرهه وهو على أفواه الناس اسمه وادى النار، وعندنا قصص اصحاب الفيل، لما أرسل ابرهه الجيش ووصلت طلائعه وادى محسر أرسل الله عليهم طيراً اباييل تضربهم حتى قتلوا، وصارت الطير تضربهم حتى فى المغمس غير المحسر وانا أقول ربما أخذت هذه الكلمة (محسر) من حسير القوة الضاربة فصارت قليلة والآية تقول «ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير» فحسير بمعنى الكليل والتسمية قديمة، ووادى محسر معلوم ومحدد وقد جعله الله الحدّ الفاصل بين منى والمزدلفه، ومحدود تجد وراءه بتره ويسمونه عمود وهو نهاية مزدلفه وبعده بقليل عمود وهو بداية منى فهو إذن يقع بين منى ومزدلفه. فلا يجوز ان تبيت فيه ليلة مزدلفه ولا تقيم فيه أيام منى، وهو مجرى وادى صغير وليس وادياً كبيراً، ليس فيه أكثر

ص: ١٩٨

من ٢٠ متراً، ودرب السيلصغير جداً فيه، وهو شعب ويسمونه وادياً، وعندنا قاعدة عند العرب وقد نزل القرآن بلغتهم عندهم الوادى إذا كان حدّاً بين جهتين قد يذهب الوادى يميناً أو شمالاً إلى أى مكان يذهب فهو حدّ مهما ذهب يميناً أو شمالاً فهو يبقى حدّاً بين الأملاك، فمحسر يصطدم بالجبل ويرجع واديه شرقاً حتى يكاد يدخل المزدلفة، وبعدها يرجع مرة ثانية الى جهة العزيزية.

والمزدلفة لا تطل على عرفه وانما لها حدود ويصير بعدها حلّ أى بعد حدود مزدلفة يصير هناك حلّ، مكان لا هو من عرفه ولا هو من المزدلفة لكنه حرم، وبعد ذلك تأتى منطقة حدود الحرم. جبل نمرة بين منطقة الحرام ووادى عرنة لا هو من الحرم ولا هو من عرفه أى حلّ من غير عرفه وعرفه حلّ، فعندنا منى ثم وادى محسر نسير قليلاً نجد المزدلفة وفيها جبلان يضيقان فهذا حدّ المزدلفة، ما غربها مزدلفة وما شرقها ليس من مزدلفة حرم ولكنه ليس من عرفه، حتى نصل جبل نمرة هناك حدّ الحرم، بعد نمرة لا هو من عرفه ولا هو من الحرم الذى هو وادى عرنة، ووادى عرنة حدّ بين الحرم وبين عرفه لا ثمر فيه ولا شجرة تقطعها.

هل كان هناك من يزور مكة المكرمة قبل نزول جرهم مكة، وهل كانوا يسعون بين الصفا والمروة ويرمون الحصى على الجمرات الثلاث؟

لا، لا هذه الجمرات غير موجودة والذبح من سنة إبراهيم، وقبله لم تكن هناك جمرات.

هل كان البيت يحج قبل إبراهيم؟

لا- يحج لسبب واحد أن الله تعالى قال «وأذن فى الناس بالحج...» فقال ربي لا يبلغ ندائى، قال الله أذن وعلّى البلاغ، فقيل نادى ابراهيم بالحج فسمع الكل نداءه. فهذا دليل على أن وجوب الحج بعد ابراهيم.

ص: ١٩٩

هذا معلوم ولكن قصدي أن جرهم لما كانوا يزورون ويريدون الإحرام يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. هل كان هذا شعارهم؟

لا، لا.

إنه موجود، هذا موجود، إنه شعار جرهم، فهذا ممتزج بالشرك، فسؤالي هل كان حجهم قبل جرهم ممتزجاً بالشرك كما كان حال جرهم وخزاعة حينما يحجون ممتزجاً بالشرك أو لا؟

هذا صحيح فجرهم قبل بناء البيت وبعده كان لهم وجود وبعد أن قال إبراهيم حجوا، فإبراهيم قد يكون لم يتمكن من أن يعلم كل القواعد، وإلا فملة إبراهيم الحنيفة. لكن عندنا شيء ثانٍ وهو أن نحدد هل عاد وثمود قبل إبراهيم أو بعده؟

قبله، فعاد في أخبارهم لما أصابهم القحط أرسلوا وفداً يستسقى في الحرم، وهذا معناه أن الحرم كان موجوداً، لكن لم يصل إلى علمي هل عاد هؤلاء قبل إبراهيم أو بعده؟ على الظاهر أنه كان قبله، هذا كلام مؤلفين كبار. عملت كتاباً قبل مدة عن فضائل مكة وذكرت هذا الكلام وتعرضت إلى تأريخ الحرم، لكن لم يمر على في جميع المصادر أن هناك حجاً قبل إبراهيم. لكن عاد لما جاءهم الخطر أرسلوا مندوبهم إلى مكة ليدعو عند الحرم (في رواية) حتى يسقيهم الله تعالى فسيهم وجلس يشرب الخمر حتى غنت إحدى المغنيات ألا يا قيل قيل ويلك قم فهينا أي قم فادعو... فقام يدعو فأرسل الله لهم السحاب اسود بعد أن قال اختر لقومك الأبيض أو الأسود فاختر الأسود لأن فيه مطر كثير، فقال لقد اخترت لقومك أسوء العذاب. لكن هل هذا قبل إبراهيم أو بعده ما في عندنا دليل.

ص: ٢٠٠

هل شعب المقبرة هو شعب «أبو طالب» الذي بقوا فيه ٣ سنين؟

إن شعب بنى هاشم هو الذي يوجد جنب المسجد الحرام، والذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام. ثم سمي شعب أبي طالب. وفي العهد الأموي اشترى بيت أبي طالب رجل اسمه أبو يوسف فسمى حينئذ بـ شعب أبي يوسف، ولما جاء العهد الفاطمي اطلق على هذا الشعب «شعب علي» وحددوا مكان ولادة الإمام علي عليه السلام في هذا الشعب. فالإمام علي عليه السلام ولد في بيت أبي طالب*، وبيت أبي طالب مشهور ومعروف في هذا الشعب. هذا بالنسبة إلى ما يخص شعب (أبو طالب). أما فيما يخص الشعب الذي فيه مقبرة فكانوا يسمونه شعب أبي دب. وكان الازرقى مؤرخ مكة يقول: إنه الشعب الوحيد الذي يستقبل القبلة. وفعلاً إن وقفت فيه تستقبل القبلة تماماً.

فهذا المعروف بشعب أبي طالب ليس هو الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وآله هو نفسه. بلى هو نفسه.

وأما الذي هو موجود على حدّ المقبرة، لا يقال له شعب أبي طالب وإنما هو قبر أبي طالب الذي في الشعب وهو ليس قبر عم النبي صلى الله عليه وآله وإنما هو للشريف أبو طالب أحد امراء مكة توفي قبل ٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة. كما يذكر في تاريخ مكة. وعلى هذا فالشعب الذي حوصر فيه بنو هاشم هو هذا الشعب.

لا، إنما حوصروا في الشعب المسمى (شعب علي)، الذي هو قريب من قصر الملك والصفاء، ولهذا فإن كنت في القصر ترى الشعب. أما الشعب الذي هناك عند المقبرة فليس له علاقة بشعب بنى هاشم، ولا نزلوا فيه. وإنما هو مقبرة علي مرّ التاريخ.. ومقبرة مكة تسير من رعي الحجول (الحجون) حتى الجعفرية وسميت بمقبرة أبي جعفر المنصور. هل هناك خلاف في قبر خديجة؟

ص: ٢٠١

قبر خديجة فيه خلاف. هو من المؤكد في هذه المقبرة. ومعرفة هذا القبر كانت معرفة وراثية كما كنت أقول للناس. فكل من له قبور في هذه المقبرة كان يقول لأبنائه ولغيرهم هذا قبر السيدة خديجة وهكذا يتوارثون هذا القول. ولكن خرجت علينا رواية، أظن أن ابن فهد ذكرها. قال: إن هذا ليس قبرها الحقيقي وإنما هناك شخص رأى رؤيا أن خديجة موجودة هنا في هذا القبر.

هل الحجون بضم الحاء أو فتحها؟

ضبط الاحرف أنا ذكرته في معجم معالم الحجاز، وأنا أظن أنه الحجون وليس الحجون. الحجون جمع والحجون نصفه. وأنا ذكرت ذلك.

نعود الى كلامنا السابق (الشعب)، إذا نزلت على الحجون يوجد جسر كبير، على يدك اليسار المقبرة القديمة، وعلى اليمنى مقبرة السليمانية، هذه المقبرة حادثة في القرن الحادي عشر تقريباً، والمقبرة التي في اليسار هي التي فيها قبر السيدة خديجة رضي الله عنها وابو طالب ... وبصرف النظر عن الصحة وعدمها فلا يصل واحد إلى ذلك إلا بالبحث المؤكد والمركز، فذاك الشعب ليس له علاقة بسكان قريش ولا يصل بمكة، ففي عهد قريش كان من الضواحي، ومكة كان حدها بعد مسجد الجن، قرب البريد هذا حد مكة ومنه الى الحرم. وسكانها كانوا قليلين.

وبنو هاشم كانت بيوتهم بهذا الشعب، وكان حياً من أحياء مكة، وكان بنو مخزوم في شعب، ولهذا فمكة مشهورة بالشعاب، هذا به مخزوم وذاك به بنو عامر جنبهم، وهذا شعب ... وبنو هاشم لهم هذا الشعب .. وكفار قريش تعاهدوا على أن لا يبايعوا بنى هاشم ولا يشاروهم ولا يطعموهم .. فبقوا محصورين في هذا الشعب على بعد مرأى من مكة وبيوتهم اذن في الشعب أساساً. وهو حي من أحياء مكة.

وهم أي الكفار لم يخرجوا بنى هاشم من بيوتهم الى هذا الشعب، وإنما هم

ص: ٢٠٢

كانوا في الشعب، بيوتهم فيه أصلاً. فبنو هاشم هم سادة قريش فلم يخرجوا من بيوتهم الى هذا الشعب ليحاصروا به وإنما هم في هذا الشعب أصلاً. وقال الكفار لا نبايعهم... ويقوا محصورين فيه حتى أكلوا ورق الشجر. كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أو عن آخر أكلنا ورق الشجر. وقد ذكرت هذا في معجم معالم الحجاز (شعب بنى هاشم، شعب أبي طالب، شعب أبي يوسف، شعب علي) ويصّب على المسجد الحرام من الشرق وهو على بعد مئة متر أو أكثر وهو سيل يصب في جبل أبي قبيس. فأبو قبيس الشمالي هو شعب علي، وفي اول الشعب كان بيت أبي طالب، وقد ولد النبي صلى الله عليه وآله فيه وكان بيتاً لعبد المطلب الذي صار فيما بعد لابي طالب، ثم صار الشعب شعب ابي طالب فيما كان في زمن عبد المطلب يسمى شعب بنى هاشم، وهناك مثل قديم عند العرب «أهل مكة أدرى بشعابها».

وشعاب مكة كثيرة. وأنا شخصياً في مكة بعض شعابها لا أعرفها على كثرتها.

هناك كتاب يسمى المناسك للحربي، وليس فيه - أصلاً - إشارة الى المناسك. ما هو رأيكم فيه؟

يقصد المناسك هنا مسالك الحج، فهم كانوا يُطلقون على مسالك الحج المناسك وليست عرفه ومنى.. وهناك كتاب آخر للبكري أظن أن اسمه كتاب المسالك والمناسك أو المناسك والمسالك، وقد طبع في الكويت. وشرعاً أو اصطلاحاً المناسك هي أعمال الحج، ولم أحقق فيه وإنما الشيخ حمد الجاسر هو الذي حقق الكتاب هذا وقال: إن إبراهيم الحربي شخصيه معروفه. حدّثنا يا شيخ! حول مسجد الجن والشجرة.

مسجد الجن كان خارج مكة (الاحياء في مكة «هنا حتى ثم يأتي حتى آخر بينهما براج) احتكمت الجن الى رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله حسب الروايه واعطاهم حاجاتهم وقضى لهم وأسكن ناساً الى مدينه آخر الشمس لا اذكر اسمها الآن، وكان معه

ص: ٢٠٣

عبد الله بن مسعود، كما أذكر، وخط له خطأ وقال له: لا تتحرك من هنا. ولما رجع الرسول صلى الله عليه وآله أنكر عليه قائلاً كيف خرجت فقد يأخذوك وقد وضعت لك سياجاً عنهم؟ ولما رجع الرسول صلى الله عليه وآله من عندهم، فإذا شجرة حدثها، وخطت خطوات حتى وقفت عنده ... ارجعى فرجعت .. فسجد الجن ومسجد الشجرة ليس بينهما إلا عدّة خطوات هذا مسجد الجن وهذا مسجد الشجرة وربما بينهما عشرون متراً أو ثلاثون متراً أو ١٠-١٢ دكاناً. فإذا صليت بمسجد الجن وتخرج تجد مسجد الشجرة. حول مسجد البيعة.

مسجد البيعة ونسميه مسجد العقبة. مبنى بحجر ومرخم، أنا شاهدته من زمن ليس ببعيد.

حول ثنية أذاخر.

ثنية أذاخر: نزل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح، وتقع هذه الثنية بعد مسجد الإجابة من الجهة الغربية. وقيل إن الرسول دخل مكة من ثنية أذاخر وهي بجوار شعب النور، فيها مسجد النور. والرواية تقول الرسول صلى الله عليه وآله هنا هي رواية المؤرخين ولهذا فنحن نقول اخبار الاخباريين لا تلزمناصحتها ولا يجب علينا تكذيبها ففي الدين يجب علينا أن نبحث عن الرواية أو الحديث أنه صحيح أو ليس صحيحاً أو أنه حسن أو ضعيف، أما في التاريخ فهو خبر لا تلزمناصحته ولا يجب علينا تكذيبه. فهو مجرد خبر كما يخبرك أحد بوجود حادث في الشارع واصيب رجل، فلا يلزمناصحته او كذبه.

أما إذا رويت صلاة الرسول في هذا المكان تكون سنة تحتاج منا الى البحث عنصحتها وبالتالي يمكننا أن نصلى في هذا المكان تبعاً لآثار الرسول صلى الله عليه وآله.

في سؤال حول مقر الرسول صلى الله عليه وآله عندما أراد دخول مكة، هل كان في

ص: ٢٠٤

داخل مناطق مسكونة أم كان خارج مكة؟

الرسول كان قائداً وله جناحان من الجيش، فالفرقة التي مع الرسول ليس لها علاقةً بالقتال، فقد جاءوا من أطول الطرق ووصلوا أذاخر واستقروا فيها فدخل خالد بن الوليد الى مكة، ودخل القائد الآخر (سعد بن عباد) وهو يحمل الراية، وكان يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل من قريش وقد يكون علياً: خذ منه العلم وقل اليوم يوم المرحمة ... فتحوط القيادة الفعلية من الانصارى الذي كان غريباً عن مكة والذي قد يكون يتشفى من المشركين الى رجل من قريش ليكون اكثر رحمة عليهم. أما الرسول فوضع خيامه عند الأبطح حتى جاءه الخبر أن مكة سلمت فدخل الحرم، وطريقة التسليم وتكسير الاصنام .. معروفة عند المؤرخين.

فى طريق التنعيم يوجد مكان باسم الشهداء، ويقولون هذا مكان شهداء فخ، فهل هذا هو مقبرة شهداء فخ أم هم فى مكان آخر وهذا بقى باسمهم؟

لا. لا: هؤلاء (شهداء فخ) بعد عصر الإسلام ب ١٥٠ سنة، ليس لهم علاقةً بالفتح ولا بعهد الرسول صلى الله عليه وآله وهو رجل من بنى الحسن كان ثائراً اسمه الحسين بن على شهيد فخ. جاء ثاراً وقال: وإن كنت مطالباً ولكن أنا حاج ولست مقاتلاً الآن فخرج له القائد العباسى من ولد ابن عباس، واعطوا له الأمان وتعدى أحد الجنود وضربه بالنشاب وقتله، وثارى معركة وهى غير متكافئة فقتلوا، ومحل المعركة موجود وبنى عليه حياً. حول ما كتب عن تاريخ الحجاز.

التاريخ السياسى مستفيض، توجد رسائل كثيرة فى تاريخ الحجاز، فى العهد الايوبى فى العهد العباسى ..، إنما التاريخ المذهبى لم يتعرض له أحد خاصة فى الحجاز، كل سنة يتجمع الناس فى الحجاز، وكل مذهب يترك له بقايا ولو كانت

ص: ٢٠٥

قليلة ثم تنتشر حتى وصل الامر عندنا في المسجد الحرام إلى أن تقام أربع جماعات فيصلاة واحدة وهذا لا يرضاه رسول الله صلى الله عليه وآله. أنت حنفي وأنا شافعي أصلي وراءك وهذا مالكي حتى إذا كان جعفرياً أصلي وراءه، لا يوجد في ذلك مانع الرسول صلى الله عليه وآله له حديث ما احفظ نصه تماماً معناه من قال لا- إله إلا الله واتجه الى قبلتنا وصليصلاتنا فهو منا، فإذا هو منا. فلماذا لا نصلي معه؟ ثم لماذا لا تصلي وراء رجل اقام الإقامة واستقبل القبلة وكبر وقرأ الفاتحة وقرأ قل هو .. وركع ورفع راسه وسجد وقام بركعة ثانية وجلس وقرأ التشهد الأول وقام الى الركعة الثالثة ثم سلم... صليصلاة كاملة فلماذا لا تصلي معه الصلاة؟ هل ابتدع في صلاته، او ارتكب بعض المخالفات مثلاً .. فإن كانتصلاته كاملة فلماذا لا يصل خلفه ولا تسأل عن مذهبه؟ في زيارة بعض الاخوان لي اقترحت عليهم اقتراحاً وقلت: أنا لست من العلماء بل انا من تلاميذهم، ولكن أحياناً يقترح التلميذ على استاذة وقلت: لو تشكل لجنة عالمية اسلامية وتدعو المذاهب حتى وإن كانت شاذة، وتبين أسباب الخلاف بينها ودرجاته، سواء كان خلافاً ظاهرياً كبيراً أو كان خلافاً متوسطاً أو طفيفاً. تطالب مثلاً أصحاب المذهب الشافعي وعلماءه والمتمسكين به في اليمن ومصر وبعض مناطق الحجاز تطالبهم بتقديم قائمة صغيرة بالاختلافات وما يريدونه، ثم انتم أيها الزيدية ما هو الخلاف بينكم وبين الحنابلة أو بينهم وبين الجعفرية وبين هؤلاء والمالكية ... اللجنة هي أيضاً يجب أن تتألف من عقول مرنة ليست متعصبة، فالتعصب في الإسلام يعمى ويصم. الرسول قال يسروا ولا تعسروا. والله يقول لرسوله صلى الله عليه وآله «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» اي لما بقي معك أحد. كان الرسول صلى الله عليه وآله يرى خطأً ويتسمم، يرى الرجل يصلي خطأً فلا يقول له انت لا تعرف الصلاة بل يُرشدته الى الصحيح دون أن يخجله. دخل رجل غريب مسجداً وجعل المحراب

ص: ٢٠٦

خلفه وصلى وإذا بالمؤذن يذهب الى الإمام ويخبره واذا بالامام يقول له آه آه ويردعه بشدة .. وقلتُ دع الرجل يسلم ثم خاطبه كما يقول الرسول بما يفهمه. ثم يا أخى كيف تقول لشخص توجه الى القبلة بصلاته انت لست مسلماً. أنا أعرف أن هناك جماعة التقريب ولكنهم كسالى أو اصطدموا .. فعليهم وعلينا أن نشخص الداء أولاً ثم نُعطى العلاج له. فإذا استطعت أن تعالج الداء فلك أجر كبير ومضاعف وان لم تستطع فقد كُتب لك أجر، فالمجتهد إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله عشرة.

نأمل أن تقوم دور التقريب فى القاهرة وطهران وفى غيرها بواجبها، وتتعرف على أسباب الخلاف بين المذاهب وتقول كلمتها. لم يك منظور السائل ما تفضلتم به، وإنما منظوره من الناحية السياسية والتاريخية وعن الناس الذين يعيشون فى الحجاز. إن أوضح التواريخ سياسياً هو تاريخ الحجاز، كان بلداً جاهلياً قامت فيه سلطة لقريش ليست دولة ولكنها سلطة على الحرم وعلى أماكن أخرى، ثم أتت الرسالة وكانت اول البلدان التى التفت حول الرسول وآخرها كما فى فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة. وبقيت موحدة فى عهد الخلفاء الراشدين ثم استقلت بلاد الحجاز ومصر وشىء من بلاد فارس فى عهد ابن الزبير تسع سنين فصار ابن الزبير وعبد الملك بن مروان خليفتين، وبعدها انتهى الأمر الى عبد الملك بن مروان والدولة الأموية. وكذلك الدولة العباسية.

ولما تفككت الدولة العباسية أو ضعفت قامت دولت الأشراف هنا، وكانت تابعة الى دولة كبرى الى بغداد أو إلى القاهرة. بعدها أتت الدولة الفاطمية وبعد هذا كله الدولة الأيوبية التى حررت فلسطين من النصارى. وكان الحجاز- مع وجود دولة الأشراف- تابعاً الى الدولة الأموية أو تستولى حوالى ١٠٠٠

ص: ٢٠٧

سنة عليهم اليمن، وجاءت الدولة العثمانية في القرن العاشر وصارت دولة قوية ولم تذهب وقد ولدت في زمنها ثم جاء الحكم السعودي في سنة ١٣٤٣ هـ فهذا تاريخ واضح. وحتى لو ذهب الحكم تبقى السلالات، فالعباسيون منهم في الحجاز كثير، والأمويون منهم كثير أيضاً في الشام ولبنان .. اعرف فلان العباسي وفلان الأموي وعندنا في مكة أيضاً فلان العباسي وفلان الأموي .. والاشراف أيضاً موجودون، وعندهم ناس معروفون، ثم عندنا الحسينيون هم السادة أما الحسينيون فهم الأشراف. وعندنا هنا طبيعة في القبائل ففي كل قبيلة رجل يأمر وينهى وهو شيخ القبيلة والدولة تخاطب الشيخ هذا، فإذا أرادت شخصين من القبيلة فلا يرسلوا مندوباً لجلب فلان وإنما يرسلون الى شيخ القبيلة لإحضار فلان، وكل قبيلة في ديارها، فالامير يطلب من شيخ القبيلة احضار فلان، وعندنا شيء من الديمقراطية فالقبيلة لا تمتهن او ليس لها رأى، وشيخ القبيلة أيضاً يجمع قبيلته للتشاور إن كانت هناك أزمة في البلد، ويكونون أيضاً حاضرين خاصة ايام الجهاد. وحتى أن والدي كان يحكى لى أن كل شيخ قبيلة كان يعرف قوة قبيلته. فيجمع مقاتلى قبيلته للجهاد. إن الرابطة موجودة وما زالت حيّة بين افراد القبيلة وإذا حدثت أزمة في البلد يقف الجميع، وإذا كان هناك جهاد ضد عدو ترى القبائل تقدم المال والافراد لدعم المجهود الحربى فى عملية الجهاد تلك.

ورداً على سؤال حول من هم أهل البيت؟ قال البلادي

إن هناك خلافاً بين المؤرخين حول أهل البيت. والشىء الثابت بين الجميع أن أهل البيت هم على وفاطمة والحسن والحسين، ولكن بعض المؤرخين يضيفون أزواج النبي صلى الله عليه وآله إليهم وهناك من يضيف العباس وعقيل .. عندنا نحن الشيعة أهل البيت (فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها) وهذا الحصر

ص: ٢٠٨

فيه روايات موجودة عندنا. وهؤلاء فقط هم المشمولون بآية التطهير «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» وهو بحث قرآني وتأريخي .. مفصل.

وإن السادة: كل من ينتسب الى هاشم جدّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعندنا بحث مفصل في الفقه في باب الخمس .. عن بنى هاشم.

إن سلالة بنى هاشم انحصرت بعد المطلب.

هل الان تُخرجون الخمس من بيت المال؟

نعم هذا حكم شرعي عندنا. كما أن الزكاة حكم شرعي أيضاً عندنا.

وفي سؤال حول غار ثور، قال البلادي

نحن لسنا ملزمين بالذهاب الى كل أثر لرسول الله صلى الله عليه وآله بل نحن ملزمون بالآثار العبادية. فأنا أرى الغار من بعيد واعرّف محلّه ولكن لم أصل إليه ولست ملزماً بالذهاب اليه، الرسول ذهب خائفاً مهاجراً ملتجئاً اليه.

ومن الناحية الجغرافية هو في جنوب مكة، والقدماء أخطأوا حينما قالوا هو أسفل مكة، وهو الآن داخل الحرم وليس داخل مكة البنيان، البنيان يبعد عن الطريق.

بعض أصحاب الكتب التاريخية يقولون إنه يبعد ٣ كم عن مكة.

المقصود عن الكعبة لان المسافات تؤخذ من باب المسجد الحرام فهو يبعد ٣ كم عن الكعبة.

فلما يبعد ٣ كم عن الكعبة فهو إذن داخل مكة.

مكة تتسع في الشمال ووصلت إلى ٧ كم فمسافة مكة من الشرق الى الغرب ٢٢ كم، ومن الشمال إلى الجنوب ١٠ كم حتى الحرم، سبحان الله يعنى الحرم من الشرق إلى الغرب حوالي ٤٠ كم وزيادة ومن الشمال الى الجنوب بحدود ١٤ كم

ص: ٢٠٩

أو ١٨ كم وهو عبارة عن مستطيل طوله من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب.

لو كانت هناك محاضرات جيدة بين العلماء لُحلت كثير من المشاكل الموجودة بين الفرق الإسلامية.

هذا يرجع الى نشاط المؤسسات العلمية، وأنا لحد الآن ما رأيت حكومة تعرف هذا التقارب والاجتماعات بل هناك مؤسسات مثل رابطة العالم الاسلامي في الأردن، جمعية أهل البيت في سوريا، ورابطة العلماء في ايران ومجمع التقريب، جماعة العلماء. رابطة الأزهر، هؤلاء هم الذين يقع عليهم الواجب. أما الحكومات فبعضها لا يعرف الإسلام من أين أتى. الإمام الخميني رحمه الله وأربعة أشخاص أو خمسة قاموا بالسنة وفرضوا الشريعة، لكن الاخرين لا يعرفون شيئاً.

الإمام الخميني كانت عنده فكرة ايجاد خندق واحد أساسه المدارس والحوزات العلمية ضد الكفر العالمي. ونحن كلنا مسلمون كما قلت من قال لا إله إلا الله وصلى الى الكعبة فهو مسلم وهم يد واحدة على من سواهم.

نعم ويتركون خلافاتهم يحكم الله بها يوم القيامة إذا ما تمكنا من الاتفاق على إزالتها الآن والله يقول «وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» (١).

وإلا لماذا يكفر بعضنا بعضاً؟ الكافر من أنكر شيئاً من جوهر الإسلام، من أركان الإسلام. أما الذين يكتفون أيديهم أو الذين يقولون آمين فهؤلاء ليسوا كفاراً، نحن نكتف أيدينا. وهناك مذهب لا يكتف أبناؤه أيديهم في الصلاة، المالكية والزيدية لا يكتفون أيديهم .. فهل هؤلاء ليسوا مسلمين؟ هذه اختلافات في الفروع البسيطة والحمد لله أركان الإسلام الخمسة لاخلاف فيها. أركان

ص: ٢١٠

الايمان لا خلاف فيها. الكتاب المنزل واحد. وقد سمعت أن عندكم (الشيعة) زيادة، أو عندكم مصحف كبير غير هذا. أو أن الجعفرية يقولون ما عندكم (السنة) شيء من القرآن نحن عندنا مصحف ..

الجعفرية يا شيخ لا يقولون هذا وإنما الآخرون يقولون عليهم بهذا .. نحن نسمع أن هناك مصحف فاطمة ونحن في ايران لم نر مثل هذا الكتاب.

المصحف في اللغة هو الكتاب الذي يحوي صحائف، فالقرآن اطلق عليه المصحف اصطلاحاً. كما أن الاذان اصطلاحاً (الله أكبر ...) وحتى حين تنادى واحداً فهو أذان. أنا أعرف الكلام هذا، لقد أطلعت أحدهم على كتاب تفسير محمد باقر الناصري وقلت له انظر بأى شيء بدأ؟ لقد بدأ بالفاتحة وهي سبع آيات. وانتهى ب (قل أعوذ برب الناس ...) ثم نظرنا داخل التفسير فوجدنا قال ابن عباس وقتادة ... هذا تفسير ونظرنا أيضاً الى تفسير الطباطبائي ووجدنا فيه سعة ذكر فيه الخلافات المذهبية، هو يقول هذا يجوز وهذا لا يجوز، الذي يجوز عنده قد لا يجوز عندنا ..

إن شاء الله تفضلون الى ايران ستجدون في مكتباتنا الشخصية والعامه كل كتب السنة الفقيهية والروائية ومنها صحيح البخاري وفي مكتبتى الشخصية يمكن عندي ١٥ دورة تفسيرية .. وكل ما في مكتبتك هذه عندي في مكتبتى ..

ولكن مع الأسف في مكتبتكم لا يوجد شيء من كتبنا .. وتفاسير السنة التي عندي أكثر مما هي عندكم في مكتبتكم هذه، تفسير القرطبي. تفسير في ظلال القرآن. تفسير الطبري، ١١ دورة تفسيرية من السنة موجودة عندي ..

أنتم تتبعون الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو من أهل الرسالة والنبوة ..
فالمفروض أنتم ورثة القرآن.

نحن نقول لو كان في مكتبتكم كل كتب الشيعة لأمكنكم الاطلاع على ما عند

ص: ٢١١

الشيعة، فيميز بين ما يؤمنون به وما اتهموا به. والعجيب أننا إذا ردّ بعض علمائنا تهماً وشبهات تثار حول الشيعة قال الآخرون إن هؤلاء أهل تقيّة.

نعم إن قلت هذه التهمة ليست عندنا، قالوا عنكم أنتم أهل تقيّة.

عندنا تقيّة ولكن الآن نحن لا نخاف من أحد، الشيعى يخاف من السنى فى زمن العثمانيين والصفويين فقد كانت هناك تقيّة، فالسنّة فى ايران كثيرون وفى مناطقهم كان هناك خوف، مشاجرة وخلاف بينهم تبعاً للخلاف بين الصفويين والعثمانيين فجّر الخلاف الى السنّة والشيعة وتوسع. وكان السبّ والشتم الموجود فى كتب السنّة والشيعة لأسباب سياسية. فكان أصحاب هذه الكتب إما من العثمانيين ضد الشيعة وإما من الصفويين ضد السنّة. أما الآن فلا يوجد خوف عندنا. والتقيّة التى عندنا اليوم هى تقيّة مداراة، وهذه وظيفة لنا، فعندما تدخل مسجداً لأبناء السنّة- وحسب فتوى الإمام الخمينى- فعليك أن تصلى وراءهم، لهذا ترى الايرانيين يصلون جماعة فى مساجد أبناء السنّة توحيداً لصفوف المسلمين، كما أن اخواننا السنّة يصلون فى مساجد الشيعة لأنه توحيد لصفوف المسلمين فى خندق واحد ضد أعدائهم.

على ما نقول نصل الى نتيجة حتمية بأن كل الاختلافات التى بيننا كانت على أساس تاريخى وسياسى والقليل منها على أساس دينى. فلو قسمنا الخلافات الى عظمى ووسطى وصغرى، نجد أن العظمى هذه نتيجة سياسية، نتيجة للقتال بين معاوية وعلى. تقول إن السياسيين استغلوا الخلافات العقائدية وأذكوها، هذه هى القصة.

والى يومنا هذا إذا تخاصمت دولة فى افريقيا وأخرى فى آسيا، وصار كل منهما يرجح موقفه أنه هو الصواب ويصف الآخرىين بأنهم كفره وملحدون وأنه

ص: ٢١٢

فقط هو المسلم.

كما تلاحظون في العشر سنوات الأخيرة الكثير من الكتب تطبع ضد الشيعة.

لماذا تطبع مثل هذه الكتب وبالذات في السنوات العشرة الأخيرة؟ وهذه الكتابات ضد ايران بعد نشوب الحرب العراقية الايرانية بعد أن قام العراق باعتدائه على الجمهورية الاسلامية وقد ساعدته كل الدول في اعتدائه على ايران، وبدأت تكتب أيضاً ضد الشيعة. واتحدوا ضد الشيعة، وإلا فالخلاف تاريخياً بيننا وبين السنة حول الخلافة والولاية.

معنى هذا أن الصورة تكررت كما كانت بين العثمانيين والصفويين أيام الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وقد تبودلت الاتهامات بينهما، كل منهما ينسب الكفر والخيانة للآخر. وكما كان الحال في الدولة العباسية والدولة الفاطمية، فترى من يقول: إن العبيدية كفر، طيب كيف يتهمون بالكفر وهذا الأزر ثمرة من ثمارهم وإن كان هو شافعيًا وليس اسماعيلياً؟ وإن لم تكن لهم حسنة إلا بناء القاهرة والازهر لكفى في اسلامهم هذا. قد يكون هناك شيء من الانحراف ولكن لان الدولة العباسية كانت المسيطرة وانها كما يقولون عنها ظل الله في الارض فكانت تشتم وتتهم الدولة الفاطمية بالكذب والانحراف ... ولهذا يقول شاعر الفاطميين

تقول بنو العباس هل فتحت مصر؟! فقل لبني العباس قد قضى الأمر نحن ندعوكم الى تعلم اللغة الفارسية.

نحن ندعوكم الى لغة القرآن أنتم تدعوننا الى لغة من؟

نحن نفتخر بأن نقول نحن أيضاً عرب أبناء الإسلام.

كانت هناك ندوة في منى وقد اشتركتُ بها، وكانت ندوة جيدة، فأحد

ص: ٢١٣

الخطباء قال نحن نقول العرب، ولا نقصد من ناحية الأب والأم إنما العرب بالإسلام، فأبناء الإسلام الذين يؤمنون بالنيبصلى الله عليه و آله وبالقرآن. فنبهم عربى وقرآنهم عربى فهم ايضاً عرب. فيلتحقون بهم.

فأنا قلت بعد نهاية الندوة للوزير، يا معالى الوزير عندنا رواية عن النبيصلى الله عليه و آله لا بد من أن تسمعها فدعنى أقرأها لك: فقال: أقرأها.

فقلت: عن النبيصلى الله عليه و آله: علّموا أولادكم اللغة العربية فإنى عربى والقرآن عربى ولسان أهل الجنة العربية. فنحن مهتمون بالعربية .. ولكن تعلم اللغة الفارسية تجعلكم تطلعون على ما عندنا من كتب بهذه اللغة، فإن كثيراً من الكتب غير مترجمة.

أنا كراى شخصى بحت، أنا لا أمثل أحداً: ما دام قد ابتلينا بالدول الإسلامية وأنا من النوع الذى لو كان له رأى أو له كلمة أو له قدرة لدعوتُ الى دولة واحدة. والاسلام لن تقوم له قائمه ما دام أن كل دويله تقطعها فى ساعتين بالسيارة، حتى أن بعض الدول حينما تبحث عنها فى الخارطة لا بد لك من أن تستعمل مجهراً، وبعضها دولصغيرة فى قلب أوربا. لهذا فإن الاعداء يقضون عليها دولة دولة ويقضمونها دولة دولة ففى الاتحاد السوفيتى دول اسلامية متعددة، البوسنة والهرسك فى قلب اوربا، والدول الاسلاميه عددها ٥٠ دولة لاتستطيع أن تقول كلمتها وتسمعصوتها وتقول هذاصح وذاك خطأ، تجدد بعضاً منها جائعاً والبعض الآخر له مشاكل مع جيرانه، وبعضها بقايا شيوعيه وبعضها حكامها ليس لهم هم الإسلام .. فلو هذا العالم دولة واحدة فلا تستطيع ان تقول الدولة العظمى هى امريكا أو تقف أمريكا ضده.

ص: ٢١٤

هذا كلام الإمام الخميني: لو كنا نوحده صفوفنا فنحن أكبر دولة، فالإسلام ثلث العالم. مساحة وسكاناً واقتصاداً أكبر من أمريكا، السكان ١٠٠٠ مليون على أقل تقدير، وأمريكا ٢٤٠ مليون، المساحة نصف آسيا ونصف أفريقيا وجزء من أوروبا أيضاً، البترول والقطن والبلح (التمر) والذرة والقمح ... كل هذا يُمكن أن يفيض عن الحاجة. لكن تجد دولة صغيرة ولايرميل بترول عندها وبجانبيها دولة تسير أنهاراً من البترول ... فيه دولة القمح فيها كثير وأخرى ليس عندها شيء وتريد تلك عملة صعبة فهذا ليس هو الإسلام.

وجواباً عن سؤال حول تحريف القرآن:

هذا قلته: إن بعضاً يقول إن الإيرانيين أو الشيعة بالخصوص يقول إن القرآن محرف .. وأنا اطلعت بأن القرآن هو القرآن وليس هناك قرآن آخر.

نحن نأمل منكم ومن العلماء أن نوحده صفوفنا ونبحث في الخلافات، وبهذا نصل الى حلّ بعض الخلافات الموجودة في الناحية العقائدية في قصة الولاية والخلافة وفي الفروع الفقهية، وأن يتم البحث بكل حرية وتحترم آراء كلّ مذهب.

أنا أقول بعض الخلافات من النوع السياسي والبعض الآخر من النوع الديني. من الناحية السياسية انا أقول العالم الاسلامي يكون واحداً، وأما الاختلاف في المذهب فهذا أمر وارد ولا يتنافى والدولة الموحدة، بدليل أن هذه الدولة العثمانية الواسعة الكبيرة كانت فيها مذاهب ٦ أو ٧ في الشام الاسماعيلية، في لبنان الجعفرية، وفي شرق الجزيرة وفي اليمن الزيدية، وهنا كانت الشافعية والحنفية، وفي نجد الحنابلة، وفي مصر الشافعية .. فهذه المذاهب كلها موجودة في داخل الدولة العثمانية وليس هناك خلاف على من يحكم. وإن كانت الصلاة في

ص: ٢١٥

الحرم تؤدي من قبل عدّة أئمة هذا ما كان ينبغي أن لا يحصل.

كم ساعة تشغلون يومياً مطالعة وتأليفاً..؟

اللّه سبحانه وتعالى يقول «وخلقكم أطواراً» قال العلماء الكثير في تفسيرها، أنا ارى وأقول في تفسيرها- وإن كان يخالف العلماء- أقول: إن الانسان يخلق صغيراً ويتحرك قليلاً ثم لما يشب قليلاً يبدأ يركض ويلعب طول النهار ولا يطرحه إلا النوم، ولما يكبر ويتكلف بالعمل يظل يتضجر ويقول أنا أعمل كذا ولا أفعل كذا، ثم لما يصير شاباً يتطلع الى الزواج والانجاب والبيت ويريد أن يسكن بيتاً وحده ومن ناحية العمل تبدأ الطريقة نفسها. فأنا أول ما ابتدأت العمل الفكري، لا اعرف حاله اسمها الراحة، فأنام الساعة ١٢ ليلاً وأقوم الساعة ٤ أصلى الفجر، أربع ساعات فقط، وقد أنام ظهراً ساعة أو لا، وأشتغل الصبح والعصر. أما الآن فقد تغير الوقت كثيراً.

هل تستفيد من كتب المستشرقين؟

لا- أقرأ لهم. فبعد أن تكونت عندي فكرة كاملة حولهم، فلا- أقرأ لهم بل لا أقرأ حتى للطيب منهم. ولأنني أعرف ما يريدون؟ يكفي أنهم يشككون في أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله لم يولد عام الفيل حتى يقولوا أنه نبي قبل الأربعين، وبالتالي فهو ليس نبياً صحيحاً. فاللّه سبحانه لم يجعله نبياً قبل الأربعين. بل في الأربعين فهو إذن لم يك النبي المطلوب. فهم جاءوا يقولون إن النبي صلى الله عليه وآله لم يولد عام الفيل بل بعده بستين حتى يصير عمره عند النبوة أقل من أربعين وبالتالي فليس هو نبياً لأنه لم يبلغ الأربعين «انظر هذه الاستنتاجات». الآن هم يركزون عندنا أن نترك الحديث ونرتل القرآن الذي نزل من السماء وأن هذا هو الصحيح وإذا قلنا غير هذا فنحن كفار. كل هذا يقولونه حتى اذا ثبت هذا في أذهاننا وتركنا الحديث ومسكنا على القرآن يقولون طيب القرآن ما فيه كذا وكذا حتى يبعدونا عن السنّة

ص: ٢١٦

النبوية ويردونا عن ديننا كما يقول تعالى «حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا»، «ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم» كما أن عندنا من يريد أن يُرضيهم فيكتب التاريخ الميلادي دون الهجري. بدعوى أن العالم لا يعرف التاريخ الهجري ونحن نشكل ألف مليون نسمة.

طيب نذكر الهجري حتى يعلم العالم أن عندنا التاريخ الهجري. ثم هم يحتاجون الى بترونا الى معادنا .. فلنكتب كل ما يخص ذلك وغيره بالهجري ليعلموا أن لنا تاريخاً خاصاً بنا كما تعلمنا نحن منهم بأن عندهم تاريخاً خاصاً لهم واذا كانت لنا شغلة أو قضية اول عمل نقوم به أن نرتبها عند الاوربيين او الامريكين ومن قبلهم، أما الموجود هنا فلا قيمة له.

*** هناك مصادر تاريخية للفريقين «الشيعة والسنة» تثبت أن ولادة الإمام على عليه السلام كانت في داخل الكعبة.

الهوامش:

الحج قبل مائة سنة

ص: ٢١٧

الحج قبل مائة سنة

عبد الله المؤمن

عبد العزيز دولتشين وسفرته السرية إلى مكة

بادئ ذي بدء يحسن بنا أن نتعرف على البطاقة الشخصية لعبد العزيز دولتشين، حيث «ولد في ٢٤ حزيران ١٨٦١ م في عائلة ضابط في الجيش الروسي. وقد شغل والد المؤلف مناصب هامة في ادارة مناطق الاورال الجنوبية في روسيا. بعد التخرج من مدرسة الامبراطور بافل العسكرية في بطرسبورغ، خدم عبد العزيز دولتشين خمس سنوات في قلعة دينابورغ، وتعلم في سنوات ١٨٨٧ - ١٨٩٠ م فيصفوف اللغات الشرقية ... اللغات العربية والتركية والفارسية والانكليزية والفرنسية، ولم يسع وراء الوظائف العالية.

وعندما وردت مسألة ضرورة ترشيح ضابط من الجيش الروسي، لأداء فريضة الحج، بعد أن تمت دراسة هذه الممارسة وهل تشكل خطراً على مصالح روسيا العسكرية والسياسية في الشرق؟ ... فقد تم ترشيح دولتشين لهذه المهمة،

ص: ٢١٨

وبما أنه كان مسلماً، فقد اعتبر إمكانية أداء فريضة الحج منحة من القدر، ومهمة المأمورية فرصة لمساعدة الآلاف من اخوانه في الإيمان؛ من المسلمين من رعايا روسيا، مساعدة فعليه في أداء فريضة الحج، ...

وفي حياة دولتشين مرحلة خاصة ترتبط ببناء جامع بطرسبورغ حيث كان رئيساً للجنة بنائه، وقد جرى إرساء أساس الجامع في ٣ شباط ١٩١٠ م.

ومن المؤسف أنه لم يتسن لنا أن نعر على مواد تتعلق بمصير عبد العزيز دولتشين لاحقاً.
حدود الحجاز:

في تقرير بعثه دولتشين عن المأمورية إلى الحجاز يذكر معلومات تمهيدية موجزة- كما تأتي تباعاً- عن الحدود بقوله: «الحجاز الذي تتجه إليه حركة حج المسلمين إنما هو جزء من الجزيرة العربية يمتد شريطاً ضيقاً بمحاذاة ساحل البحر الأحمر ... تحده من الشمال فلسطين، ومن الشرق نجد، ومن الجنوب اليمن ومن الغرب البحر الأحمر، واسم الحجاز من فعل حجز، أطلق حسب تفسير العرب، نظراً لوجود هذه المنطقة بين نجد والبحر الأحمر.

وبالنسبة لنا لا يتسم بأهمية غير القسم الجنوبي ١/٣ من الحجاز حيث تقع مدينتا مكة المكرمة والمدينة المنور».

سطح الحجاز:

ومن ثم يصف لنا دولتشين طبوغرافية الحجاز بمكوناته من السلاسل الجبلية، والصخور الحادة الأطراف وبوديانه، حيث يقول في ذلك: «الحجاز بلد جبلي جداً، سلاسل الجبال المؤلفة من كتل حجريّة عارية، وغير العالية نسبياً

ص: ٢١٩

(١٠٠٠-٣٠٠٠ قدم)، وأحياناً تتواجد بين الجبال- خاصة على مقربة من البحر- صخور مميزة حادة الأطراف. والجبال تقطعها فجاج رملية خالية من الماء يسمون الواحدة منها «وادي»، وأهمها تتجه نحو البحر، وفي قاع هذه الفجاج فقط توجد ينابيع الماء النادرة في الحجاز، فليس في الحجاز نهر ولا حتى نهر، وماء الينابيع الذي يسيل هنا وهناك في قاع الوادي ينفقونه في الحال لرى البساتين ومباقل الخضروات، والسكان الرحل يستعملون في المعتاد الآبار والصحاريح التي تمتلئ بالماء السائل من الجبال أثناء الأمطار الغزيرة.

وأغنى الفجاج بالماء ومظاهر السيول هي وادي فاطمة، وادي الليمون، السيل الكبير قرب مكة، وادي الصفراء غربى المدينة المنورة. إن منظر الحجاز هو على العموم واحد- كثيب وصارم ومرهق بقحله وانعدام الحياة فيه؛ ...

النباتات والحيوانات:

ثم ينتقل دولتشين في تقرير رحلته الحجازية إلى نباتات الحجاز واصفاً ندرتها، وكذلك بالنسبة للحيوانات التي لا تعد يصنفها من القروء، والثعالب، انظر إليه يقول: «الحجاز فقير جداً بالنباتات من جراء القيط الخارق ونقص الرطوبة، ومن عداد النباتات الخشبية رأيت في جميع الفجاج شجرة شائكة جداً من نوع الطلح اسمها الشوك ... وبصورة اندر تقع العين على أصناف أخرى من النباتات، ومنها أم غيلان والسنط، وأقرب إلى البحر تقع العين على مجموعات كبيرة من نبات يشبه الايندرا كثيراً، ولكن مقاييسه كبيرة ويسمى العُشْر.

ص: ٢٢٠

في ضواحي مكة ينمو بأعداد كبيرة السنا المكي؛ وأوراقه معروفة في البيع باسم «الورق الاسكندري». الحجاز الفقير بالنباتات فقير أيضاً بالحيوانات، ومن عالم الحيوان، رأيت شخصياً، بالشكل البري، نوعاً صغيراً من القروذ، والثعالب، ورأيت من الطيور الحمام والغراب، والقنابر الكبيرة والحدآن، يقولون: إنه توجد أيضاً ذئاب وضباع وظباء، ومن الطيور اللقلق والهدهد، وغيرهما.

حركة الحج في الحجاز:

يصف دولتشين طرق المواصلات- في زمنه- وما يتعرض له المسافرون من مخاطر وظروف خاصة، ونتيجة لذلك فالسفر يكون عادة نهراً تجنباً لما لا تُحمد عقباه، انظر إليه حيث يقول: «لأجل النقل يستعملون في المعتاد بعيراً- جملاً للنقل، وفي هذه الحالة يشدون إلى ظهره سلّتين (قفّتين) لهما، لأجل التضليل، ضرب من خصين، ويسميان بالرحل، او يستعملون بعيراً خفيفاً (هجيناً) يشدون على ظهره سرجاً فقط.

وعدا الرجال يوجد أيضاً ما يسمى «التختروان»- أي اكشاك معلقة بين عريشين طويلين، وتختروان يتطلب جملين للنقل غالباً ما يستبدلونهما نظراً لثقل هذه المنشأة الكبيرة، ولذا يكون النقل عليهما غالباً جداً، الامر الذي لا يستطيعه سوى كبار الاغنياء. ومن الجمال يؤلفون قوافل كبيرة نوعاً ما بقيادة «المقّومين»! أما الهجائن، فيشكلون منها ركباً يقوده على طول الطريق كله شيخ ينتخبه المسافرون أنفسهم عند الانطلاق.

ونظراً لمخاطر الطريق، تسير القوافل عادة في النهار، وتنطلق في الصباح

ص: ٢٢١

الباكر وتتوقف تبعاً لطول المرحلة، وتشكل جمال كل مقوم مجموعة منفردة تصطف وفقاً لعرض الطريق، في ثلاثة أو أربعة خطوط متوازية. وتسير المجموعات بحيث لا تكون بعيدة بعضها عن بعض.

والمقوم نفسه يمضى على ظهر هجين؛ أما سواقوا الجمال، فإنهم يمضون دائماً سيراً على الاقدام مهما كان الطريق طويلاً، لأن الرحال (الشقادف) التي تشغل مكاناً كبيراً من حيث العرض غالباً ما تتصادم، فلا يندر أن يتعرض الجالسون فيها لانقلابات غير مستطابة ابداً. وفي أوقات القيظ من السنة ينطلق الركب بحكم الضرورة ليلاً وذلك في الساعة الواحدة أو الثانية، ويتوقف حوالى الساعة السابعة، ثم ينهض حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر ويسير حتى الساعة ٨ أو ٩ مساءً.

عادة تجرى حركة القوافل والركب في غضون ٤-٥ أشهر من الحج وفي شهر رجب حين يقوم سكان مكة بالحج إلى المدينة المنورة! أما في الوقت الباقي، فيتوقف كل اتصال».

المحملان السورى والمصرى:

ودراً للمخاطر - مخاطر طريق الحج - يلجأ الحجاج منذ زمن سحيق - كما يقول دولتشين - إلى إرسال قوافل كبيرة كل سنة في زمن الحج محمية بخفر قوى أو كما يقول: «نظراً لمخاطر الطريق، يلجأون من سحيق الزمان إلى إرسال قوافل الحجاج كل سنة إلى مكة والمدينة المنورة لمناسبة زمن الحج، بحيث تكون قوافل كبيرة جداً، ويحميها خفر قوى، ويسير على رأسها محمل».

أحد المحامل - المحمل السورى - ينطلق من دمشق، وعادة يقطع المحمل السورى الطريق الى المدينة المنورة في غضون ٢٧ - ٣٠ يوماً، ومن المدينة الى

ص: ٢٢٢

مكة في غضون ١٢ يوماً؛ وبعد انتهاء المراسم، يعود في الحال الى دمشق بالطريق ذاته. المحمل الآخر- المصري- ينطلق من القاهرة، قبل أن يحتل الانجليز القطر المصري، كان المحمل ينطلق في طريق البر عبر السويس والعقبة والوجه وينبع ورايح الى مكة ويعود بالطريق ذاته، معرجاً على المدينة المنورة. أما الآن فينقلون المحمل المصري من السويس الى جدة بالباخرة، ويعيدونه عبر المدينة المنورة الى الوجه حيث تنتظره باخرة خاصة، ومع المحمل المصري ينقلون «الكسوة» المهيأة كل سنة في القاهرة، وهي غطاء حريري أسود لأجل الكعبة». بين جدة ومكة:

ويصف دولتشين الطريق بين جدة ومكة بكونه أكثر السبل انتعاشاً حيث تتوفر فيها مخافر ومقاه أو كما يقول: «الطريق بين جدة ومكة هو أكثر السبل انتعاشاً وأنسبها في الحجاز، وتحرسه على كل امتداده مخافر يضم كل منها ١٠-١٢ رجلاً، وفي النقاط التي تتوفر فيها الماء، توجد سقائف من القصب، وهي ضرب من خانات قهوة أي مقاه يمكن الحصول فيها على القهوة والشاي. وعلى طول الطريق، يستخرجون الماء من الآبار؛ وطعم الماء في النصف الأول من الطريق حتى جدة غير مستطاب في كل مكان. وبمحاذاة الطريق ينطلق الخط التلغرافي الواصل حتى مكة على أعمدة جيدة من الحديد الصب ومنها عبر عرفات الى مدينة الطائف على اعمدة خشبية».

ص: ٢٢٣

بيوت مكة:

ثم يعرج دولتشين الى مكة واصفاً بيوتها ذات الطوابق الثلاث، التي بنيت بالهندسة المعمارية الاصلية، وذاكراً أن مادة بنائها الحجر المستورد، أو كما يقول:

«البيوت في مكة مبنية في المعتاد من ثلاثة طوابق، مع أنه توجد كذلك بيوت من ٤ أو ٥ طوابق، الهندسة المعمارية أصلية جداً، جميع الجدران تحفل بصفوف من نوافذ ناتئة تسمى «مشربية»، أما مادة البناء فهي الحجر والآجر المحروق، المرصوصان على الأغلب على الطين؛ وكذلك الخشب المستورد على الاغلب من جزر الزوند، والخشب الروسي (الألواح) المستورد من القسطنطينية.

والمشربيات تزينها من الخارج نقوش بديعة الرقة والإناقة أحياناً، وتتوء المشربيات يضعون في داخله دواوين واطئة ومخدات؛ وبما أنه ابرد مكان في الغرفة فإنه يشكل زاوية مفضلة».

الحياة الفكرية في مكة:

يصف دولتشين الحياة الفكرية في مكة بقوله: إنها تدنت كما كانت من قبل حضارة طليعية وثقافة رائدة، على الرغم من وصول بعض الجرائد المصرية والتركية، وكذلك بالنسبة إلى أن العرب حرفيون ممتازون، انظر إليه في قوله:

«الحياة الفكرية عند هذا الشعب القدير واللطيف لم تتقدم منذ ذلك العهد المجيد، الذي كان فيه العرب يسرون في طليعة الحضارة، وليس هذا وحسب، بل على العكس تراجعت أيضاً؛ وتلك العلوم التي ابتدعوها وطوروها فيما مضى لفقها النسيان تماماً في الوقت الحاضر، بل إن التعليم الاولي البسيط - مجرد القراءة والكتابة - محصور ضمن حلقة ضيقة جداً؛ وأشرف مكة الذين يقومون بدور قادة الحجاج اثناء القيام بمراسم الحج لا يعرفون - بأغليتهم الساحقة - القراءة

ص: ٢٢٤

ولا الكتابة.

وفى المدارس الدينية المحلية، كما فى جميع المدارس الدينية فى أى مكان آخر، يعلمون العلوم الرتيبة الدينية ذاتها بتفاصيلها الدقيقة جداً وغير الضرورية، مزدريين المواد الضرورية كالحساب والجغرافية مثلاً. يرد إلى مكة عدد تافه جداً من الجرائد المصرية وعدد أقل من الجرائد التركية؛ وفى الحال يصبح مضمونها معروفاً فى المدينة كلها، نظراً لشدته تحرقها إلى الأبناء، وبالغ اهتمامها بالحياة السياسية للشعوب الأخرى. يبقى أن أقول: إن العرب حرفيون ممتازون فى الشغل على الحجر وعلى الخشب، ويملكون ذوقاً رفيعاً جداً، ومبانى الحرم الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة تتميز بعمل بارع جداً». معاش أهل مكة:

يصف دولتشين معاش أهل مكة بأنهم يعيشون على الحجاج، وتصبح مكة عند ورود الحجاج إليها سوقاً واسعة أو كما يقول: «يمكن وصف اشغال سكان مكة بإيجاز بالغ - أنهم يعيشون على الحجاج. كانت مكة مركزاً تجارياً لعموم الجزيرة العربية، وكان زمن الحج فى الوقت نفسه زمن السوق التجارية السنوية، وهذا الطابع بقى حتى الآن؛ وأثناء توافد الحجاج، تتحول المدينة إلى بازار هائل ينتشر من أبواب الحرم بالذات فى جميع الشوارع والأزقة. علاوة على استيراد كمية كبيرة من المنتوجات المعيشية لتلبية حاجات جموع الحجاج البالغ عددها أكثر من مائة ألف، يستجلبون إلى هنا كمية كبيرة من شتى البضائع من القسطنطينية ومصر والبلدان المجاورة فى آسيا، وذلك مع قوافل الحجاج أو بالبواخر الى جدة.

ص: ٢٢٥

(مصر): تقدم على الأغلب المنتوجات المعيشية: الحنطة، الفول، الشعير، الذرة الصفراء، العدس، الرز، السكر، زيت الزيتون، وما الى ذلك.

(سوريا): ترسل مع المحمل الدمشقي وبحراً، عبر بيروت، كمية كبيرة من البضائع الحريرية، والألبسة الحريرية الجاهزة، والمناديل المطرزة بالحرير، والفواكه المجففة، والفالوذة.

(بغداد والبصرة): ترسلان مع قوافل الحجاج البضائع الحريرية والصوفية والرز، والسمنه البقرية والسمنه الغنمية.

(بلاد فارس): ترسل السجاد والحصائر والعباءات وغير ذلك من البضائع الصوفية.

(الهند): ترسل البضائع المستعمرية، والآنية من النحاس والبورسلين، والمطبوعات والمرجان والمواد العلاجية والمواد العطرية، وفلافلها.

(اليمن): ترسل البن، وعين الشمس، والعقيق.

(جزر السند): ترسل الكندر.

أثناء الحج، لا يتعاطى السكان المحليون وحدهم التجارة، بل يتعاطاها كذلك تجار قادمون كثيرون.

المسجد الحرام:

يصف لنا دولتشين عمارة المسجد الحرام في مكة ويبين لنا أنه مبنى على طراز المساجد في دمشق والقاهرة، وأنه عبارة عن ساحة شاسعة مربعة مخططة.

انظر إليه في قوله: «حرم مكة الواقع في قاع الوادي وفي وسط المدينة تقريباً مبنى بنفس التصميم، الذي بنيت به جميع المساجد القديمة في دمشق والقاهرة؛ وهو عبارة عن ساحة شاسعة مربعة مخططة، محاطة من جميع الجهات برواق مسقوف؛

ص: ٢٢٦

ولكن هناك فرق واحد، هو أن الوجه الموجه إلى مكة في المساجد العادية يكون أوسع، ويقام فيه محراب ومنبر، أما في الحرم، فإن جميع الجهات متساوية من حيث العرض، والمحراب تحل محله الكعبة، والمنبر مقام في مكان مكشوف في وسط المسجد. الرواق الذي يحيط بالمسجد يتألف من أعمدة أغليبتها منتصبه في ثلاثة صفوف، وموصولة بعضها ببعض بالأقواس ومغطاة بقبب غير كبيرة مخروطية الشكل، أرضية الرواق مرصوفة بصفائح حجريه؛ أما القسم المكشوف منه، فهو مغطى بالرمل فقط. في الزوايا الأربع وفوق الوجه الشمالي والوجه الشرقي، تنتصب سبع مآذن مبنية في ازمان مختلفة وبأساليب هندسية معمارية مختلفة. وللدخول إلى المسجد توجد أربعة أبواب كبيرة، من الواجهة الشرقية باب السلام؛ ومن الواجهة الجنوبية باب الصفا. من الواجهة الغربية باب ابراهيم، من الواجهة الشمالية باب الزنده؛ وعداها، يوجد ١٨ مدخلًا صغيراً. الرقعة التي يشغلها المسجد ادنى من سطح الشوارع المحيطة، ولهذا يجب النزول بضع درجات مبنية تحت الابواب لإجل الدخول الى الحرم. وفي وسط الحرم تقريباً تنتصب الكعبة».

ثم يذكر دولتشين موقع الحجر الأسود وتاريخ بنائه مستطرداً ذلك بقوله:

«في الزاوية (الشرقية) من الكعبة، من الخارج، يوجد حجر يكرمه المسلمون تكريماً خاصاً هو الحجر الأسود.

في سنة ٩٢٩ م نقلوا الحجر الأسود إلى اليمن، وفي سنة ٩٥١ م أعادوه من جديد إلى مكة؛ وفي سنة ١٨٧٣ م وضعوه في إطار فضي ضخم مستدير وثبتوه في الجدار في المكان المذكور اعلاه.

ص: ٢٢٧

المنظور من الحجر .. أن لونه قائم مع تلوين ضارب إلى الأحمر، وعليه آثار شقوق، ونقر في الوسط، سطح الحجر مملس جداً من جراء لمسه من قبل الحجاج على مر القرون».

ثم يصف دولتشين موضع الركن اليماني بقوله: «في الزاوية (الجنوبية)، وعلى العلو ذاته - علو الحجر الأسود-، يوجد حجر مثبت آخر يكرمه المسلمون هو أيضاً، ويسمى باسم هذه الزاوية - ركن اليمن-».

ثم يصف لنا دولتشين مراحل التاريخ التي مرت على كسوة الكعبة، ووصف مكوناتها من الأقمشة الحريرية السوداء ومبلغ قيمتها كما يقول: «جدران الكعبة مكسوة من الخارج على كل علوها بقماش اسود يسمى الكسوة أو كسوة السعادة، وللمرة الاولى أخذ أحد حكام اليمن، ابو كرب أسعد، يغطي جدران المعبد دليلاً على الاجلال والتكريم الخاص، وفي عهد المأمون، كانوا يغيرون هذه الكسوة المصنوعة آنذاك من قماش فاتح اللون ثلاث مرات في السنة، ولكن الملك المصري إسماعيل شرع في سنة ١٣٤٩ م يرسل الكسوة من قماش أسود ويغيرها مرة واحدة فقط في السنة؛ وهذه العادة بقيت حتى الوقت الحاضر.

والكسوة عبارة عن قماش أسود حريري سميك جداً مخطط من ٨ قطع، ومطوق ثلثها الاعلى بآيات من القرآن الكريم موشاة بالذهب، وهذا القماش يصنعونه كل سنة في مصر بمبلغ خاص من أموال الأوقاف قدره ٤٥٠٠ ليرة مصرية، ويرسلونه إلى مكة المكرمة مع المحمل.

وكل سنة يجرى تغيير الكسوة في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة؛ وتوضع الكسوة القديمة تحت تصرف نظار الكعبة، فيبيعها هؤلاء قطعاً من الحجاج؛ اما الكتابات بخيوط الذهب، فتوضع تحت تصرف الشريف؛ وفي السنوات التي يصادف فيها اليوم العاشر من شهر ذي الحجة يوم الجمعة

ص: ٢٢٨

يرسلون الكسوة الى السلطان في القسطنطينية».

ثم ينتقل دولتشين في وصفه البيت الحرام إلى ذكر الحطيم، الذي هو بشكل حدوة أو كما يقول: «من الوجه الشمالي، يلتصق بمبنى الكعبة حاجز غير عال، بشكل حدوة، يطوق مكاناً للصلاة يسمى الحطيم، والكعبة والحطيم مطوقان بدرابزين أهليلجى الشكل؛ وعبر هذه الفسحة المبلطة ببلاطات من المرمر يطوف الحجاج سبع مرات حول الحرم، قائمين بفريضة الطواف».

ثم ينتقل دولتشين خطوة أخرى قريبة واصفاً مقام إبراهيم عليه السلام بالهيكل البرونزى ضمن صندوق حديدى مرسل من مصر، أو كما يصفه: «من الجهة الشرقية، يوجد في الدرابزين المذكور- الذى يطوق الكعبة والحطيم- باب الشيبة، وإذا دخل المرء عبر هذا الباب الى مكان الطواف، فإنه يجد الى اليمين في خط الدرابزين مقام ابراهيم عليه السلام وهو عبارة عن هيكل مصبغ برونزى كثيف فى داخله، ضمن صندوق حديدى مكسو بقماش حريرى مطرز بالذهب، مرسل من مصر مع الكسوة، حجر بقامة الإنسان، كان سقالة لابراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة».

أما بئر زمزم فيتحدث دولتشين عن شيء من تاريخه ومتى جفت وأن المأمون أجرى تعميقها فظهر الماء من جديد: «إلى شمال الباب، توجد عمارة خاصة ببئر زمزم المقدسة، فى سنة ٧٦٢ م، وفى عهد ابي جعفر المنصور بنيت عمارة فوق البئر وفى سنة ٨٣٨ م جفت البئر؛ وبأمر من المأمون جرى تعميقها فظهر الماء من جديد، وأخيراً فى - سنة - ١٦١١ م بنى حول فتحة البئر حاجز حجرى عال؛ لأنه تواجد من كانوا يرمون بأنفسهم هناك قصد الانتحار.

يستقى الماء معاً أربعة أشخاص خصوصيين؛ يقفون على الحاجز ويعملون بدلاء جلدية موصولة بحبال طويلة ممررة عبر بكرات معدنية مثبتة فى اعلى.

ص: ٢٢٩

لماء زمزم طعم مَرّ نوعاً ما؛ وهو يؤثر في أناس كثيرين، كمسهّل خفيف وهو ساخن جداً عند استخراجِه من البئر». ثم يعرج دولتشين في أثناء حديثه عن البيت الحرام إلى وصف الصفا والمروة، والأصل التاريخي لهما بقوله في ذلك: «من الجانب الشرقي من الحرم يمتد شارع المسعى، ويصل بطرفه الشمالي إلى جبل المروة وبطرفه الجنوبي إلى جبل الصفا، وينتهي عند الجبلين بوضع درجات واسعة في أعلاها ساحة صغيرة، بين هذين الجبلين فتشت هاجر- زوج إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد أضناها العطش- عن الماء راقضة من جبل الصفا إلى جبل المروة ذهاباً وإياباً. وفي المساء ينيرون الحرم وبعض أمكنة المسعى بعدد هائل من المصابيح؛ وهذه عبارة عن أنصاف كرات زجاجية معلقة في سلسلة، وفي قاعها يسكبون الزيت ويضعون عوامات فيها فتيل».

سرّ الحج:

في هذه الفقرة يحاول دولتشين أن يطرح بيننا فلسفةً للحج نابعه من ملاحظاته وتتبعه لسلوك الحجيج فيقول- بكلامنا: أن من الأسباب الأساسية للحج كون الحج فريضة إسلامية، والخلاص من الذنوب، واكتساب لفضة الحاج- كما يقول في فلسفته، التي لا تتفق معه فيها كلية- انظر إليه وهو يتحدث عن نظرتِه هذه بقوله: «الاسباب الرئيسية التي تحمل على الحج كانت أساساً، بقدر ما استطع أن اكون فكرة عنها، الرغبة في اداء فريضة من فرائض الدين الالزامية الرئيسية، والايمان في الخلاص من الخطايا- الأمر الذي يشكل بنظر المتدينين، ولا سيما في سنوات الشيخوخة، سبباً هاماً جداً يجبر على القيام بهذه السفر الصعبة، والمحفوفة بالمخاطر، ومن جهة أخرى، يعود بلا ريب بعض الدور إلى

ص: ٢٣٠

الغرور، ورغبة المرء في أن يكتسب في وسطه بعض الوزن والوقار المتعلقين بلقب «الحاج»، رغم أن هذا اللقب بين المسلمين في روسيا الداخلية لأبعد من أن يحظى الآن بذلك الاحترام، الذي كان يحظى به منذ ٤٠-٥٠ سنة، حين كانت الطريق صعبة جداً، وحين كان السفر يتطلب ما لا يقل عن سنتين، وحين كان لا يقدم على الحج غير عدد قليل جداً ممن يحدوهم شعور ديني عميق ويملكون ما يكفي من الأموال، وهذان العاملان نادراً ما يجتمعان عند مسلمينا.

ومع تطور البواخر والسكك الحديدية أصبح من الممكن القيام بالسفرة كلها في غضون شهرين أو ثلاثة، وبنفقات غير كبيرة، فتكاثر الحجاج كثيراً جداً، وبينهم لا يندر أن يتواجد أفراد لا يتمتعون بسمعة طيبة.

الطائف:

يذكر دولتشين بعد وصفه لمكة مدينة الطائف بأنها ذات مناخ معتدل وانها خالية من رياح السموم، وأن الماء الجارى كثير فيها، انظر إليه متحدثاً: «إن القيظ الذي لا يطاق صيفاً في مكة يجبر سكانها على الذهاب إلى المدينة- مدينة الطائف- الواقعة تقريباً إلى الشرق من مكة.

تختلف مدينة الطائف وضواحيها- بفضل موقعها العالى (على ارتفاع ٥١٥٠ قدماً فوق سطح البحر)- اختلافاً شديداً عن سائر أنحاء الحجاز، وتتميز بمناخ أكثر اعتدالاً، وبغياب رياح السموم، وبوفرة الماء الجارى، وبطول الأمطار احياناً كثيرة نسبياً؛ ولذا تتواجد تبعاً للظروف المذكورة أعلاه، نباتات مغايرة تماماً؛ فهنا الكروم وبساتين الموز والبرتقال والدراق والمشمش والرمان وغير ذلك، والطائف تزود مكة بخضروات لاتنت في أنحاء الحجاز الأخرى.

تقع الطائف في محله مكشوفة، على السفح الشرقى من جبل القرى، وتحيط

ص: ٢٣١

بها بساتين كثيرة يخصّ قسم منها سكان المدينة وقسم آخر بدو الضواحي، والطائف تشبه مكة من حيث الشوارع والبازارات ومعمارية البيوت، وحول الطائف ينتصب سور حجري له ٣ بوابات يغلقونها ليلاً.

المدينة المنورة:

ثم يذهب دولتشين ونحن معه إلى وصف مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام موقعاً وسوراً محيطاً بها وشوارع وبيوتاً بقوله: «المدينة المنورة أو مدينة النبي صلى الله عليه وآله هي المدينة الثانية من حيث الكبر في الحجاز، ومن حيث الأهمية في العالم الإسلامي. تقع المدينة إلى الشمال من انقاض مدينة يثرب القديمة، وسط سهل عريض يحيطه جبل أحد من الشمال وجبل خيبر من الجنوب، ويضيق السهل إلى الغرب ويفتح إلى الشرق، والمدينة مطوقة بسور حجري تنتصب أبراج في زواياه وقرب بواباته الأربعة؛ وقد بنى السور في عام ١٥٣٥ م.

وإذا دخلنا عبر البوابة الغربية للضاحية المسماة «الانبارية» التي لا يجيزون إلا عبرها دخول وخروج القوافل والركب، فإن العين تقع على شارع عريض مخطط باستقامة، وتنتصب فيه أعمدة للمصاييح من كلا الجانبين وبيوت كبيرة، وضاحية مناخية تتصل بالمدينة عبر بوابتين، أهمهما البوابة السورية التي تؤدي إلى شارع ضيق، ولكنه أكثر شوارع المدينة المنورة انتعاشاً وحركة؛ وهو يعبر المدينة كلها وينتهي عند بوابة الحرم، وهناك شارع رئيسي آخر، أوسع بقليل، وتقوم فيه أفضل البيوت في المدينة المنورة. القسم الباقي من المدينة تقطعه في اتجاهات مختلفة أزقة ضيقة موزعة بشكل شبكة مشوشة خارق التشوش.

الحجر هو مادة بناء البيوت هنا كما في مكة، كذلك يستعملون الحميم

ص: ٢٣٢

(السائل البركاني) المتجمدة، التي تغطي كل السهل في جوار المدينة المنورة، ومعمارية البيوت كما في مكة، ولكن يبنون أيضاً في الطوابق السفلى غرفة خاصة بدون نوافذ مزودة بمدخنة عريضة متصاعدة الى اعلى، وتجاوز جميع الطوابق العليا، هذه الغرفة المسماة «القاعة» هي غرفة الاستقبال عند أهل المدينة لأنها من غيرها، وفي الطوابق العليا يبنون المشربيات؛ وعلى السطح يوجد مكان لاجل راحة الليل صيفاً والتدفؤ في الشمس شتاءً.

أخلاق ومعايش أهل المدينة:

ثم ينتقل حديث دولتشين إلى وصف أخلاق أهل المدينة، الذين يصفهم بالبشاشة والود والضيافة، أما سوق أهل المدينة فيشبه سوق مكة، ولكن أسعار السلع أغلى أو كما يقول: «يتألف السكان من عناصر متنوعة كما في مكة، وسكان الحجاز الأصليون هم هنا، في المدينة المنورة، أقل أيضاً مما في مكة؛ وقد بدا لي عرب المدينة المنورة أطف من سكان مكة؛ فهم بشوشون جداً، مضيافون، ودودون، مستعدون دائماً لمُد يد العون عند الاقتضاء، رفاق ممتازون في الطريق؛ وسكان الحجاز الآخرون يفسرون على طريقتهم هذه السمات من طبع المدينة المنورة قائلين: إن بركة النبي صلى الله عليه وآله لا تزال تشملهم؛ لأنهم كرموه بعد الهجرة من مكة. اشغال السكان في المدينة المنورة تشبه اشغال السكان في مكة جزئياً التجارة؛ وأساساً مختلف موارد الرزق من خدمة الحجاج. البازارات في المدينة المنورة عبارة عن نسخة غير كبيرة عن بازار مكة، وهي تتاجر بالبضائع ذاتها تماماً، ولكنها تبيع بأسعار أعلى بكثير، ونادراً ما تطرأ عليها التقلبات، نظراً لأن استجلاب البضائع أصعب ولأن العرض غير كبير،

ص: ٢٣٣

وبدرجة كبيرة جداً ترتفع أسعار مواد الضرورة الأولية المستجلبه من ينبع ومنها مثلاً الشاي والسكر، أما القمح والرز فإن المدينة المنورة تحصل عليهما جزئياً بفضل القوافل القادمة من منطقة ما بين النهرين؛ بينما ترد سمنه البقره والضأن والدهن من نجد». المناخ في المدينة:

تتميز المدينة المنورة بحرارة أقل في فصل الصيف - من مكه - ويبرد محسوس في فصل الشتاء كما يقول دولتشين: «تقع المدينة المنورة أبعد إلى الشمال وفي محله مكشوفة، ولذا تتمتع بحرارة أدنى بعض الشيء في فصل الصيف؛ وفي الشتاء يكون البرد، كما يقولون محسوساً جداً، ولربما بسبب الفرق الكبير بين حرارة الصيف وحرارة الشتاء، أو بسبب وفرة وقرب المياه الجوفية المتواجده في كل مكان، أو بسبب انتشار الآبار في البيوت بالذات، تتخذ الملاريا في المدينة المنورة شكلاً خطيراً جداً، فاتكه بكثيرين من المرضى».

المدارس الدينية في المدينة:

ثم يتحدث لنا دولتشين عن حال المدارس الدينية في المدينة المنورة، التي يصفها بأن الدرس فيها لا ينقطع حتى في موسم الحج، وأما الدارسون فيها فهم من الاتراك والسوريين والتر وغيرهم: «تسنى لى أن أطلع بمزيد من التفصيل على المدارس الدينية في المدينة المنورة، حيث الدروس لا تتوقف حتى في زمن تجمع الحجاج، وكل ما ا قوله هنا عن هذا النوع من المدارس يصح كذلك على المؤسسة التعليمية من هذا الطراز في مكه التي لا تختلف الا من حيث قوام التلامذة؛ ففي مكه يشكل الماليزيون الأغلبية، وفي المدينة المنورة الاتراك

ص: ٢٣٤

والسوريون والتتر وغيرهم.

وفى المدينة المنورة ١٧ مدرسة دينية تضم قرابة ٢٥٠ تلميذاً، جميع مباني المدارس الدينية مبنية حسب طراز واحد- عمارة مربعة الزوايا من طابق أو من طابقين مع حوش فى الوسط تطلّ عليه جميع ابواب غرف غير كبيرة- أى مساكن معدّ كل منها لايواء شخص واحد، وعدد هذه الغرف لايربو عادة على ١٠-١٥؛ ...

فى عداد التلامذة يقبلون أبناء جميع القوميات ماعدا السكان المحليين، ومن جميع الأعمار، وفقاً لعدد الغرف الفارغة، دون السؤال عن المعارف التى يملكها طالب العلم.

تبدأ الدروس فى المدرسة فور صلاة الصبح، مع طلوع الشمس؛ وجميع التلامذة والعائشين فى المدرسة ملزمون بالاستماع إلى محاضرة واحدة من مدرّسهم، ثم يتصرفون بوقتهم كما يطيب لهم، دون أية رقابة.

ولكل من يعيش فى المدرسة الدينية مفروشات ولوازم منزلية بسيطة، وهو يهتم شخصياً باعداد الطعام لنفسه، وحوالى الساعة ٩ مساء تقفل المدرسة ابوابها؛ وقبل ذلك يعود الجميع فى المعتاد الى غرفهم».

جدة:

ويستمر دولتشين فى حديثه منتقلاً وواصفاً مدينة جدة، التى هى أهم مرفأ على البحر الأحمر، وهى ممر الحجاج الرئيسى، ويكون مناخها سيئاً جداً ومياهها غير مستساغة الطعم، فهو يقول: «جدة أهم مرفأ على ساحل البحر الأحمر؛ وعبره تمرّ حركة الحجاج الرئيسة، سواء عند نزولهم على ساحل الجزيرة العربية أم فى طريق العودة إلى الوطن، تشبه جدّة مكة شهاً كبيراً من حيث طابع

ص: ٢٣٥

عماراتها ومواقع الشوارع والبازارات والحالة الصحية.

يعتبر مناخ جدّة سيئاً جداً، غير صحي من جراء التبخرات الشديدة من البحر، والحمى هي المرض السائد.

في الوقت الحاضر تستعمل جدّة مياه نبع مجرورة الى المدينة من الجبال القريبة، ولكن الماء لا تتميز بطعم مستطاب».

تمت بذلك بعض ملاحظات دولتشين وآرائه عن الحج في رحلته هذه وذلك في السنة ١٨٩٨ م الى السنة الميلادية ١٨٩٩ م بكل ايجابياتها وسلبياتها ومخاطرها وطبيعتها، التي اتخذت طابعاً سياسياً مغلفاً بالدين إنصح القول، وقد تم تلخيص هذه الرحلة من كتاب الحج قبل مئة سنة.

عبد الله بن عباس

ص: ٢٣٦

عبد الله بن عباس

إيماناً وجهاداً وعلماً محسن الأسمى

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم. كنيته أبو العباس وقيل أبو عبد الرحمن. لقبه الهاشمي والقرشي. شهرته حبر الأمة. أمه أم الفضل أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم. اسمها لبابة الصغرى الهلالية (١). بنت الحارث بن حزن من بني عامر بن صعصعة.

في السنة الثالثة قبل الهجرة (٢) المباركة جاء العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحمل وليده في خرقه متجهاً به نحو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليضعه بين يديه المباركتين فضمه اليه وحنكه بريقه (٣). كان ذلك أيام كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وصحبه محاصرين بالشعب، شعب بني هاشم في مكة (٤). توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عباس ابن ثلاث عشرة سنة. يقول عن نفسه: راهقت الاحتلام في حجة الوداع.

صفته:

كان ابن عباس أبيض طويلاً مشرباً بصفرة جسيماً وسيماً صبيح الوجه له

- ١-١ الإصابة ج ٤ ص ١٢٢. مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ٢٩٣. حلية الأولياء ٣١٤.
- ٢-٢ الإصابة ج ٤ ص ١٢٢. مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ٢٩٣. حلية الأولياء ٣١٤.
- ٣-٣ التاج الجامع للاصول للشيخ منصور على ناصيف ج ٣ ص ٣٦.
- ٤-٤ الإصابة ج ٤ ص ١٢٢.

ص: ٢٣٧

وفرة يخضب بالحناء. هذا ما وصفه به ابن مندة. أما ما قاله أبو إسحاق:

رأيتُ ابن عباس رجلاً جسيماً قد شاب مقدم رأسه وله جُمَّة (١). وكان إذا قعد أخذ مقعد الرجلين، وكان يخضب بالسواد، ويسمى الحبر والبحر لكثرة علمه وحده فهمه (٢).

من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له:

- اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل.

- اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.

ومما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له: «يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذاسألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئاً لم يكتبه الله عزّ وجلّ لك لم يقدروا عليه، وعلى أن يمنعوك شيئاً كتبه الله عزّ وجلّ لك لم يقدروا عليه، فاعمل لله تعالى بالرضا في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» (٣).

قالوا فيه:

قال الإمام على عليه السلام فيه: إنه لينظر الى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته.

خطب ابن عباس وهو على الموسم، فجعل يقرأ ويفسر، فقال رجل: لو سمعت فارس والروم لأسلمت. وعندما قرأ ابن عباس سورة النور وجعل يفسرها قال فيه الخليفة الثاني عمر: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت. ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول.

١-١ العقد الفريد ج ٤ ص ١٢٣.

٢-٢ مختصر تاريخ دمشق ج ١٢، ص ٢٩٦-٢٩٧.

٣-٣ حلية الأولياء ص ١/٣١٤. مختصر تاريخ دمشق ١٢ ص ٣٠٠.

ص: ٢٣٨

قال فيه ابن عمر: لقد أوتى ابن عباس علماً صدقاً.

عن عطاء: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس وأكثر فقهاً، وأعظم خشيةً، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع.

وعن مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجهل الناس؛ فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس. (١) من أقواله في نفسه:

عن عبدالله بن بريده، قال: شتم رجل ابن عباس، فقال: إنك لتشتمني وفي ثلاث: إنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه، ولعلى لا أفاضى عليه أبداً. وإنى لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ومالى به سائمة ولا راعية.

وإنى لآتى على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم (٢).

من حكمه وأقواله:

- مفهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا.

- ذللت طالباً فعززت مطلوباً.

- ومن أقواله الدقيقة والجميلة فى الغوغاء، .. والغوغاء: الدبا وهيصغار الجراد، وشجبه به سواد الناس. قال فيهم بعد أن ذكر الغوغاء

عنده: ما اجتمعوا قط إلا - ضُرُوا، ولا افترقوا إلا نفعوا. قيل له: قد علمنا ما ضرَّ اجتماعهم، فما نفع افتراقهم؟ قال: يذهب الحجاج إلى

دكانه، والحداد إلى أكياره، وكلصانع إلىصناعته.

١-١ يراجع فى ذلك وفى غيره- تاريخ الإسلام .. للذهبي فى حوادث سنة ٦٠- ٨٠ ترجمه عبد الله بن عباس - مختصر تاريخ دمشق-

البداية والنهائة .. حلية الأدباء - طبقات ابن سعد وغيرها من المصادر.

٢-٢ الإصابة ٤/ ١٢٩، مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٣ ...

ص: ٢٣٩

- وفي فضل الصداقة على القرابة قال: القرابة تقطع والمعروف يُكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.
- لا تحقرن كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر ... ربّ رمية من غير رام.
- لا تمار سفيهاً ولا حليماً فإن الحليم يغلبك والسفيه يزديك.
- اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، ودع منه ما تحب أن يدع عنك.
- الدنيا العافية، والشباب الصحة.
- من لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكبر حيث يحب.
- وله قول في الشعر: الشعر علم العرب وديوانها؛ فتعلموه، وعليكم بشعر الحجاز.
- وكان ابن العباس في طريقه من البصرة الى الكوفة يحدو الأبل ويقول:
- أوبى إلى أهلك يارباب أوبى فقد حان لك الإيابُ وقال لما كفّ بصره:
- إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نورُ
- قلبي ذكى وعقلي غير ذى دخل (١) وفي فميصارم كالسيف مأثور ومن طريف أقواله:
- أصيب إحدى عينيه فنحل جسمه، فلما أصيب الأخرى عاد إليه لحمه، فقيل له في ذلك، فقال: أصابني ما رأيتم في الأولى شفقةً على الأخرى، فلما ذهبنا اطمأن قلبي (٢).
- ما قيل فيه من شعر:
- قال فيه حسان بن ثابت (٣):

١- ١ الدخل: الفساد والغيبة. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٨ / ٣٠٥.

٢- ٢ البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣٠٤.

٣- ٣ ديوان حسان بن ثابت.

ص: ٢٤٠

كفى وشفى ما فى الصدور ولم يدع لذى إريئى فى القول جدّاً ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقة فملت ذراها لا دينياً ولا وغلا
إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيت له فى كل مجمه فضلاً
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلاً وفى كتاب المجلس للمعافى من طريق ابن عائشة عن أبيه: نظر الحطيئة الى
ابن عباس فى مجلس عمر وقد فرع بكلامه، فقال: من هذا الذى نزل عن القوم بسنه، وعلاهم فى قوله؟
قالوا: هذا ابن عباس، فأنشأ يقول:

إنى وجدت بيان المرء نافله يهدى له ووجدت العى كالصمم
المرء يبلى ويبقى الكلم سائره وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم وقال فيه معاوية (١):
إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لعى ولم يثن اللسان على هجر (٢)
يُصرف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر فى أعطافه نظر الصقر من وصاياه:
عن عكرمة قال سمعت عبد الله بن عباس يقول لابنه على بن عبد الله:
ليكن كترك الذى تذخره العلم، كن به أشد اغتباطاً منك بكنز الذهب الأحمر، فإنى مودعك كلاماً إن أنت وعيته أجمع لك به أمر
الدنيا والآخرة.

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، ويقول فى الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطى
فيها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى، ويبتغى الزيادة فيما بقى، ويأمر بما لا يأتى، يحب الصالحين ولا يعمل
عملهم، ويغض الجاهلين وهو أحدهم ... (٣)

١-١ العقد الفريد ٢/ ١٣٠.

٢-٢ الهجر الهذيان، والقبیح من الكلام.

٣-٣ انظر الأمالى للشيخ المفيد ص ٣٣٠. هذه الوصية تشبه ماورد عن الإمام على عليه السلام مع اختلاف فى الألفاظ وزيادة فيها، وقد
ذكرها الحرانى فى تحف العقول ص ١٠٥-١٠٦ تحت عنوان موعظته عليه السلام ووصفه المقصرين. ط ٥. منشورات مكتبة بصيرتى.

ص: ٢٤١

حياته:

كان ابن العباس في طفولته برعماً من البراعم الإيمانية، التي ارتوت من ينبوع الرسالة العذب، فقد احتضنته المدرسة النبوية صغيراً، وتربى في كنفها تزقه العلم والأدب والأخلاق. لتجعل منه عالماً مجاهداً في شبابه وكهولته من أجل المبدأ والعقيدة، ومثلاً إيمانياً رائعاً يقتدى به الآخرون.

إن من المعالم الشاخصة في حياة ابن عباس: العقيدة الراسخة، والمؤهلات النادرة التي منها عقليته المتزنه، وذكاؤه الحاد، وحافظته المبكرة، فغدا بكل هذا عالماً ملئت كتب التفسير والحديث والتاريخ بأرائه ورواياته ومحاوراته. كما أن شجاعته تشكل هي الأخرى معلماً واضحاً في شخصيته، جعلته يؤدي واجبه الجهادي في ميادين القتال على خير ما يؤدي الشجاع واجبه القتالي، ناهيك عن لباقتة وسرعته بديهته وقدرته العجيبة على المحاوره السياسية والمناظرة العلمية، التي قلّ مثلها، والتي تكشف عن علم واسع، ومعرفة دقيقة، وخبرة عميقة، وحجّه قويه يتصف بها الرجل. كما أنصفتي الأناة والحلم كانتا من مميزات ابن عباس، فالشجاعه هذه الصفة التي تدعو الى الإقدام والاندفاع قد يتصف بها كثيرون لكنها إذا ما تعانقت معصفتي الحلم والأناة تكون نصفه عظيمه محموده، وتدل بالتالي على كمال النفس وعظمتها وعلو همتها، وهذا ما كان لابن عباس.

ففي الوقت الذي كان فيه رجل سياسة وبطل حوار، وصاحب بصيرة ورأى ونظر، كان رجل حرب؛ لهذا نرى الإمام علياً عليه السلام قد اتخذته وزيراً له وقائداً ميدانياً يقود جبهه من جبهات القتال حينما تشتد ضراوة المعارك، فميسره الجيش في حربصفين كانت له قاتل فيها قتالاً شديداً، وفي معركة الجمل كان على مقدمه جيش الإمام على عليه السلام وهكذا في النهروان ..

يرمى به الإمام عليه السلام مقاتلاً كما يرمى به محاوراً سياسياً بارعاً، ففي وقعه

ص: ٢٤٢

صفيين حينما لم يكن بؤ من التحكيم، انظر كيف يصفه الإمام عليه السلام:

(إن معاوية لم يكن يضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص ... فعليكم بعبد الله بن عباس فارمونه به؛ فإن عمراً لا يعقد عُقدة إلا حلها عبد الله، ولا يحل عُقدة إلا عقدها، ولا يبرم أمراً إلا نقضه ولا ينقض أمراً إلا أبرمه) (١).

وفي كلام آخر له في شأن الحكيم قال ... فادفعوا فيصدر عمرو بن العاص بعبد الله ابن عباس. وفي هذا يقول ابن أبي الحديد: يُقال هذا لمن يرام كفه عن أمر يتناول له: ادفع فيصدره، وذلك لأن من يقدم على أمر يبدنه فيدفع دافع فيصدره حقيقة فإنه يردّه أو يكاد، فنقل ذلك الى الدفع المعنوي.

هذا في حربه وسياسته وأما في محاوراته فقد جرت بينه وبين الخليفة الثاني وعائشة والزبير وطلحة ومعاوية ويزيد وعتبة بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم وعبد الرحمن بن الحكم وزياد بن أبيه وابن الزبير والمغيرة وغيرهم جرت بينه وبينهم مناظرات واحتجاجات كثيرة، كانت له الحجج عليهم. ومن جميل مناظراته وهي كثيرة، هذه التي جرت بينه وبين الخليفة الثاني:

قال عمر يا ابن عباس أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ فكرهت أن أجيئه. فقلت: إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووقفت.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عنى الغضب تكلمت.

فقال تكلم يا ابن عباس:

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووقفت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان

ص: ٢٤٣

الصواب بيدها غير مردود ولا- محسود. وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال:

«ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم» (١) فقال عمر، هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت كرهت أن أقرّك عليها فتزِيل منزلتك مني.

فقلت: وماهي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزِيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أَمَاط الباطل عن نفسه. فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً فإن إبليس حسد آدم ونحن ولده المحسودون (٢).

ومن محاوراته التي استطاع بها أن يلقي الحجة على الخوارج فعاد منهم ألفا رجل وبقي أربعة آلاف على عنادهم:

لما أعلن الخوارج حربهم على علي عليه السلام، وقبل أن يحاربهم وجه إليهم عبد الله بن عباس، فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه ... قالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟

قال: جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه، وأعلمنا بربه وسنة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار.

فقالوا: إنا أتينا عظيمًا حين حكّمنا الرجال في دين الله؛ فإن تاب كما تُبنا، ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا.

فقال ابن عباس: نشدتكم الله إلا- ما صدقتم أنفسكم، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته؟

١- ١ سورة محمد: الآية ٩.

٢- ٢ عبد الله بن سيبان ١٤٤- ١٤٥ للسيد العسكري.

ص: ٢٤٤

فقالوا: اللهم نعم.

قال: فأنتدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية؟ قالوا: نعم، ولكن علياً محاً نفسه من خلافة المسلمين.

قال ابن عباس: ليس ذلك يزيلها عنه وقد محاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمه من النبوة، وقال سِيَهيل بن عمرو: لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك، فقال للكاتب: اكتب «محمد بن عبد الله». وقد أخذ عليٌّ على الحكيمين ألا يجورا، وإن يجورا فعليٌّ أولى من معاوية وغيره.

قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى عليّ.

قال: فأيهما رأيتموه أولى فولّوه.

قالوا: صدقت.

قال ابن عباس: ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما. فاتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف (١).

كما أن من معالم شخصيته أنه كان أديباً شاعراً وخطيباً بليغاً، فبعد أن أنهى الإمام على خطبته قبل معركة صفين محرضاً أصحابه على القتال، قام ابن عباس خطيباً يبين أحقيته على وجهته وباطل معاوية وجهته في كلام بليغ جميل يدل على عمق إيمانه وعظيم بيانه وسعة معرفته ودقة وعيه، وأنه على بصيرة من أمره:

الحمد لله رب العالمين، الذي دحا تحتنا سبعاً، وسمك فوقنا سبعاً؛ ثم خلق فيما بينهنّ خلقاً، وأنزل لنا منهنّ رزقاً، ثم جعل كلّ شيء يبلى ويفنى غير وجهه، الحى القيوم الذى يحيا ويبقى. ثم إن الله بعث أنبياء ورسلاً فجعلهم حججاً على عباده، عُذراً أو نُذراً، لا يطاع إلا بعلمه وإذنه، يَمَنّ بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها، ويعصى [بعلم منه] فيعفو ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا

ص: ٢٤٥

يبلغ شىء مكانه، أحصى كل شىء عدداً، وأحاط بكل شىء علماً. ثم إنى أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، إمام الهدى والنبى المصطفى. وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون، حتى كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمة وانتشر من أمرها، أن ابن آكلة الأكباد قد وجد من طعام أهل الشام أعواناً على بنى طالب، ابن عم رسول الله وصهره، وأول ذكر صلى معه، بدرى قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه كل مشاهدته التي فيها الفضل. ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام. واعلموا والله الذى ملك الملك وحده فبان به وكان أهله، لقد قاتل على بنى طالب مع رسول الله صلى الله عليه، وعلى يقول: صدق الله ورسوله. ومعاوية وأبو سفيان يقولان: كذب الله ورسوله. فما معاوية فى هذه بأبر ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه فى قتالكم.

فعلیکم بتقوى الله والجدّ والحزم والصبر، وإنکم لعلی الحق وإن القوم لعلی الباطل. فلا يكونن أولى بالجدّ فى باطلهم منکم فى حقکم. أما والله إنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم. اللهم ربنا أعنا ولا تخذلنا، وانصرنا على عدونا ولا تخلّ عنا، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم. (١) قال معاوية لعمر بن العاص: إن رأس الناس بعد على هو عبد الله بن عباس، فلو ألقىت إليه كتاباً لعلك ترققه به، فإنه إن قال شيئاً لم يخرج على منه، وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل الى العراق إلا بهلاك أهل الشام. قال عمرو: إن ابن العباس لا يخذع، ولو طمعت فيه لطمعت فى على فقال معاوية: على ذلك، فاكتب إليه كتاباً فى ذلك وكتب فى أسفله شعراً، كان أوله:

طال البلاء وما يرجى له آس بعد إلاله سوى رفق ابن عباس فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتى به علياً فأقرأه شعره فضحك وقال: «قاتل

ص: ٢٤٦

اللّه ابن العاص، ما أغراه بك يا ابنَ عباس، أجهه ..»

فكتب ابن عباس (... وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي، ابتدأها عليّ بالحق وانتهى فيها الى العذر، وبدأها معاوية بالبغى وانتهى فيها الى السرف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام. بايع أهل العراق علياً وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه. ولست أنا وأنت فيها بسواء أردتُ الله وأردتَ أنت مصر ... فإن ترد شراً لا نسبقك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه) (١).

ومن شعره الذي ردّ فيه علي ابن العاص حين خدع أبا موسى الأشعري في قصة التحكيم:

كذبت ولكن مثلك اليوم فاسقُ علي أمركم يبغى لنا الشرّ والعزلا

وتزعم أن الأمر منك خديعةٌ إليه وكلّ القول في شأنكم فضلاً

فأنتم وربّ البيت قد صار دينكم خلافاً لدين المصطفى الطيب العدل

أعاديتم حبّ النبيّ ونفسه فما لكم من سابقاتٍ ولا فضلاً

وأنتم وربّ البيت أخبث من مش على الأرض ذانعين أو حافياً رجلاً

غدرتم وكان الغدر منكم سجيّةً كأن لم يكن حرثاً وان لم يكن نسلاً (٢). إن أعمال الرجل ومواقفه وخطبه وكتبه وأشعاره، التي تجلّى فيها ولاؤه المخلص والصادق للإمام علي عليه السلام بقدر ما جعلته أقرب الناس الى علي وآثرهم عنده، جعلته عرضةً للإتهام والطعن لا-لشيء إلا بسبب تلك المواقف وذلك الولاء الذي شهد به الأعداء فضلاً عن الأصدقاء، ولأمتين ثابت نابع من (علي مع الحق والحق مع علي). فهو إذن وليد العقيدة الحقّة.

دقته العلمية:

لقد كان ابن عباس دقيقاً فيما ينقل عن رسول اللّهي الله عليه وآله وسلم وفيما يقول وي طرح

١-١ المصدر نفسه ص ٤١٣.

٢-٢ المصدر نفسه ص ٥٥٠.

ص: ٢٤٧

من آراء. يراجع ما يسمعه مرات قبل أن ينقله، لهذا فقد أتم عملها العلمى بالدقة والحرص، وكان يبذل قصارى جهده لطلب العلم والحقيقة، ويسعى بكل تواضع بين الصحابة يسأل ويتحقق حتى يتأكد من أى رواية يريد نقلها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لئلا ينقل حديثاً موضوعاً أو مكذوباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. حتى ورد عنه: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فأتى إليه وهو قائل فى الظهيرة، فأتوسد ردائى على بابه، يسفى الريح على من التراب، حتى ينتهى من مقيله، ويخرج فيرانى، فيقول يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلى فأتيك؟.. فأقول، أنت أحق بأن أسعى إليك، فأسأله عن الحديث وأتعلم منه!

ابن عباس مفسراً:

يُعد ابن عباس من كبار المفسرين، بل هو الثانى بعد على عليه السلام فقد قال ابن عطية «وكان جلّه من السلف كثير عددهم يفسرون القرآن، وهم أبقوا على المسلمين فى ذلك رضى الله عنه، فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، ويتلوه عبد الله بن عباس وهو تجرد للأمر وكمّله، وتبعه العلماء عليه ... (١).

قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فمن على بن أبى طالب. وكان على رضى الله عنه يثنى على تفسير ابن عباس ويحض على الأخذ منه، وكان ...

يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس. وقال عنه على رضى الله عنه: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق» .. ويتلوه عبد الله بن مسعود ... (٢) هذا ما ذكره القرطبي، وأما ما ذكره السيوطي (٣) عن ابن عباس: وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذى دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم فقّهه

١-١ الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١/ ٢٧.

٢-٢ الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ١/ ٣٥.

٣-٣ الإتيان فى علوم القرآن للسيوطي ٤/ ٢٣٤ - ٢٤٠.

ص: ٢٤٨

في الدين وعلمه التأويل»

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لى رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم ترجمان القرآن أنت». وأخرج البيهقي في الدلائل

عن ابن مسعود، قال: «نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس».

وأخرج عن الحسن، قال: إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل.

وعن ابن عمر - حينما بلغه تفسير ابن عباس للآية «.. أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما..» (١)

- أنه قال: قد كنت أقول: ما يُعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً.

يقول أحمد أمين عن الإمام على عليه السلام: .. كان أستاذاً لعبد الله بن عباس أخذ عنه كثيراً (٢) وكان لابن عباس مصحف خاص به

ذكره الشهرستاني في مقدمته تفسيره وكان ترتيبه كالتالى:

١ اقرأ ... ٢ ن ... ٣ والضحى ... ٤ المزمّل ...

٥ المدثر ... ٦ الفاتحة ... ٧ تبت يدا ... ٨ كورت ...

٩ الأعلى ١٠ والليل ... ١١ والفجر ... ١٢ ألم نشرح لك

١٣ الرحمن ... ١٤ والعصر ... ١٥ الكوثر ... ١٦ التكاثر ...

١٧ الدين ... ١٨ الفيل ... ١٩ الكافرون ... ٢٠ الإخلاص ...

٢١ النجم ... ٢٢ الأعمى ... ٢٣ القدر ... ٢٤ والشمس ...

٢٥ البروج ... ٢٦ التين ... ٢٧ قريش ... ٢٨ القارعة ...

٢٩ القيامة ... ٣٠ الهزلة ... ٣١ والمرسلات ... ٣٢ ق ...

٣٣ البلد ... ٣٤ الطارق ... ٣٥ القمر ٣٦ ص ...

٣٧ الأعراف ٣٨ الجنّ ... ٣٩ يس ... ٤٠ الفرقان ...

١- ١ الأنبياء: ٣٠.

٢- ٢ فجر الإسلام ص ١٤٩.

ص: ٢٤٩

- ٤١ الملائكة ... ٤٢ مريم ... ٤٣ طه ... ٤٤ الشعراء ...
 ٤٥ النمل ... ٤٦ القصص ... ٤٧ بنى اسرائيل ... ٤٨ يونس ...
 ٤٩ هود ... ٥٠ يوسف ... ٥١ الحجر ... ٥٢ الأنعام ...
 ٥٣ الصافات ... ٥٤ لقمان ... ٥٥ سبأ ... ٥٦ الزمر ...
 ٥٧ المؤمن ... ٥٨ حم السجدة ... ٥٩ حم عسق ... ٦٠ الزخرف ...
 ٦١ الدخان ... ٦٢ الجاثية ... ٦٣ الأحقاف ... ٦٤ الذاريات ...
 ٦٥ الغاشية ... ٦٦ الكهف ... ٦٧ النحل ... ٦٨ نوح ...
 ٦٩ إبراهيم ... ٧٠ الأنبياء ... ٧١ المؤمنون ... ٧٢ الرعد ...
 ٧٣ الطور ... ٧٤ الملك ... ٧٥ الحاقة ... ٧٦ المعارج ...
 ٧٧ النساء ... ٧٨ والنازعات ... ٧٩ انفطرت ... ٨٠ انشقت ...
 ٨١ الروم ... ٨٢ العنكبوت ... ٨٣ المطففون ... ٨٤ البقرة ...
 ٨٥ الأنفال ... ٨٦ آل عمران ... ٨٧ الحشر ... ٨٨ الأحزاب ...
 ٨٩ النور ... ٩٠ الممتحنة ... ٩١ الفتح ... ٩٢ النساء ...
 ٩٣ إذا زلزلت ... ٩٤ الحج ... ٩٥ الحديد ... ٩٦ محمد (ص) ...
 ٩٧ الإنسان ... ٩٨ الطلاق ... ٩٩ لم يكن ... ١٠٠ الجمعة ...
 ١٠١ ألم السجدة ... ١٠٢ المنافقون ... ١٠٣ المجادلة ... ١٠٤ الحجرات ...
 ١٠٥ التحريم ... ١٠٦ التغابن ... ١٠٧ الصف ... ١٠٨ المائدة ...
 ١٠٩ التوبة ... ١١٠ النصر ... ١١١ الواقعة ... ١١٢ والعاديات ...
 ١١٣ الفلق ... ١١٤ الناس ...

ابن عباس والوضاعون:

الوضع: الاختلاق. وضع الرجل الحديث: افتراه وكذبه واختلقه (١).

تشير مصادر كثيرة إلى أن وضع الحديث كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي حياته المباركة، وقد ورد عنده صلى الله عليه وآله وسلم النهي عنه (يا أيها الناس قد كثرت على الكذابة، فمن

ص: ٢٥٠

كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (...).

وللوضع عوامله وأهدافه وطرقه. ومن طرقه اختيار سند ينتهي إلى صحابي جليل يتمتع بوجود محترم بين الصحابة ومكانة كبيرة عند عموم المسلمين وقد يكون ذا مكانة علمية مرموقة ومعروفة، وربما يكون من الذين يستعين به الصحابة في حل كثير من المسائل التفسيرية والفقهية، حتى يُعطى للرواية - بكاملها سنداً ومتناً - قوةً وأثراً ومقبولية لدى الآخرين.

لأن «الواضع بداهة لا يختار لنفاقه إلا الشخصيات الرفيعة من ذوى الشهرة الواسعة لكى تلقى اكدوبتهصداها فى نفوس الناس بنسبتها إليهم» (١).

وابن عباس ممن تتوفر فيه هذه الصفات إضافة إلى أنه شخصية علمية فهو ذات رصيد اجتماعي وصاحب دور سياسى مطلع على الأحداث، التى مرت فى تاريخ الإسلام والمسلمين، كما أنه من عائلة كريمة اجتمعت فيها صفات النبل والسخاء والشجاعة. كل هذه الأمور وغيرها جعلت الرجل عرضة للوضع له والمبالغة فيه للوصول الى مآرب سياسية من خلال ذلك، كما صار عرضة للوضع عليه نيلاً منه وتبريراً لأفعال أعدائه واعداء البيت الهاشمى. يقول أحمد أمين:

ويظهر أنه وضع على ابن عباس وعلى أكثر مما وضع على غيرهما. ولذلك أسباب:

أهمها أن علياً وابن عباس من بيت النبوة، فالوضع عليهما يكسب الموضوع ثقة وتقديساً لا يكسبهما الإسناد إلى غيرهما ... وابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون، يتقرب إليهم بكثرة المروى عن جدّهم.

ثم يواصل أحمد أمين كلامه فيقول: وقد روى عن ابن عباس ما لا يحصى كثرة، فلا تكاد تخلو آية من آيات القرآن إلا ولا ابن عباس فيها قول أو أقوال.

وكثر الرواء عنه كثرة جاوزت الحد ... (٢).

كما أن السيد الحكيم يقول:

١- ١ انظر المنهج الأثرى فى تفسير القرآن الكريمص ٢٤٤؛ ومجلة قضايا إسلامية ٢: ٤٧.

٢- ٢ فجر الإسلام- أحمد أمينص ٢٠٢-٢٠٣.

ص: ٢٥١

«لقد ذكرنا في مقدمة كتابنا عن عبد الله بن عباس مختلف العوامل الداعية للوضع له أو عليه في زمنه وبعد زمنه وعلى الأخص فيما دار من ملاحاة بين السلطة العباسية ومناوئها من أئمة الزيدية الراغبين في الحكم، وبالطبع إن هذا الرجل - وهو مصدر من مصادر شرعية سلطة الخلفاء العباسيين، التي استندوا إليها أو بعضهم على الأقل عندما ادعوا لأنفسهم وراثه النبوة وتسلسلها في أعقاب العباس حتى وصلت إليهم - لا بد وأن يرتفع رصيده في نفوس الرأي العام ويغالي فيه الى درجة تسمو به وترتفع عن سائر البشر المتعارف، فالكرامات مازالت ترافقه منذ ولادته وحتى نهاية حياته، بينما يهبط رصيده في نفوس الخصوم حتى يجرد عن جل مواهبه وإمكاناته وخلقه» (١) لقد تعرض الرجل وهو حبر الأمة لمثل هذه الاختلاقات والافتراءات فاسندت له أحاديث وروايات كثيرة - لا يغيب أكثرها عن نباهة المحقق (٢) - حتى ورد عن الإمام الشافعي قوله (لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث) (٣) كما أن علماء التفسير ضعفوا كثيراً من الأسانيد المنتهية إلى ابن عباس حتى وصفها بعضهم بأنها من أوهى الطرق، ضارين لذلك مثلاً طريق الكلبي عن أبيصالح عن ابن عباس، وقالوا فإذا انضم الى ذلك محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب (٤) والسدي الكبير وصفوه بأنه ضعيف وكذاب (٥) كما ذكروا مثلاً آخر للوضع كان بطله (نوح الجامع) أبو عصمه نوح بن أبي حريم، قيل له (من أين لك عن عكرمة، عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة؟ فقال إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسب (٦) وفي كلام آخر أقر بوضعه على ابن عباس (٧).

كما أن الضحاك بن مزاحم الهلالي روى التفسير عن ابن عباس وهو

- ١- ١ محمد تقي الحكيم - قصة بيت المال في البصرة... ص ٣٤٤ مقالة في ثمرات النجف.
- ٢- ٢ ألفت كتب في الموضوعات من الفريقين انظر أصول الحديث للفضلي ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.
- ٣- ٣ الإتيان للسيوطي ٤: ٢٣٩.
- ٤- ٤ الإتيان للسيوطي ٤: ٢٣٩.
- ٥- ٥ الإتيان للسيوطي ٤: ٢٣٩.
- ٦- ٦ علوم الحديث لابي عمرو بن الصلاح: ٩٠.
- ٧- ٧ علوم الحديث ومصطلحاته. ص ٢٨٣.

ص: ٢٥٢

لم يلقه (١) ناهيك عن الإسرائيليات التي لم ينجو منها تراث ابن عباس والتي نشط اليهود في بثها في عموم تراثنا الإسلامي ومن هؤلاء اليهود كعب الأبحار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام ... مع أن ابن عباس كان دقيق الملاحظة أمين الوصف والرواية واعياً لأفعال هؤلاء ومدى ما تتركه على التراث الإسلامي من آثار وقد نهى عن الأخذ منهم، ورد عنه.

«كيف تسألونهم عن شيء، وكتاب الله بين أظهركم» (٢) ووقف موقفاً آخر حازماً إزاء الأحاديث الموضوعية والإسرائيليات، فقد قال كما أخرجه البيهقي بسنده عن ابن عباس. قال: «إذا حدثتكم بحديث عن رسول الله فلم تجدوا تصديقه في الكتاب، أو هو حسن في أخلاق الناس فإنه كاذب».

ومع هذا فقد زخر تفسيره برواياتهم مما حدى بالذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) وبغيره إلى اتهام ابن عباس بالاطمئنان إليهم والنقل عنهم والاستعانة بهم في تفسيره، لعدم إمكان نفي ماورد في تفسيره من الإسرائيليات لكثرتها.

ونحن نرى تراث ابن عباس وآثاره عند تحققها ودراستها قد احتوت على كثير من الإسرائيليات والأساطير والكرامات والمعاجز المنسوبة له، إضافة إلى ما تعرض له تراثه من أكاذيب واختلاقات مما جعل هذا التراث غامضاً بعض الشيء ومرتبكاً أو مضطرباً في بعضه الآخر، كما أنه مضطرب كثرة وقله، قال بعضهم - لم يتجاوز عدده أحاديث.

ذكر الأمدى في كتاب الأحكام في أصول الأحكام:

أن ابن عباس لم يسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى أربعة أحاديث لصغر

١-١ الإتيان للسيوطي ٤: ٢٣٨.

٢-٢ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد ربه ٣: ٥١.

ص: ٢٥٣

سنة (١).

كما ذكر محمود ابوريه في أضوائه: قال ابن القيم في الوابل الصيب: إن ما سمعه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبلغ العشرين حديثاً: وعن ابن معين والقطان وأبي داود في السنن أنه روى تسعة أحاديث وذلك لصغر سنه. ومع ذلك فقد أسند له أحمد في مسنده ١٦٩٦ حديثاً (٢).

ومن الروايات المختلفة لأهداف سياسية ما رواه الترمذي عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا للعباس بدعاء قال فيه: «واجعل الخلافة باقية في عقبه».

وكذلك عن ابن عباس: ليكونن الملك - أو الخلافة - في ولدي، حتى يغلبهم على عزهم الحمر الوجوه، الذين كأن وجوههم المجان المطرقة (٣).

ابن عباس وبيت مال البصرة:

ما إن انتهت حرب الجمل بانتصار الإمام على عليه السلام وصحبه على ناكثي البيعة حتى بادر الإمام الى تعيين عبد الله بن عباس والياً على البصرة، فقال «يا معاشر الناس! قد استخلفت عليكم عبد الله بن عباس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فأعلموني أعزله عنكم؛ فإنني أرجو أن أجده عفيفاً تقياً ورعاً، وإنني لم أوله عليكم إلا وأنا أظن ذلك به، غفر الله لنا ولكم» (٤).

ثم أوصى عبد الله بن عباس بوصاياهم قائلاً:

«يا ابن عباس! عليك بتقوى الله والعدل بمن وليت عليه، وأن تبسط للناس وجهك، وتوسع عليهم مجلسك، وتسعهم بحلمك، وإياك والغضب، فإنه طيرة من الشيطان، وإياك والهوى فإنه يصدك عن سبيل الله، واعلم أن ما قربك

١-١ كتاب الاحكام للامدى ٢/١٧٨ - ١٨٠.

٢-٢ أضواء على السنة المحمدية: ٧١.

٣-٣ أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبوريه ص ١٣٦.

٤-٤ كتاب الجمل للشيخ المفيد، تحقيق السيد على مير شريفى: ٤٢٠ - ٤٢١.

ص: ٢٥٤

من الله فهو مباعذك من النار، وما باعدك من الله فهو مقربك من النار، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين» (١) كان هذا في سنة ٣٦ هـ (٢).

في سنة ٤٠ هـ بدأ أهم حدث في تاريخ هذا الرجل، وبالذات في تاريخ علاقته بالإمام على عليه السلام فيما يتعلق ببيت مال البصرة وتجاوزه عليه كما زعم. فقد اضطرت أقوال المؤرخين وآراؤهم في هذه المسألة اضطراباً عجيباً، وحقاً ما قاله السيد محمد تقي الحكيم في دراسته حياة ابن عباس حيث يقول (٣):

«والحق أن هذه القصة من أكثر ما قرأت - وأنا أؤرخ لهذه الفترة من حياة ابن عباس في كتابي عنه - غموضاً في فصولها فقد اختلف فيها المؤرخون على أقوال لا-التقاء بين ما تباعد من أطرافها، فبعضها ينفي هذه القصة نفياً باتاً ويعتبرها اسطورة من الأساطير وعلى رأس هؤلاء عمرو بن عبيد الزاهد المعروف، وبعضهم يثبتها، والمثبتون أنفسهم يختلفون، ويدخل إلى أقوالهم التناقض في أكثر من مجال، فبعضهم يتبنى إثباتها بأفضع صورها فيغالي في كثرة ما أخذ من المال، ثم في اللهجة التي راسل بها الإمام، وفي الفتنة التي ألحقها وهو خارج بأموال بيت المال من البصرة وهارب بها إلى الحجاز، وعلى رأس هؤلاء من المتأخرين الدكتور طه حسين في كتابه (على وبنوه) معتمداً مارواه الطبري وابن عبد ربه وأمثالهما من قدماء المؤرخين. بينما يتبنى فريق تقليل ما أخذ من المال وإبقاءه في البصرة بعد إرجاع المال والياً من قبل الإمام».

أما وجهة نظر النافين فقد عبر عنها عمرو بن عبيد وهو يرد على من ينسب له ذلك: «لا. كيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن .. وأى مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة على إلى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خمس ويرشه. وقالوا: إنه كان يقبل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هذا باطل» (٤).

١- ١ كتاب الجمل للمفيد: ٤٢٠. نهج البلاغة ٤٦٥ الكلمة ٧٦. الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٠٥.

٢- ٢ الطبري حوادث سنة ٣٦ هـ.

٣- ٣ دراسة قيمة تحمل روحاً علمية منهجية قل نظيرها. تناولت هذا الموضوع بالتفصيل تحت عنوان قصة بيت المال في البصرة ودور

ابن عباس فيها. انظر ثمرات النجف: ٢٣٩- ٢٥٢ نقلًا عن مجلة النجف - السنة الخامسة - العدد السادس - شوال ١٣٨٢ / آذار ١٩٦٣ م.

٤- ٤ نقلًا عن أمالي السيد المرتضى، ج ١ ص ١٢٣، ط السعادة.

ص: ٢٥٥

وهنا يقول السيد الحكيم: وكلام عمرو وهذا ذو شقين اثنين نختلف معه في حسابهما، فأما ادعاؤه استمرار بقاء ابن عباس مع علي ثم مع الحسن فهذا من قبيل الرواية، ونحن لانملك تكذيبه فعلاً فيها، وأما الشق الثاني من دعواه فهي قابلة للمناقشة، إذ لا تلازم بين تفرغ مال الكوفة وعدم صحة القصة لجواز أن تكون يده قد امتدت الى المال حين مجيء الخراج وقبل توزيعه من قبله، والحقيقة أن هذا من قبيل الاستحسان المحض وهو أقرب إلى الاجتهاد في مقابل النص لو صح وروده في هذا المجال.

التهم الموجهة لابن عباس:

الالتهام الأول ورد في تاريخ الطبري في حوادث سنة ٤٠ هـ في سبب شخوصه الى مكة وتركه العراق. وخلاصة هذا الاتهام أن الدؤلى بعد شجار له مع ابن عباس كتب الى الامام على عليه السلام قائلاً: ... وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ... فكتب الإمام على عليه السلام اليه كتاباً وآخر الى ابن عباس وتالت كتب الامام وابن عباس ومما جاء في أحد كتب الإمام: أما بعد فأعلمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت؟ وفيم وضعت؟

فكتب اليه ابن العباس: أما بعد، فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أنى رزأته من مال أهل هذا البلد، فابعث الى عملك من أحبيت فإنني ظاعن عنه.

والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخواله بنى هلال بن عامر ... (١) الاتهام الثاني ورد على لسان قيس بن سعد حينما لحق عبيد الله بن عباس بمعاوية الذي جاء لحرب الحسن عليه السلام حيث اغراه معاوية بالمال: قام قيس

ص: ٢٥٦

فخطب في الجند قائلاً: يا أيها الناس، ... إن هذا وأباه، وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط:

إن أباه عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج يقاتله ببدر ... وإن أخاه ولأه على أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين. فاشترى به الجوارى، وزعم أن ذلك له حلال ...» (١).

الالتهام الثالث: اتهام ابن الزبير:

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال:

«... وإن هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه (يعني ابن عباس الذي كان يسمعه) كما أعمى الله بصره، يزعم: أن متعة النساء حلال ... وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس ..»

هذا كلام من ابن الزبير لم يتركه ابن عباس يذهب سدّى بل تصدى له بحزم وبحجة قوية، ولكن تهمة ابن الزبير له باحتماله مال البصرة لم يردّها أو ينفيها ولكنه بين وجهه نظره فيها:

... وأما حملي المال فإنه كان مالاً جبيناه فأعطينا كلّ ذي حقّ حقّه، وبقيت بقيه هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا ...

ونشير هنا إشارة سريعة إلى النتائج فقط التي توصل إليها السيد جعفر مرتضى العاملي «والتي تدل على افتعال القصة واختلاقها من أساسها» ونحيل القارئ الكريم إلى التفاصيل في كتاب ابن عباس وأموال البصرة للسيد العاملي فقد ناقش الروايات الثلاث (الالتهامات) سنداً وامتناً.

فقد أورد السيد العاملي ملاحظاته وأدلته، التي تحكم على أن رواية الطبري (الالتهام الأول) بالوضع والافتعال. كما أنه ناقش الالتهام الثاني المنسوب إلى قيس بن سعد والمنقول عن مقاتل الطالبين، ناقشه قائلاً: فيكفي أن نشير

ص: ٢٥٧

بالنسبة اليه الى ما ذكره بعض المحققين (١) من أنه كلام مفتعل، قد دسّ في بعض نسخ مقاتل الطالبين دون بعض؛ وذلك لأن ابن أبي الحديد قد نقل كلام أبي الفرج بعينه، ولم يذكر كلام قيس هذا، وإنما قال عن قيس: «ثم خطبهم، فثبتهم، وذكر عبيد الله، فقال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض الى العدو؛ فأجابوه ..». ونُقل ابن أبي الحديد مقدمًا؛ سيما ونحن نراه ينقل عن أبي الفرج بين قوله: «فاخرجوا رحمكم الله الى معسكركم بالنخيلة»، وقوله «ثم إن الحسن سار في عسكر عظيم» ينقل كلاماً كثيراً ليس في نسخ المقاتل المطبوعة منه عين ولا أثر .. وابن أبي الحديد قد سمع المقاتل املاءً عن شيوخه؛ فنقله أثبت إذ يحتمل قوياً: أن تكون هوامش قد زادها النساخ في الأصل اشتباهاً ..

والنقاش الثالث تمّ لرواية ابن الزبير (اتهامه) وقد توصل السيد العامل الى أنه مع ضعف سند الرواية فإن العبارة التي يعير فيها ابن عباس بسرقة أموال البصرة هي الأخرى مفتعلة كما أن جواب ابن عباس هو الآخر مفتعل ولم ترد العبارة المزعومة ولا جوابها عند الكثيرين من المؤرخين الذين نقلوا الرواية التي تحمل اتهامات ابن الزبير وجواب ابن عباس عنها.

كما يذكر في الهامش أن المؤرخين قد ذكروا ما عدا مروج الذهب أن القضية جرت بين ابن عباس وعروة بن الزبير لا عبد الله، ولكنها كلها تتفق في خلوها عن الفقرة التي تتهم ابن عباس بأموال البصرة، وذكر عدّة مصادر ..

كما أنه ناقش الرواية سنداً وامتناً وفنّد متنها الذي يذكر أن الزبير تزوج أسماء متعةً وانها علقت بعبد الله (٢) .. ويستبعد هذه الدعوى. هذا وأن هناك الكثير من العلماء والمؤرخين ينفون هذه التهمة عن ابن عباس، أو تثبت أن ابن عباس بقى والياً لعلّ على البصرة الى ما بعد مقتله عليه السلام نستعرض بعضاً منهم وأقوالهم:

١-١ قاموس الرجال. التستري ٦: ٤٣٩ باب العين.

٢-٢ ابن عباس وأموال البصرة: ٤٩-٥٠.

ص: ٢٥٨

قال ابن كثير: «... وتأمّر على البصرة من جهة علي، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة، وزياد بن أبي سفيان على الخراج، وكان أهل البصرة مغبوطين به: يفقههم، ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطي فقيرهم، فلم يزل عليها حتى مات علي. ويقال: إن علياً عزله عنها قبل موته (... (١).

قال ابن حجر في الإصابة: «فلم يزل ابن عباس على البصرة حتى قتل علي؛ فاستخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى الى الحجاز...» (٢).

أما ابن أبي الحديد فقد قال بعد أن ذكر الكتب المتبادلة بين الإمام عليه السلام وابن عباس: (وقال آخرون هم الأقلون: هذا لم يكن ولا فارق عبد الله بن عباس علياً عليه السلام، ولا باينه ولاخالفه، ولم يزل أميراً على البصرة الى أن قتل علي عليه السلام. قالوا: ويدل على ذلك ما رواه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني من كتابه الذي كتبه الى معاوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام، ... وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية، ويجزه الى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمال أمير المؤمنين عليه السلام واستمالهم إليه بالأموال، فمالوا وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام، فما باله وقد علم النبوة التي حدثت بينهما، ولم يستمل ابن عباس، ولا اجتذبه الى نفسه، وكل من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقه ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي عليه السلام، وما كان يلقاه به من قوارع الكلام، وشديد الخصام، وما كان يثنى به علي أمير المؤمنين، ويذكر خصائصه وفضائله، ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر من أمرهما) وبعد أن يورد ابن أبي الحديد كل هذا يقول وهذا عندي هو الأمثل والأصوب. وإن توقف أخيراً. بعد ذلك يرّد على قول الراوندي الذي يقول: المكتوب اليه هذا الكتاب (كتاب أمير المؤمنين) هو عبيد الله بن عباس، لا

١-١ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٨: ٣٠٤. مكتبة المعارف بيروت.

٢-٢ الإصابة ٢: ٣٣٤. وانظر عدم مفارقتة للإمام أمالي المرتضى ١: ١٧٧ وقاموس الرجال ٦: ١٥، وانظر أيضاً تذكرة الخواص: ١٥٠، ٢٥٢ وتاريخ يعقوبي ٢: ٢٠٥.

ص: ٢٥٩

عبدالله» فيقول: وليس ذلك بصحيح، فإن عبيد الله كان عامل على عليه السلام على اليمن، ولم ينقل عنه أنه أخذ مالا، ولا فارق طاعة ثم يردف ابن أبي الحديد قوله هذا:

«وقد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب، فإن أنا كذبت النقل وقلت: هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، خالفت الرواء، فإنهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه، وقد ذكر في أكثر كتب السير، وإنصرفته الى عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته.

وإنصرفته الى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام؟ والكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله وبنى عمه» لهذا نرى ابن أبي الحديد متوقفاً في هذا بقوله «فأنا في هذا الموضوع من المتوقفين».

فانكارها- حقاً- أمر صعب «والحقيقة أن إنكار هذه القصة من الأساس واعتبارها مختلقة موضوعه كما يذهب الى ذلك منكروها وهم القلة في المؤرخين .. أمر تأباه طبيعة البحث الموضوعي؛ لأن هذه القضايا الكبرى في التاريخ والتي يكثر الحديث فيها لا تكون بغير منشا انتزاع غالباً» (١).

كما أن الايمان بها بهذه السعة التي تستند الى رواية الطبري والى من سار على ضوئها أمثال ابن الأثير وابن خلدون وابن كثير وصاحب العقد وطه حسين وغيرهم، أمر كما يقول السيد الحكيم لا يمكن الاطمئنان اليه ... فابن عباس «الشخصية الفذة، الذي قام بدور رئيس في تأييد الإمام على عليه السلام .. سواء في حياة الإمام عليه السلام أو تأييد حق على، وحق أهل بيته بعد وفاته ..

والرجل .. الذي اشتهر بصراحته المثيرة ومواقفه الجريئة .. والإنسان الذي كان- وما يزال- يتمتع بالاحترام والتقدير، وله شهرة علمية وأدبية واسعة والتي لم تكن لتكون له لو لم يكن يتمتع بالمؤهلات الحقيقية والنادرة، التي رسخت بمعطياتها هذه الشهرة الواسعة، وجسدت المثال الحي للشخصية التي تستحق كل

ص: ٢٦٠

هذا الاحترام، وكل هذا التقدير ..» (١).

وكما يقول عنه طه حسين: «من العلم بأمر الدين والدنيا ومن المكانة في بني هاشم خاصة، وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعاً، ما كان خليقاً أن يعصمه عن الانحراف عن ابن عمه، مهما تعظم الحوادث، وتدلهم الخطوب ..» وإن كان طه حسين يثبت تهمه السرقة له (٢).

فصاحب التاريخ العريض المليء بالأخلاق والحب والتفاني قولاً وفعلًا دفاعاً عن الإمام ومواقفه، لا يمكن لهذا الرجل أن ينسب إليه مثل هذا العمل (السرقة).

وأخيراً أرى أن ما حدث به يعقوبى فى تأريخه هو الأنسب والأقرب للصحة ونكتفى بما حدث به:

كتب أبو الأسود الدؤلى - وكان خليفة عبدالله بن عباس بالبصرة - إلى على عليه السلام يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم فكتب إليه يقسم له بالله لتردنها، فلما ردّها عبدالله بن عباس أو ردّها أكثرها كتب إليه على عليه السلام: أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً وما فاتك فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همّك لما بعد الموت والسلام. فكان ابن عباس يقول: ما تعظت بكلام قط اتعاضى بكلام أمير المؤمنين أو ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانتفاعى بهذا الكلام (٣).

والنتيجة - باختصار - التى توصل إليها السيد محمد تقى الحكيم فى بحثه هذا هى:

(١) الأخذ برواية يعقوبى فى جوها تلتقى جميع الخطوط والآراء (٤) ...

(٢) أن ابن عباس فى أخذه لهذا المال كان أخذه ينطوى تحت العنوان الأولى وهو حقّه الطبيعى فى الخمس. وإن اصرار الإمام على إرجاع المال يناسب وجهه

١-١ السيد مرتضى العالمى.

٢-٢ الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين.

٣-٣ تاريخ يعقوبى ٢: ٢٠٥ - دارصادر. نهج البلاغة ضبط الدكتور صبحى الصالح ٣٧٨ رقم الكتاب ٢٢. تحف العقول للحرانيس ١٣٨ مع بعض الاختلاف.

٤-٤ ثمرات النجف - قصته -: ٢٤٧، ٢٥٠ - ٢٥١.

ص: ٢٤١

نظره عليه السلام في أن حرمان بني هاشم من حقهم في الخمس للعنوان الثانوي أجدى على الإسلام في رأيه من تنفيذ العنوان الأولى (حق بني هاشم في الخمس) (١) (٣) يؤيد هذه النتيجة قول ابن عباس نفسه رداً على اتهام ابن الزبير (على فرض صحة الرواية) من أنه أخذ البقية من المال التي هي دون حقه في كتاب الله تعالى. وما يؤيد ذلك أيضاً الرواية التي جاءت في العقد الفريد: كان عبد الله بن عباس من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب، وكان يقدمه على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يستعمله قط، فقال له يوماً: كدت أستعملك، ولكنني أخشى أن تستحلّ الفيء على التأويل، فلما صار الأمر إلى علي استعمله على البصرة فاستعمل الفيء على تأويل قول الله تعالى «واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى» (٢) هذا وإن لكثير من علماء الرجال كلاماً ينصب جلّه على ما تفرد به الكشي في رجاله، وفي كلامهم ما يؤيد نزاهة ابن عباس وبراءته من التهمة المنسوبة إليه، نستعرض بعضاً منهم.

الكشي وابن عباس:

فقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحاً في ابن عباس، ومن جملة تلك الأحاديث حديث مفارقتة للإمام علي عليه السلام، وأخذه المال من بيت المال البصرة، وكتب أمير المؤمنين وأجوبة ابن عباس عنها (٣). وفي ذلك يقول السيد الخوئي:

هذا الرواية وما قبلها من طرق العامة، وولاء ابن عباس لأمر المؤمنين وملازمته له عليه السلام هو السبب الوحيد في وضع هذه الأخبار الكاذبة وتوجيه التهم والطعون عليه، حتى إن معاوية لعنه الله كان يلعنه بعد الصلاة مع لعنه علياً

١-١ ثمرات النجف - قصته -: ٢٤٧، ٢٥٠ - ٢٥١.

٢-٢ فجر الإسلام / أحمد أمينص ١٤٧.

٣-٣ رجال الكشيص ٢٧٩ - ٢٨٠ حرف العين.

ص: ٢٦٢

والحسينين وقيس بن عباد وأشتر!! كما عن الطبرى وغيره وأقل ما يُقال فيهم انهم مصحابة رسول اللّهُ صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف كان يلعنهم ويأمر بلعنهم!؟

وراح السيد الخوئى يبين رأيه فى ابن عباس بوضوح: والمتحصّل مما ذكرنا أنّ عبد الله بن عباس كان جليل القدر، مدافعاً عن أمير المؤمنين والحسين عليهم السلام كما ذكره العلامة وابن داود (١).

كما قال الشهيد الثانى فى حاشية الخلاصة: جملة ما ذكره الكشى من الطعن فيه خمسة أحاديث كلّها ضعيفة السند (٢). وقد ذهب السيد ابن طاووس الى نفي كل ذلك نفيّاً تاماً، فقد قال فى ابن عباس: حاله فى المحبة والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ومولاته والنصر له والذب عنه والخصام فى رضاه والموازرة له مما لا شبهة فيه، ثم قال معرضاً بأخبار الدم، ومثل الجبر موضع أن يحسده الناس ويباهتوه:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لذميم قال: ولو ورد فى مثله الف رواية أمكن أن تعرض للتهمة، فكيف بهذه الأخبار الضعيفة الركيلة؟! (٣). فكل ما ورد بخصوص قصة بيت مال البصرة وابن عباس هى أخبار ضعفها ابن طاووس.

وأما صاحب الوسائل فى خاتمتها يقول عن ابن عباس: حاله فى الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام أشهر من أن يخفى، وروى فيه قدح وهو أجل من ذلك (٤).

وفاته

توفى ابن عباس فى الطائف سنة ٦٨ للهجرة بعد أن أصيب بالعمى، وصلى عليه محمد ابن الحنفية (٥)، فسلام عليه فى الخالدين.

١-١ معجم رجال الحديث للسيد الخوئى ١١: ٢٥٤، ٢٥٦.

٢-٢ ذكر فى كتاب فى رحاب أئمة أهل البيت محسن الأمين ٢/ ٢٤١.

٣-٣ ذكره صاحب رحاب أئمة أهل البيت - محسن الأمين ٢: ٢٤١.

٤-٤ خاتمة الوسائل للعالمى ٣٠/ ٤١١.

٥-٥ الإصابة ١: ٩٠. البداية والنهاية ابن كثير ٨/ ٣٠٥.

ص: ٢٦٣

المصادر

- ١- الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني.
- ٢- مختصر تاريخ دمشق. ابن منظور.
- ٣- حلية الأولياء. أبو نعيم الأصفهاني.
- ٤- التاج الجامع للاصول. منصور علي ناصيف.
- ٥- العقد الفريد. ابن عبد ربه الأندلسي.
- ٦- البدايه والنهائيه. ابن كثير.
- ٧- الإمامة والسياسة. ابن قتيبة الأندلسي.
- ٨- أمالي المفيد. الشيخ المفيد.
- ٩- وقعة صفين. نصر بن مزاحم.
- ١٠- اخترنا لك ٣ (ثمرات النجف). قصة بيت المال في البصرة ودور ابن عباس فيها. السيد محمد تقي الحكيم.
- ١١- أكاذيب وحقائق (١) ابن عباس وأموال البصرة- السيد جعفر مرتضى العاملي.
- ١٢- مقاتل الطالبين. ابو الفرج الأصفهاني.
- ١٣- قاموس الرجال. التستري.
- ١٤- أمالي المرتضى. السيد المرتضى.
- ١٥- تاريخ يعقوبي. يعقوبي.
- ١٦- تاريخ الطبري. بن جرير الطبري.
- ١٧- تذكرة الخواص. ابن الجوزي.
- ١٨- وسائل الشيعة. الحر العاملي.
- ١٩- معجم رجال الحديث. السيد الخوئي.

ص: ٢٦٤

- ٢٠- فى رحاب أئمة أهل البيت. محسن الأمين العاملى.
 - ٢١- علوم الحديث ومصطلحاته. الدكتور صبحى الصالح.
 - ٢٢- علوم الحديث. ابن الصلاح.
 - ٢٣- الجامع لأحكام القرآن. القرطبى.
 - ٢٤- الاستيعاب فى أسماء الأصحاب.
 - ٢٥- ديوان حسان بن ثابت.
 - ٢٦- المنهج الأثرى فى تفسير القرآن الكريم. هدى جاسم أبوطبرة.
 - ٢٧- رجال الكشى.
 - ٢٨- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد.
 - ٢٩- أضواء على السنة المحمدية. محمود أبورية.
 - ٣٠- تحف العقول. ابن شعبة الحرانى.
 - ٣١- عبد الله بن عباس. السيد مرتضى العسكرى.
- الهوامش:

ص: ٢٦٥

المساجد والاماكن الاثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة الميمونة (٤)

ص: ٢٤٧

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة الميمونة (٤)

عبد الرحمن خويلد

مقدمة:

بما أن للمدينة المنورة فضلاً كبيراً على المسلمين؛ لأنها مهاجر الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله)، وعاصمة الإسلام الأولى، ومنها انطلق الإسلام إلى الآفاق، وعمّ بنوره البشريّة، وأنقذ من هداه الله سبحانه من الشرك والضلالة إلى التوحيد والهداية، لذلك لا بد من معرفة معالمها المهمّة، وآثارها الرائعة.

وقد رأيت أن أكثر الزائرين لطيبه الطيبه لا يعرف عنها سوى المسجد النبوي الشريف، والبقيع، والمزارات الأربعة المشهورة، وهي (مسجد قباء، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، وشهداء أحد)، علماً أن قسماً منهم لا يعرف حتى هذه المزارات الأربعة إلاّ بعد سماعه عنها من أصحابه، أو من بعض سائقي السيارات عندما يرفعون أصواتهم بعبارة (زيارة يا حاج).

أما بقية المساجد والأماكن الأثرية الأخرى فاعتقد أن أغلب زوّار هذه

ص: ٢٤٨

المدينة العزيزة إن لم يكن كلهم لا يعرف أو لم يسمع عن بعضها، مع كثرة زيارته للمدينة المنورة. وكيف تُجهل هذه المساجد والأماكن، التي كانت عامرة بنزول الوحي عليه السلام، أو كونها مصلى أو مقبل أو مبيت النبي (صلى الله عليه وآله)؟

فتجول زوارها في ربوعها يعيد إلى أذهانهم الذكريات العطرة، والصور الرائعة للسيرة النبوية على هذه الأرض المباركة، مما يثلج صدورهم، ويسعد نفوسهم، ويزيد إيمانهم. لذلك رأيت أن من الضروري إخراج كتابٍ لينتفع به الزوار. والمنهج الذي اتبعته فيه هو: تصوير هذه المساجد والأماكن لسهولة التعرف عليها أولاً، وللحفاظ على صورتها خشيةً اندثارها ثانياً، ثم إيضاح أماكنها، والتعليق عليها. وقد رتبته من حيث القرب والبعد عن مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله)، مراعيًا في ذلك موقعها في اتجاه واحد، ووضعت خريطةً تبين أماكنها، وتسلسل أرقامها؛ ليستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر، كما أني حرصت على ذكر المساجد التي ثبت أن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى فيها، وختمت الكتاب بوضع أربعة فهارس له.

راجياً من الله تعالى العون والسداد والتوفيق لما يحبه ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

١٩- ثنية الوداع

تقع هذه الثنية على يمين الداهب إلى مسجد قباء من طريق قباء الطالع، وهي قبل المسجد بمسافة تقدر بكيلومتر واحد، وعليها الآن قلعة من العهد التركي، وهي معلّم بارز وواضح للعيان.

وللمدينة ثنتان إحداهما جنوبية، وهي التي نتحدث عنها الآن، والأخرى

ص: ٢٦٩

شمالية لوداع المسافر إلى الشام، وهذه الأخيرة أُزيلت لتوسعة ميدان ملتقى طريقى سيد الشهداء وسلطانه. وقد خُلدت ثنات الوداع لورودها فى نشيد الأنصار عند استقبالهم النبى (صلى الله عليه و آله) حينما قَدِم للمدينة مهاجراً، وهو تعبير حَيّ لفرحتهم به، ومطلع هذا النشيد:

طلع البدر علينا من ثنّات الوداع (١)

ويظهر أنّ سبب تسميتها بثنية الوداع، أنّها كانت موضع توديع المسافرين من تلك الجهة قبل هجرة المصطفى (صلى الله عليه و آله) (٢).

٢٠- مسجد بنات النجار

وهو مسجد فيه رَوْحانية وخشوع، ويقع فى الجنوب الشرقى من ثنيه

١-١ الدرّ الثمين: ١٢٣-١٢٤، وسنذكر بقية الأبيات عند حديثنا عن مسجد بنات النجار.

٢-٢ تاريخ معالم المدينة: ١٢٥.

ص: ٢٧١

الوداع، ويمكن للزائر الوصول إليه بسهولة من طريق قباء النازل؛ لأنّ المسجد في أول شارع فرعى على يمين الطريق المذكور، ويبعد عن مسجد قباء بمسافة تقدر بتسعمائة متر، وعن الشارع العام بحوالى مائة متر.

ويغلب على هذا المسجد عند أكثر الناس اسم مسجد الجمعة، وهو غير صحيح؛ لأنّ الطريقة الغالبة هنا عند تجديد أى مسجد تكون إما بتجديده فى مكانه، أو فى مكان مجاور له، والذي حدث لمسجد الجمعة، أنه جُدد فى مكان مجاور للمسجد القديم.

وبنات النجار هنّ من بنات أخوال النبي (صلى الله عليه و آله)، فلمّا قدم من مكة مهاجراً إلى المدينة، قابلته بنات النجار ينشدن الآيات الجميلة المشهورة على الألسن وهى:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

قد لبسنا ثوب عزّ بعد تمزيق الرقاق (١) وقد فرّش هذا المسجد الأثرى، ويصلّى فيه بعض الزوار.

٢١- مسجد الجمعة

مكان هذا المسجد مقابل مسجد بنات النجار، وهو فى أول شارع فرعى على اليمين للقادم من مسجد قباء عن طريق قباء النازل. وسمى بمسجد الجمعة؛ لأنّ الرسول (صلى الله عليه و آله) صلّى فيه أول جمعة فى الإسلام، التى أوجبها الله تعالى بقوله:

ص: ٢٧٢

«يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» (١) فعندما وصل إلى قباء، ومكث فيها أياماً، انتقل بعد ذلك إلى المدينة، ومرّ ببني سالم بن عوف، فنزل عندهم، ولما أدركته صلاة الجمعة في ذلك المكان صلّاها، وخطب أول خطبة فيها، وهي:

«الحمد لله أحمده و أستعينه و أستغفره و أستهديه و أوّ من به، ولا أكفره و أعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط و ضلّ ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم: أن يحضه على

ص: ٢٧٣

الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة...» (١) إلى آخر الخطبة. وكان هذا المسجد يسمى بمسجد عاتكة (٢) فترة من الزمن. وكذلك أُطلق عليه سابقاً مسجد الوادي؛ لأنه يقع في بطن وادي رانواناء (٣). كان هذا المسجد صغير الحجم، ثم وسَّع عام ١٤١٢ هـ توسعة كبيرة وجميلة.

٢٢- مسجد ردّ الشمس

يقع هذا المسجد إلى الشرق من مسجد قباء باتجاه القادم منه إلى شارع قربان أو باب العوالي، في أول شارع متفرع من الجهة اليمنى قبل الإشارة الضوئية الأولى، ويبعد عن مسجد قباء بمسافة تقدر بكيلومتر واحد، وعن الإشارة الضوئية المذكورة بمسافة ثلاثمائة متر، ومكانه على طول امتداد شارع قربان.

١-١ تاريخ الطبري ٢: ٢٩٤-٢٩٥.

٢-٢ تاريخ المدينة المنورة ١: ٦٨؛ وتاريخ معالم المدينة: ١١٥.

٣-٣ تاريخ معالم المدينة: ١١٥-١١٦.

ص: ٢٧٥

ولم يبق من هذا المسجد قبل فترة من الزمن إلّا جدار خرب لا يتجاوز المتر الواحد (١)، ثم أُزيل هذا الجدار القديم، وبقي أرضاً جرداء يُصلّى فيه بعض الزوار، ولقد صليتُ فيه، لكنه سوّر بعد ذلك ولا يمكن الدخول إليه إلّا لدفن الموتى من الأطفال. وهذا المسجد المشهور عند أهل تلك المحلة بأنّه الذي ردّت فيه الشمس لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) لأداء صلاة العصر بعد أن فاتته بسبب نوم النبيّ (صلى الله عليه وآله) على فخذه، فدعا (صلى الله عليه وآله) الله أن يردها، فاستجاب الله دعاءه. وقيل (٢): إنّ مسجد الفضيخ - الذي سيرد ذكره لاحقاً - هو الذي ردّت فيه الشمس، والله أعلم.

الهوامش:

مَن أَلْفٌ فِي الْحَجِّ مِنْ أَهْلِ هَبْرَ

١-١ تاريخ معالم المدينة: ١٢٥.

٢-٢ آداب الحرمين: ١٤٧.

ص: ٢٧٦

مَن أَلْفٌ فِي الْحَجِّ مِنْ أَهْلِ هَجَرَ
أحمد الكنانى

ثبت ببيوغرافى روعى فيه النقاط التالية:

- ١- نعى بهجر الاطلاق القديم للفظه الشامل للإحساء والقطيف والبحرين.
 - ٢- يقتصر على الدراسات المستقلة للحج دون المذكور ضمن المجاميع الفقهية.
 - ٣- مرتب هجائياً على أسماء المؤلفين.
 - ٤- المخطوطة المذكورة للكتاب اقتصرنا على الموجود منها فى مكتبات ايران، التى هى العمدة فى هذا المجال.
- ١- إبراهيم آل عرفات:
- إبراهيم بن مهدي بن حسن بن عيسى بن على بن عرفات بن عيد بن

ص: ٢٧٧

قوام القديحي القطيفي.

ولد سنة ١١٨٠ هـ في القديح.

كثير الأسفار، جاب البلاد وساح الديار، ولم يتزوج، ولم يتخذ بقعةً وطناً.

من مؤلفاته: ردود ونقود، الكشكول، الحج والعمرة، شرح الكفاية.

لم يؤرخ لوفاته، إلا أنه انتهى من كتابة شرح الكفاية للسبزواري، سنة ١٢٣٧، وهو آخر عمل صدر من قلمه الشريف.

انظر: طبقات اعلام الشيعة: (الكرام البررة) ١٩ / ٢.

ترجمة آل عرفات بقلم عبد الغنى عرفات (مخطوط).

الحج والعمرة:

مخطوطة في مجلس الشورى برقم ١ / ٥٥٠٧، ٦ أوراق، ذكرت في فهرسها ١٦ / ٤٠٨.

٢- أحمد بن ابراهيم آل عصفور البحراني:

فقيه مجتهد محدث، باعه طويل في العقلية والرياضيات.

له شأن كبير في بلاد البحرين، وإمام للجمعة والجماعة هناك.

من مؤلفاته: رسالة في بيان القول بحياء الأموات بعد الموت، رسالة في الجوهر والعرض، رسالة في الأذان، رسالة في ثبوت الولاية على

البكر، رسائل كثيرة في مباحث الفقه المختلفة.

توفي في بلاد القطيف بعد أخذ الخوارج للبحرين فيصفر ١١٣١، عن عمر يقرب من ٤٧ سنة.

دفن بالقطيف في المقبرة المعروفة بالحباكة.

ص: ٢٧٨

انظر: أنوار البدرين: ١٦١، الذريعة ٢٢/٢٥٣.

مناسك الحج:

مختصراً مع رسالة غسل الاموات، قال في الذريعة ٢٢/٢٥٣: يوجد ضمن مجموعة رسائل السماهيجي.

٣- أحمد بن زين الدين الاحسائي:

أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بنصقر بن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ الصقر القرشي الاحسائي.

ولد في المطيرفي من قرى الاحساء في رجب ١١٦٦ هـ.

حضر عند كبار الطائفة في الاحساء وكرلاء والنجف، منهم، الوحيد البهبهاني، والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، والشيخ جعفر

كاشف الغطاء، والسيد مهدي بحر العلوم.

نزل مدينه يزد أثناء زيارته للإمام الرضا عليه السلام، فسمع بذلك السلطان فتح علي شاه القاجاري فكتب إليه يدعوه إلى طهران، فحلّ

دار السلطان، وهناك سأله الشاه مجموعة من الأسئلة طُبعت ضمن جوامع الكلم وسنقف عليها.

استوطن (كرمانشاه) نزولاً عند طلب محمّد علي ميرزا بن السلطان فتح علي شاه الوالي من قبل أبيه علي المدينه.

للقوف علي مؤلفاته المطبوع منها والمخطوط، راجع الاحصاء الذي أجريناه في «احصاء مخطوطات علماء الاحساء والقظيف في

مكتبات ايران لمصنفات أحمد بن زين الدين.

توفي في هديه قرب المدينه المنوره في ٢٢ ذو القعدة ١٢٤١ عن عمر ناهز ٧٥ عاماً أثناء سفره إلى الحج ودُفن بالبيع.

ص: ٢٧٩

راجع: أدب الطف ٣٦٧/٦، الاعلام للزركلي ١/١٢٤، الاعيان ٢/٥٨٩، أنوار البدرين ٤٠٦/٤، دائرة المعارف الشيعية ٣/٩٨، الروضات ١/٩٧ مؤلفين كتب جابي ١/٣٥٤، معجم المؤلفين ١/٢٢٨، معجم المطبوعات ٢٦٨/٢. أعلام هجر ١/١١٢.

احرام أهل المدينة:

ضمن أجوبة مسائل الشيخ أحمد بنصالح بن طوق (الثالثة)، حول النية، وكفاية الشاهد واليمين أو البينة في اثبات الدعوى على الميت. مخطوطة في المكتبة الوطنية (ملى)، برقم ٣٩/٧٥٥، ذكرشافى فهرسها ٨/٢٤٦.

الزاد والراحلة:

ضمن أجوبة مسائل الملا محمد الدامغانى، حول بسيط الحقيقة كل الاشياء، وتفسير «إنا لله وإنا اليه راجعون» و «تفسير الى الله تصير الأمور».

مخطوطة في ملك طهران، برقم ٩/٦٣٣/٩٦، راجع فهرسها ٥/١٢٠ بعنوان «أجوبة المسائل».

٤- أحمد بنصالح بن سالم بن طوق القطيفي:

عالم فقيه مرجع في (الفتيا) ببلاد القطيف.

معاصر للشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي، وله عنه مسائل ذكرناها في إحصاء مخطوطات علماء الاحساء والقطيف في مكتبات ايران: ضمن مؤلفات أحمد بن زين الدين، وطبع بعضها ضمن جوامع الكلم للشيخ أحمد.

من مؤلفاته التي تربو على الأربعين: نزهة الألباب، نعمة المنان في إثبات وجود صاحب الزمان، جامعة الشتات، شرح حديث من عرف نفسه، الفرائض

ص: ٢٨٠

والمواريث، رسالته في الأصول الخمسة، المسائل العويصة التي أرسلها للشيخ أحمد بن زين الدين.
انظر أعيان الشيعة ٢/٦٠٧، الذريعة ٢٣/٢٥٤.

أحكام العمرة:

في أحكام العمرة والمسائل المرتبطة بها بطريقة استدلالية مختصرة، مرتبته على مقدمة وعدة فصول، المقدمة في وجوب العمرة في العمر مرة، والفصل الأول في مواقيت العمرة، والفصل الثاني في الطواف.

مخطوطة في المرعشي، برقم ١٧/٢٣٥٨، بخط زرع بن محمد على الخطي، النسخة غير تامة.
أولها: ولا حول ولا قوة إلا بالله... وبعد فهذه نبذة يسيرة في أحكام العمرة كتبها امتثالاً لقوله تعالى «...».

آخرها: وهو أوضح إشكالاً وضعفاً كما لا يخفى والله العالم...

ضمن مجموعة تحتوى على (١٧ رسالة) كلها لابن طوق. عليها حاشية تصحيحية بخط المؤلف.

مناسك الحج:

فرغ منه في ٨ ربيع الثاني ١٢٣٨. وفيه حج القران والإفراد.

قال في الذريعة ٢٢/٢٥٤: رأيت المناسك في كتب الشيخ حسين القديحي.

٥- الحسن بن حسين بن محمد بن أحمد البحراني:

من أهل أوائل المائة الثالثة عشرة.

كان له من الأخوة خمسة كلهم من العلماء والفضلاء، هو أشهرهم.

ص: ٢٨١

انتقل من البحرين بعد وفاة والده سنة ١٢١٦ الى بوشهر وصار إماماً للجمعة والجماعة والقضاء الى أن توفي ودفن في بيته، وقبره مزار معروف.

من مصنفاته رسالة عملية في الطهارة والصلاة، شرح منظومة والده في الأصول الخمسة المسماة بشارحة الصدور ودافعة المحذور، رسالة الصوم.

مناسك الحج:

ذكره في أنوار البدرين: ٥٧، والأعيان ٥/ ٥٧، والذريعة ٢٢/ ٢٥٩.

٦- حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرزي البحراني:

والد الحسن المتقدم، له ستة من الاولاد كلهم من العلماء.

ابن أخ المحدث البحراني وأحد المجازين منه في اللؤلؤة.

توفي في شوال بشاخور سنة ١٢١٦.

انظر: الأعيان ٥/ ٥٧، الذريعة ٢٢/ ٢٥٩.

مناسك الحج الكبير:

ذكره في الذريعة ٢٢/ ٢٦١. طبع في بمبي.

مناسك الحج المتوسط:

ذكره في الذريعة ٢٢/ ٢٦١.

مناسك الحج الصغير:

ذكره في الذريعة ٢٢/ ٢٦١.

٧- حسين بن محمد بن عبد الصمد البحراني:

مناسك الحج:

ذكره في الذريعة ٢٢/ ٢٦١.

ص: ٢٨٢

٨- حسين بن مفلح بن الحسن الصيمري البهراني:
قال الشيخ سليمان بن عبد الله في رسالته علماء البحرين:
كان كثير العبادات والصدقات، وقل إن يمضي عليه عام في غير حج أو زيارة.
اجتمع في بعض أسفاره مع المحقق الكركي فاستجازه فأجازه.
توفي سنة ٩٣٣ وقبره مع أبيه في سلما باد بالبحرين.
له كتاب «محاسن الكلمات في معرفة النيات» ذكر فيه كثيراً من فتاوى والده في كتابيه وشرح الموجز، وشرح الشرائع، وله أجوبة المسائل.

انظر: أنوار البدرين: ٧٦.

مناسك الحج:

ذكره في الذريعة ٣٣ / ٢٦٢.

مناسك الحج:

وهو غير المناسك المتقدم، الذريعة ٢٢ / ٢٦٢.

٩- سليمان بن أحمد بن الحسين آل عبد الجبار القطيفي:

نشأ في القطيف وسكن في مسقط.

له مؤلفات كثيرة منها النجوم الزاهرة في أحكام العترة الطاهرة (مجلد في الفتوى ويشير أحياناً إلى الدليل)، شرح المفاتيح في الطهارة والصلاة، الأنوار المشرقية في شرح اللمعة الدمشقية، شرح الباب الحادي عشر في المعارف الخمسة (مبسوط ويسمى إرشاد البشر في شرح الباب الحادي عشر)، وشروح على الفصول النصيرية والشمسية وتهذيب المنطق للتفتازاني، ورسائل في الفلسفة والكلام، وأجوبة مسائل، للوقوف على كل ذلك انظر: أنوار البدرين: ٣٢٥.

ص: ٢٨٣

توفي سنة ١٢٦٦ هـ.

الدره في أحكام الحج والعمدة:

ذكره في الذريعة ٨ / ٨٩.

مناسك الحج:

قال في أنوار البدرين / ٣٢٥: مبسوط جيد جداً.

مناسك الحج (الصغير):

قال في الذريعة ٢٢ / ٢٦٤: وهو غير الدرّه في أحكام الحج والعمرة على ما هو مذكور مع سائر تصانيفه على ظهر كتابه الرد على النصارى.

وذكره في أنوار البدرين أيضاً: ص ٣٢٥.

نيات مناسك الحج:

ذكره في أنوار البدرين: ٣٢٥.

١٠- سليمان بن سليمان بن أحمد بن الحسين القطيفي:

يسمى سليمان الصغير بن سليمان الكبير المتقدم.

سكن بعد وفاة والده «ميناب» أو «ميناء» من بلاد ايران.

له شرح لأبيات عمّه الشيخ على من منظومته في التوحيد والرد على الشيخية.

وله أجوبة مسائل الشيخ صالح.

انظر:

أنوار البدرين: ٣٢٦، الكرام البررة ٢ / ٦١٠.

مناسك الحج:

ذكره في أنوار البدرين، والكرام البررة (المصادر المتقدمة).

ص: ٢٨٤

١١- سليمان بن عبدالله بن علي بن الحسن بن أحمد السراوى الماحوزى:

ولد سنة ١٠٧٥ هـ.

تلميذ الشيخ عبدالله السماهيجى.

له البلغة والمعراج ومنسكان للحجِّ يأتى ذكرهما.

توفى ١١٢١ هـ.

مناسك الحجِّ:

ذكره تلميذه الشيخ عبدالله السماهيجى فى إجازته الكبيرة للشيخ ناصر البحرانى.

صنف المناسك للسيد أحمد بن عبد الرؤوف الجدحفصى البحرانى. نسبة إلى جد حفص من قرى البحرين.

انظر: الذريعة ٢٢/٢٦٤، الأعيان ٧/٣٠٤.

مناسك الحجِّ الثانية:

مقصوراً فيه على المسائل الخلافية فيها، ذكره فى إجازة صدرت منه بخطه فى سنة ١١١١ لتلميذه محمد رفيع البيرمى اللارى.

أولهُ: الحمد لله وكفى ... وضعتها فى المسائل الخلافية التى تعم بها البلوى فى مناسك الحجِّ. تاريخ كتابه النسخة سنة ١١١١ هـ.

١٢- عبدالله بن أبى القاسم بن على البلادى البحرانى الغريفى:

ولد سنة ١٢٩١ هـ.

أخذ الفقه والأصول عنصاحب الكفاية.

له تأليف كثير فى العلوم المختلفة تبلغ الأربعين: منها: طرق الوعظ، زلال العين، الكشكول، الردود الستة على ابن تيمية فى الإمامة،

رحلة الحرمين.

ص: ٢٨٥

وغيرها تقف عليها عند مراجعة الأعيان ٨ / ٤٩.

توفي سنة ١٣٧٢ هـ

رحلة الحرمين في مناسك الحج:

ذكر في الأعيان ٨ / ٤٩، وقال في الذريعة ١٠ / ١٦٨: أنه فارسي.

مناسك الحج:

ذكره في الذريعة ٢٢ / ٢٦٦.

ويحتمل اتحاده مع رحلة الحرمين.

١٣- عبدالله بنصالح البلادي البحراني:

مناسك الحج:

صنفه بطلب السيد أحمد بن عبد الرؤوف الجدحفصي البحراني.

ذكره في الأعيان ٢ / ٦٢٤.

١٤- عدنان بن شبر بن علي مشعل بن محمد الغياث الغريفي:

ولد في البصرة سنة ١٢٨٣ هـ.

انتقل الى خرمشهر مع والدته بعد وفاة والده وله من العمر خمس سنين.

هاجر الى النجف سنة ١٢٩٧ هـ وكان عمره أربعة عشر سنة.

سنة ١٣١١ هـ عاد الى خرمشهر بأمر المجدد الشيرازي وإيعاز من شيخه محمد طه نجف للقيام بوظائفه الشرعية.

جاء العراق للتداوي فتوفي في الكاظمية سنة ١٣٤٠ هـ، وانتقل جثمانه إلى النجف ودفن في الصحن الشريف.

ص: ٢٨٦

من آثاره: قبسة العجلان في صلاة الإيمان (طبع بأصفهان ١٣١٧ هـ)، أنساب العرب، ميزان المقادير، كتاب في الجفر، حاشية العروة الوثقى. ديوان شعر (جمعه الدكتور حسين علي محفوظ).

مناسك الحج:

ذكره في نقباء البشر ٣ / ١٢٦٢.

منظومة في الحج وأسراره:

تقرب من ألف بيت.

١٥- علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أبي شبانة البحراني:

والد صاحب تنمة الأمل، ومن أجداد السيد ناصر بن عبد الصمد، ساكن البصرة ورئيسها المتوفى في رجب ١٣٣١ هـ.

تلميذ الشيخ سلمان الماحوزي صاحب البلغة المتقدم، والجامع لديوانه.

من الأدباء اللامعين، قد أكثر الشعر والنثر إلا أنه ضاع إثر حوادث أوال، ونقل بعضاً من شعره صاحب أنوار البدرين: ٩٨.

مناسك الحج:

مبسوط، حكاة محمد صالح البحرانيصاحب الدرّة الثمينه، وقال في أنوار البدرين: إن النسخة عنده ومعها مزار كبير للنبي وأئمة البقيع.

١٦- علي بن جعفر بن علي بن سليمان القدمي البحراني:

ذكره السيد عبد الدين نور الدين بن نعمه الله الجزائري في إجازته الكبيرة ووصفه بالفاضل المحقق، وذكره أيضاً السيد الأمين في

الأعيان ٨ / ١٨١.

توفي سنة ١١٣١.

ص: ٢٨٧

مناسك الحج:

ذكره الشيخ عبد الله السماهيجي في إجازة للشيخ ناصر الجارودي.

انظر الذريعة ٢٢ / ٢٦٨.

١٧- علي بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي:

مناسك الحج:

ذكره في الذريعة ٢٢ / ٢٦٨.

١٨- علي بن الحسن بن علي بن حسن الخنيزي:

ولد في القطيف سنة ١٢٨٥ هـ.

انتقل الى النجف الاشرف لإكمال درسه العالي سنة ١٣٠٨.

درس عند محمد طه نجف والشيخ محمود ذهب، والسيد كاظم اليزدي، والشيخ فتح الله شيخ الشريعة.

سنة ١٣٢٣ عهدت اليه الحكومة العثمانية أمر القضاء والفتيا في القطيف، وأقره الملك عبد العزيز بن سعود علي منصبه، وبقي فيه الى

حين وفاته.

توفي سنة ١٣٦٢ هـ.

من آثاره: أسفار الناظرين في شرح تبصرة المتعلمين، شرح نجاه العباد للشيخ الجواهري، رسالة عملية وهي في الشكوك خاصة.

تبصرة الناسك في أعمال المناسك:

قال في الأعيان: وهو الكتاب الوحيد الذي أتمه، ويعتبر هذا المنسك.

مبسوطاً بالقياس الى غيره من المناسك.

انظر الأعيان ٨ / ٢٩٩.

ص: ٢٨٨

١٩- علي بن سليمان بن درويش بن حاتم القديمي:

محدث، فقيه، أصولي: نشر علم الحديث في بلاد البحرين.

من تصانيفه: رسالة في الصلاة، رسالة في جواز التقليد، حاشية على المختصر النافع.

توفي سنة ١٠٦٤ هـ.

انظر: معجم المؤلفين ١٠٣/٧.

مناسك الحج:

قال في رسالة علماء البحرين: إن منسكه مع أكثر تصانيفه موجودة عندي.

انظر الذريعة ٢٢/٢٦٩.

٢٠- محمد بن الحسن المكنى بأبي مجلى القطيفي:

تلميذ المحدث الشيخ يوسف البحراني.

مناسك الحج:

في بيان الأماكن الشريفة وتحديدها وعلائمها وأعمالها.

ذكره الشيخ محمد صالح البحراني آل طعان.

انظر الذريعة ٢٢/٢٧٢.

٢١- محمد بن الحسين أبو خمسين الاحسائي:

ولد في حدود ١٢٢٦ هـ

له شرح على إرشاد العلامة مبسوط، وشرح على تبصرة العلامة، رسالة عملية كبرى أسماها منار العارفين، ورسالة عملية صغرى أسماها

مصباح العابدین.

ص: ٢٨٩

توفى فى ذى القعدة سنة ١٣١٦ عن عمر ناهز التسعين عاماً.

مناسك الحج:

ذكره السيد ناصر بن هاشم الاحسائي.

انظر أنوار البدرين: ٤١٤، الذريعة ٢٢ / ٢٧٢.

٢٢- محمد بن على بن إبراهيم بن أبى جمهور الاحسائي:

متكلم، فقيه، محدث، عارف.

ولد فى الاحساء فى حدود سنة ٨٤٠ هـ.

انتقل إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته العالية عند كبار الأساتذة منهم الشيخ عبدالكريم الفتال.

نزل كرك نوح، سنة ٨٧٧ هـ والتقى فيها بالشيخ على بن هلال الجزائرى وأقام عنده مستفيداً من علومه.

مؤلفاته كثيرة أحصيناها فى «إحصاء مخطوطات علماء الاحساء والقطيف فى مكتبات ايران» أشهرها مجلى مرأه المنجى (قيد التحقيق)،

غوالى اللئالى العزيبه (طبع بتحقيق مجتبى العراقى). درر اللئالى العماديه (قيد التحقيق)، زاد المسافرين (طبع بتحقيقنا)، كاشفة الحال

عن أحوال الاستدلال (طبع بتحقيقنا)، وشرحان على الباب الحادى عشر.

توفى فى حوالى العشر الأولى من القرن العاشر الهجرى.

انظر: الفوائد الرضوية: ٣٨٢، روضات الجنات ٧ / ٣٢، مستدرک أعيان الشيعة ٢ / ٢٨٢.

أسرار الحج:

فى بيان أسرار ولطائف الحج فى جانبه الفلسفى والأخلاقى مع الاستدلال

ص: ٢٩٠

على ذلك من طرق العامة والخاصة. فرغ منه سنة ٩٠١ هـ.

طبع على الحجر في طهران سنة ١٣٢٤ هـ ضمن كتاب المجلى.

وطبع ثانية في طهران أيضاً سنة ١٣٢٩ هـ على الحجر أيضاً، باهتمام الشيخ أحمد الشيرازى مع المجلى أيضاً.

انظر: فهرست كتابهاى چابى عربى: ٥١، الذريعة ٢/٤٣.

انتهينا توأ من تحقيقه.

٢٣- محمد بن محسن الموسوى البوشهرى البحرانى:

المتوفى سنة ١٣٥٥.

مناسك الحج:

فرغ من كتابته سنة ١٣٢٤ هـ.

قال فى الذريعة ٢٢/٢٧٣: النسخة موجودة عند ولده السيد محمد طاهر.

٢٤- محمد صالح بن أحمد بن صالح آل طعان القطيفى:

ابن اعلا الملا طعان القطيفى المعروف بتقواه ببلاد القطيف.

قال فى أنوار البدرين: ٢٦٩، كان كأبيه فى التقوى والكرم.

له مصنفات كثيرة منها: شرح منظومة والده فى الشكوك والسهو، كتاب فى الفقه، منظومة فى الأصول الخمسة، ذرائع الآمال فيما

يخصّ السنة من الأعمال، وله شعر فى المراثى.

توفى فى شعبان ١٣٣٣ هـ فى كربلاء ودفن فى الصحن الشريف.

أعمال مكة والمدينة:

ذكره فى أنوار البدرين: ٢٦٩.

ص: ٢٩١

مناسك الحج الأولى:

في مجرد الأعمال والأدعية في عرفه والغدير وزيارة المدينة.

أوله «اللهم أرنا مناسكنا ... انظر الذريعة ٢٢ / ٢٦٥.

مناسك الحج الثانية:

ذكره في الذريعة ٢٢ / ٢٦٥.

٢٥- محمد مهدي بن أحمد المقابي البحراني:

مناسك الحج:

فرغ منه سنة ١٢١٠.

ذكره في الذريعة ٢٢ / ٢٧٤.

٢٦- يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرزي البحراني:

ولد سنة ١١٠٧ في قرية الماحوز من قرى البحرين.

تتلمذ عند والده الشيخ أحمد والشيخ سليمان الماحوزي، ثم على يد الشيخ حسين الماحوزي.

تنقل بين القطيف والبحرين ثم كرمان وشيراز ومن ثم الى كربلاء حيث أدركه الأجل.

من آثاره: الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، سلاسل الحديد في تفسير ابن أبي الحديد، الشهاب الثاقب في بيان معنى

الناصب، الدرّة النجفية، النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية، تدارك المدارك، اعلام القاصدين، معراج النبيه، لؤلؤة البحرين،

وغير ذلك من المصنفات، وقف عليها صاحب أنوار البدرين: ١٩٨.

ص: ٢٩٢

توفى في ربيع الأول ١١٨٦.

مناسك الحج:

ذكره في الذريعة ٢٢/ ٢٧٥، أنوار البدرين: ١٩٨، لؤلؤة البحرين: ٤٤٧.

المصادر:

- ١- ادب الطف، جواد شبر، دار المرتضى بيروت- ١٩٨٨ م.
- ٢- الاعلام، خير الدين الزركلى. دار العلم للملايين. بيروت ط ٨، ١٩٨٩ م.
- ٣- اعلام هجر، هاشم محمد الشخص، مؤسسة البلاغ بيروت.
- ٤- أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، بيروت ١٩٨٦ م.
- ٥- أنوار البدرين، على بن الحسن البلادي، نشر مكتبة السيد المرعشى، قم- ١٤٠٧ هـ.
- ٦- ترجمه آل عرفات، عبد الغنى آل عرفات. مخطوط.
- ٧- دائرة المعارف الشيعية، حسن الأمين، دار التعارف بيروت ط ٣، ١٩٨١ م.
- ٨- الذريعة الى تصانيف الشيعة. آقا بزرك الطهرانى، دار الأضواء ط ٢، نشر على نقى المتروى ١٩٧٨ م
- ٩- روضات الجنات. محمد باقر الخوانسارى، الدار الإسلامية بيروت ط ١، ١٩٩١ م.
- ١٠- طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرك الطهرانى، تعليق عبد العزيز الطباطبائي ط ٢ مشهد ١٤٠٤ هـ.
- ١١- فهرست آل بابويه وعلماء البحرين، سليمان الماحوزى البحرانى، اعداد احمد الحسينى، نشر مكتبة المرعشى - ١٤٠٤ هـ
- ١٢- فهرس مجلس الشورى، بهاء الدين انوارى- محمد تقى دانش پژوه، نشر چاپخانه مجلس شورى، طهران- ١٣٥٩ هـ. ش
- ١٣- فهرس المرعشى، أحمد الحسينى، نشر مكتبة المرعشى.
- ١٤- فهرس المكتبة الوطنية (ملى)، عبد الله انوار، طهران.
- ١٥- فهرس ملك طهران، ايرج افشار، محمد تقى دانش بزوه، ومساعدة الحجتى والمنزوى.
- ١٦- الفوائد الرضوية، عباس القمى، طبعه خالية عن المواصفات.
- ١٧- مستدرک اعيان الشيعة، حسن الأمينى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- ١٩٨٧ م
- ١٨- معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله، نشر مكتبة المثنى، بيروت- دار إحياء التراث، بيروت.
- ١٩- معجم مؤلفين كتب چابى، خانابا مشار.

ص: ٢٩٣

معجم ما كتب في الحجّ والزيارة والمعالم المشرفة في الحجاز (٣)

عبد الجبار الرفاعي

تعريف بمصادر دراسة الحجّ ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمعالم المشرفة في الحجاز، وما يرتبط بذلك. يشتمل على ما كُتِبَ من مؤلفات، ورسائل جامعية، وبحوث، ومقالات، باللغتين العربية والفارسية.

إشارات:

- ١- بلغ عدد العناوين ما يقارب (٢٠٠٠) عنوان.
- ٢- شملت التغطية الزمانية ما كُتِبَ منذ بداية التدوين عند المسلمين إلى اليوم.
- ٣- ينشر هذا العمل خلال حلقات في مجلة «مقات الحج» بناءً على طلب رئيس تحرير المجلة. وبعد الفراغ من نشره هنا ستقوم معاونة شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحجّ، التابعة لممثلة الولي الفقيه لشؤون الحجّ والزيارة

ص: ٢٩٤

بنشره مستقلاً إن شاء الله تعالى.

٤- لا تمثل هذه القائمة استقراءً تاماً لجميع ما كُتِبَ في هذه الموضوعات، لذا يرجو المؤلف من السادة الكُتَّاب إعلامه بأعمالهم التي لم تُرصد في القائمة على عنوان المجلة، كيما يجرى استدراكها حيثما ينشر هذا العمل في كتاب.

٥- اعتمدت المداخل على عناوين الكتب والبحوث والمقالات.

٦- رُتبت المداخل تبعاً للترتيب الهجائي التام، واعتبار الوحدة في الترتيب هي الكلمة، أي على أساس كلمة كلمة، ثم حرف حرف. المختصرات:

ت: تاريخ الوفاء

ج: الجزء

ح: الحلقة

خ: نسخة مخطوطة

د. ت: بدون تاريخ

د. م: بدون ذكر مكان النشر في المطبوع

د. ن: بدون ذكر الناشر

س: السنة

سم: سنتيمتر

ش: السنة الهجرية الشمسية

ص: الصفحة

ط: الطبعة

ظ: انظر

ع: العدد

ق ٧هـ: القرن السابع الهجري

م: السنة الميلادية

مج: مجلد

مط: المطبعة

هـ: السنة الهجرية القمرية

*** ٣٧٧- تقريب المرام الى زيارة سيد الأنام في الرد على القول المحقق المحكم

عبد الله القنْدَهَارِي

ظ:

الثقافة الإسلامية في الهند ٢٤٥،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١/٤٠٧.

٣٧٨- تقرير عن المياه الجوفية في الحرم المكي الشريف

يحيى كوشك وآخرون

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠ هـ، ٦٢ ص.

ص: ٢٩٥

٣٧٩- التكامل الاجتماعي الذي أرساه الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة
نفيه مصطفى زهرة

بيروت: الجامعة اللبنانية، كلية الآداب (رسالة ماجستير).

٣٨٠- تكوّن الدولة الإسلامية في المدينة: البداية والنموذج

إبراهيم بيضون

العرفان (بيروت) مج ٧٣: ع ١، ٢ (٦، ٧ / ١٤٠٥ هـ / ٣، ٤ / ١٩٨٥ م) ص ٣٠ - ٤٦.

٣٨١- التلبية

محمد مهدي الآصفي

ميفات الحج: ع ٢ (١٤١٦ هـ) ص ١١٧ - ١٣٩.

٣٨٢- تلويح الإشارة في تلخيص شرح الزيارة

(تلخيص شرح الزيارة للشيخ أحمد الإحسائي)

مير محمد حسين بن مير محمد علي بن محمد حسين المرعشي المعروف بالشهرستاني الحائري (ت ١٣١٥ هـ).

ظ: ربحانة الأدب ٣ / ٢٧٣، الذريعة ٤ / ٤٣٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩ / ٤١٤.

٣٨٣- التمتع في الحج

أبو بكر الجزائري

الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) س ١٣: ع ٤٩ (١ - ٣ / ١٤٠١ هـ) ص ٢٣ - ٢٦.

٣٨٤- تمكين المقام في المسجد الحرام

علي بن الحاج الحنفى الشهير ب (علي دده) [ت ١٠٠٧ هـ].

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣ - ٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٤.

٣٨٥- تنزيل السكينة على قناديل المدينة

تقى الدين علي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦ هـ)

ظ: العرب. س ٣١: ج ١، ٢ (٧ - ٨ / ١٤١٦ هـ / ١٢ / ٩٥ - ١ / ١٩٩٦ م) ص ٧٩.

٣٨٦- تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام

ابن الضياء المكي

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣ - ٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٣.

٣٨٧- التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة في غزوة الأحزاب

محمد جمال الدين محفوظ

ص: ٢٩٦

الأزهر س ٦٣: ع ٤ (١١ / ١٩٩٠) ص ٤١١-٤١٦.

٣٨٨- تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة

صالح أحمد العلي

بغداد: ١٩٦٨ م.

٣٨٩- تنظيمات مكة والمدينة عند ظهور الإسلام

صالح أحمد العلي

الاجتهاد (بيروت) س ٢: ع ٧ (ربيع ١٩٩٠ م / ١٤١٠ هـ) ص ٣١-٦٧.

٣٩٠- تهنئة أهل الإسلام بتجديد بيت الله الحرام

إبراهيم بن محمد الميموني

(١٠٧٩-٩٩١ هـ)

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠-١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٤.

٣٩١- تهيج الغرام على البلد الحرام

محمد بن يعقوب الفيروز آبادي

(٧٢٩-٨١٧ هـ)

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠-١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٤.

٣٩٢- تواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها

حمد الجاسر

ظ:

العرب. س ٣١: ج ١، ٢ (٧-٨ / ١٤١٦ هـ / ١٢ / ٩٥-١ / ١٩٩٦ م) ص ٧٩.

٣٩٣- تواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها

عبيد مدني (ت ١٣٩٦ هـ)

ظ: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ١٧١.

٣٩٤- توسعة الحرم النبوي الشريف

هاشم دفتردار وجعفر فقيه

بيروت: مطبعة الانصاف، ١٩٥٣ م.

٣٩٥- توسعة المسجد الحرام عبر التاريخ

محمد عبد الله مليباري

المنهل (جدة) مج ٥١: ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ) ص ٣٤-٥١.

٣٩٦- التوسل

محمد عبد القيوم القادري الهزاروي

باهتمام: حسين حلمي

استانبول: حسين حلمي، ١٩٨٤ م.

٣٩٧- التوسل بالأنبياء والصالحين بندايمهم وطلب شفاعتهم

محمد بن دايل (ق ١٣ هـ)

خ: دار البحرين برقم ٩٤، في ٨ ورقات تاريخها ١٢٣٧ هـ.

٣٩٨- التوسل بالموتى

تركية: ١٩٧٦ م.

ص: ٢٩٧

٣٩٩- التوسّل بالنبيّ والصالحين وجهلّة الوهابيين

أبو حامد بن مرزوق الدمشقي الشامي

استانبول: حسين حلمي، ١٩٧٥ م، و ١٩٨٤ م.

٤٠٠- التوسّل والزياره

محمد الفقي

القاهرة: مصطفى البابي الحلبي.

٤٠١- توشه خانه خدا

(بالفارسيه)

محمود مير هندی الاصفهاني

اصفهان: انتشارات مشعل، ١٣٤٥ ش، ٣١٠ ص، ١٧ * ٥ / ١١ سم، مصور.

٤٠٢- التوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع

عز الدين علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر محمد بن أبي الخير الموصلی (٧٨٩ هـ)

(شرح لبديعته في مدح الرسول صلى الله عليه و آله)

ظ:

ايضاح المكنون ١/ ١٧٣،

الغدير ٦/ ٤٥،

معجم ما أَلْفَ عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ٣٤٧،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١/ ٤٢٥.

٤٠٣- توصيف آثار تاريخي مكّه ومدينه وفلسفه مناسك حج در فتوح الحرمين

(بالفارسيه)

محيي لاري (ق ١٠ هـ)

باهتمام: رسول جعفریان

قم: مكتبة انصاريان، ط ١، ١٣٧٣ ش، ١١١ ص، ٢٤ سم.

٤٠٤- توصيه هايي در رابطه با سفر حج

(بالفارسيه)

(ايران): سهامی انتشار، ١٣٥٩ ش، ٣٤ ص، ١٧ سم.

٤٠٥- توضيح مناسك الحج

حسن كاظم علوش الحلبي

النجف: مط القضاء، ١٩٧٨ م، ١٦ ص.

٤٠٦- توضيحات مناسك الحج وما يلحقه اعمال المدينه المنوره

محمود الحسيني الشاهرودي

النجف: مط النعمان، ١٩٧٠ م، ٢٥٦ ص.

٤٠٧- توضيح المناسك على المذاهب الأربعة وأدعية الطواف والعمرة

أحمد عبد القادر

الرياض: مكتبة المعارف ومكتبة الشباب، ط ٢، ١٤٠٠ هـ.

٤٠٨- توضيح المناسك كامل حج

(بالفارسية)

مهدي ملتجي

طهران: مكتبة اشرفي، ١٣٥٤ ش، ٤٤٦ ص.

ص: ٢٩٨

٤٠٩- توضيح المناسك وهداية الناسك

(بالفارسية)

أسد الله شريفى

طهران: ط ١، ١٣٦١ ش، ٢٦٩ ص، ٢١ سم.

٤١٠- توضيح المناسك يا دستور حج

(بالفارسية)

على اصغر كرباسچيان

طهران: ١٣٣٥ ش، ١١٨ ص، ١٧ سم.

٤١١- توضيح المناسك يا دستور حج

(بالفارسية)

محمود الشاهرودى

مشهد: انتشارات جعفرى، ١٣٥١ ش، ٩٦ ص، ١٧ سم.

٤١٢- التوعية الشاملة فى الحج

عبد الله عبد المطلب بوقس

مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامى، ١٤٠١ هـ، ١١٢ ص (مطبوعات رابطة العالم الإسلامى، ٩).

٤١٣- توقعات الاقبال على الحج عام ١٤٢٠ هـ

أحمد حفيظ وآخرون

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢ هـ، ١٣ ص.

٤١٤- توقير المصطفى

عبد غالب أحمد عيسى

بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٩٨٧، ٧١ ص.

الخرطوم: دار الفكر، ط ٤، ١٩٨٧ م، ٥٠ ص.

٤١٥- التونسيون فى مكة

(من كتاب الدرالكمين بذييل العقدالثمين)

نجم الدين بن فهد

تحقيق: محمد الزاهى

الحياة الثقافية (تونس) س ٧: ع ٢٢، ٢٣ (٩- ١٠ / ١٩٨٢ م) ص ١٨٢- ١٩١.

٤١٦- ثامن شؤال

(بحث فيه عن الحوادث التى وقعت فى ذلك اليوم من سنة ١٣٤٣ هـ من هدم القبور فى البقيع فى المدينة المنورة، والرد على فتوى

الأبلة ابن بليهد الذى أمر بذلك، وفضائح الوهابية).

ظ:

الذريعة ١٧ / ٢٧١،

تراثنا: ع ١٧ (٩-١٢ / ١٤٠٩ هـ) ص ١٥٧.

٤١٧- ثروات أهل مكة في عصر الرسالة

هاشم يحيى الملاح، وعبد الواحد الرمضاني

المؤرخ العربي (بغداد) س ١٦: ع ٤٣ (١٩٩٠ م) ص ١٠١-١١٣.

٤١٨- ثغرة مهملته في تاريخ مكة

عبد القدوس الأنصاري

ص: ٢٩٩

المنهل (جدة) مج ٢٤: ج ١١ (١١/١٣٨٣ هـ / ٣-٤ / ١٩٦٤ م) ص ٦٦١-٦٦٤.

٤١٩- ثواب أعمال حج بضميمه منتخب المناسك مطابق با فتاواى هفت نفر از مراجع (بالفارسية)

محمود بن مهدي الموسوي الاصفهاني

قم: دار التبليغ الإسلامي، ط ١، ١٣٩٣ هـ.

٤٢٠- ثواب الحج

الحسن بن علي الوشاء البجلي الكوفي

ظ:

رجال النجاشي ٣٩، الذريعة ١٨ / ٥.

٤٢١- كتاب ثواب الحج

سَلْمَةُ بن الخطاب البراوستاني الأزدرقاني

ظ:

رجال النجاشي ١٨٧، الفهرست للشيخ الطوسي ٧٩، الذريعة ٦ / ٢٥١.

٤٢٢- كتاب ثواب الحج

محمد بن إسماعيل بن بزيع

ظ:

رجال النجاشي ٣٣٠.

٤٢٣- ثواب الحج

يونس بن عبد الرحمن

ظ:

رجال النجاشي ٤٤٨، الذريعة ١٨ / ٥.

٤٢٤- ثواب الحج وأعماله

علي محمد علي دخيل

بيروت: دار المرتضى، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٨ ص، ١٧ سم.

٤٢٥- ثواب الحج وأعماله

علي محمد علي دخيل

بيروت: دار المرتضى، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٨ ص، ١٧ سم

٤٢٦- جاري های حج در گفتگو با ریاست سازمان حج و زیارت

(بالفارسية)

میقات حج س ٢: ع ٥ (پائیز ١٣٧٢ ش) ص ٢٢٥-٢٣٢-

٤٢٧- كتاب جامع آداب المسافر للحج

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ظ: رجال النجاشي ٣٩٠

٤٢٨- جامع الأدعية والزيارات

أحمد عارف الزين العاملي، صيدا:

مطبعة العرفان

٤٢٩- كتاب جامع تفسير المنزل في الحج

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ظ:

رجال النجاشي ٣٨٩

ص: ٣٠٠

٤٣٠- كتاب جامع الحج

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ظ:

رجال النجاشي ٣٨٩

٤٣١- جامع الزيارات العباسي

محمد باقر بن محمد السبزواري (ت ١٠٩٠ هـ)

ظ:

الذريعة ٥/٥٧، معجم ماكتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/٤٢٢

٤٣٢- كتاب جامع علل الحج

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ظ: رجال النجاشي ٣٨٩

٤٣٣- كتاب جامع فرض الحج والعمرة

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ظ:

رجال النجاشي ٣٩٠

٤٣٤- كتاب جامع فضل الكعبة والحرم

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ظ:

رجال النجاشي ٣٨٩، معجم ماكتب عن الرسول وأهل البيت ١/٤٣٣

٤٣٥- كتاب جامع فقه الحج

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ظ: رجال النجاشي ٣٩٠

٤٣٦- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر علي بن ظهيرة القرشي المخزومي (ت ٩٨٦ هـ)

غوتبخن: ١٢٧٤ هـ (بعناية: وستنفلد)

القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي، ١٣٤٠ هـ، ١٣٥٨ هـ.

بيروت: ١٩٦٤ م (اوفسيت). ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ٤١٢ ص، ٢١ سم.

بيروت: المكتبة الشعبية، ١٩٧٩ م، ص ٢٥٩.

٤٣٧- جامع المسالك في أحكام المناسك في الفقه على المذاهب الأربعة

عبد الله التليدي

مكة المكرمة: ط ١، ١٣٤٥ هـ

دمشق: دار المعاجم

الرياض: ط ٢، ١٤٠٩ هـ، ٧٨ ص ٢١ سم

٤٣٨- كتاب جامع نواذر الحج

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ص: ٣٠١

ظ:

رجال النجاشي ٣٩٠

٤٣٩- الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

عبد القدوس الأنصاري

المنهل (جدة) مج ٢١: ج ٥ (٥/ ١٣٨٠ هـ / ١١ / ١٩٦٠ م) ص ٢٩٣- ٢٩٥.

٤٤٠- الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

حسن بن حمود بشير

المنهل (جدة) مج ٣٤: ح ١٢ (١٢/ ١٣٩٣ هـ / ١ / ١٩٧٤ م) ص ٩٧٢- ٩٩٥

٤٤١- جامه خراساني برقامت كعبه

(بالفارسية)

آصف فکرت

ميقات حج س ٢: ع ٥ (پاييز ١٣٧٢ ش) ص ١٢٥- ١٤٧

٤٤٢- الجانب الأخلاقي في الحج

إبراهيم عبد السلام ناصف

المجاهد (القاهرة) س ٩: ع ٩٢

٤٤٣- جاينگاه حج در اندیشه اسلامي

(بالفارسية)

علي قاضي عسكر

ميقات حج س ١: ع ١ (پاييز ١٣٧١ ش) ص ١٢٨- ١١٧

٤٤٤- جاينگاه حج در فرهنگ ارتباطات

(بالفارسية)

رضا هاشمي

ميقات حج س ٢: ع ٨ (تابستان ١٣٧٣ ش)، ص ١٨٦- ٢٠٥

ع ١٤ (زمستان ١٣٧٤ ش) ص ١٨٦- ١٩٦

٤٤٥- جبال الحجاز

رشدي الصالح ملحس

المنهل (جدة) مج ٧: ج ٩ (٩/ ١٣٦٦ هـ / ٧ / ١٩٤٧ م) ص ٣٩٧- ٤٠١

ج ١١- ١٢ (١١- ١٢ / ١٣٦٦ هـ / ١٠- ١١ / ١٩٤٧ م) ص ٤٩٩- ٥٠٢

٤٤٦- جبل ثور بالمدينة

محمد فؤاد لباني

المنهل (جدة) مج ١٦: ج ٢ (٣/ ١٣٧٥ هـ / ١٠- ١١ / ١٩٥٥ م) ص ٥٤- ٥٧

٤٤٧- جدال در حج

(بالفارسية)

على حجتى كرماني

مىقات حج. س ٤:ع ١١ (بهار ١٣٧٤ ش) ص ٧٥-٨٤

٤٤٨- جداول أمراء مكة وحكامها

مساعد بن منصور آل عبد الله بن سرور

[د. م]: مطبعة النهضة الحديثة، ١٣٨٨ هـ، ص ٥١

ص: ٣٠٢

٤٤٩- جده بين ماضيها وحاضرها

رزق الطويل

المنهل (جده) مج ٢٠: ج ١٠ (١٢/ ١٣٧٩ هـ / ٥ - ١٦ / ١٩٦٠ م) ص ٦٧١-٦٧٦

٤٥٠- جده عبر التاريخ

عبد القدوس الانصاري

المنهل (جده) مج ٢٢: ج ٨ (٨/ ١٣٨١ هـ / ١ / ١٩٦٢ م) ص ٥١٠-٥١٧

ج ٩ (٩/ ١٣٨١ هـ / ٢ / ١٩٦٢ م) ص ٥٩٥-٦٠٤

٤٥١- جده في مطلع القرن العاشر الهجري «السادس عشر الميلادي»

نوال سراج ششه

مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ١٦٣ ص، ٢٤ سم

٤٥٢- جذب القلوب إلى ديار المحبوب (في تاريخ المدينة المنورة وفضل زيارة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة البقيع

عليهم السلام)

(ترجمة خلاصة الوفاء بالفارسية)

عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي (ت ١٠٥٢ هـ)

خ: مكتبة المرعشي في قم برقم ٤١٣٧ في ٢٢٨ ورقة

ظ: فهرسها ١١/ ١٥٦، منزوي ١٠/ ١٧، فهرستوراه منزوي ١/ ١٩١

٤٥٣- جرعهاى از بيكران زمزم

(بحث حول أسرار الحج، بالفارسية)

عبدالله جوادى آملی

ترجمة وتحقيق: على حجتى کرمانی

[طهران]: معاونية التعليم فى بعثة الولى الفقيه لشؤون الحج والزيارة، ط ١، ١٣٧١ ش، ١٧٧ ص

٤٥٤- الجزء الخاص بالمدينة المنورة من رحلة أبى سالم العياشى

تحقيق ودراسة: محمد امحزون

الرياض: جامعة الملك سعود، كلية الآداب (رسالة ماجستير مسجلة بإشراف: عبدالله العثيمين)

ظ: نشرة أخبار التراث العربى ع ٢١ (٩- ١٠ / ١٩٨٥ م) ص ٢٢

٤٥٥- جازات من تاريخ مكة المكرمة

محمد بن عبدالله آل زلفه

المنهل (جده) مج ٥١: ع ٤٧٥ (٣- ٤ / ١٤١٠ هـ) ص ١٠٦-١٢٣

٤٥٦- الجزيرة العربية فى أخبار المؤلفين الصينيين

نقولا زيادة

دراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض) ج ١ (١٩٧٩ م) ص ٢٩-٤٠

المؤرخ العربى (بغداد) ع ٦: ص ١٢٧-١٤٣

ص: ٣٠٣

٤٥٧- الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها

محمد المنونى

مجلة المجمع العلمى العراقى مج ٢٩ (١٩٧٨ م) ص ١٥٠-١٨٧

مصادر تاريخ الجزيرة العربية (الرياض) ج ٢ (١٩٧٩ م) ص ٢٩٩-٣٢٦

٤٥٨- الجزيرة العربية فى رحلتى ابن جبير والعبدرى

عبد القدوس الانصارى

العرب س ١١: ج ١١، ١٢ (٥-٦ / ١٩٧٧ م) ص ٨٠٦-٨١٦

مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ٢ (١٩٧٩ م) ص ٣٢٧-٣٣٤

٤٥٩- الجزيرة العربية فى كتب الرحالة الغربيين

عبد الشافى غنيم عبد القادر

مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ٢ (١٩٧٩ م) ص ٤٢١-٤٣٦

٤٦٠- الجزيرة العربية فى كتب السير والتراجم، مع دراسة تحليلية لكتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد، وأهميته مصدراً لتاريخ الجزيرة

العربية

إبراهيم على طرخان

فى: الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض):

٥ / ١٣٩٧ هـ / ٤ / ١٩٧٧ م

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ج ١ (١٩٧٩ م) ص ١٤٣-١٨١

٤٦١- الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية

لطفى عبد الوهاب يحيى

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ج ١ (١٩٧٩ م) ص ٥٥-٧١

٤٦٢- الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام

أحمد أبو الفضل عوض الله

الدارة س ١: ع ٤ (ديسمبر ١٩٧٥ م) ص ١٣٢-١٤٩

٤٦٣- الجزيرة العربية وماضيها التاريخى العربى والإسلامى والإنسانى

عبد السلام هاشم حافظ

الدارة س ٨: ع ٢ (أكتوبر ١٩٨٢ م) ص ٦٢-٦٦

٤٦٤- الجزيرة والتاريخ الإسلامى (حول عصر صدر الإسلام)

إبراهيم عبد القادر المازنى

الرسالة (القاهرة) س ٥: ع ١٩٦ (ابريل ١٩٣٧ م) ص ٥٣٥-٥٣٧

٤٦٥- جسر الإسلام فى شعيرة الحج

الهداية (البحرين) س ١٢: ع ١٤١ (١٩٨٩ / ٠٦ م) ص ٤٣-٤٥

ص: ٣٠٤

٤٦٦- جغرافية الإسلام التاريخية في عصر النبوة: دراسة جيوبولتيكية

إسماعيل سرور شلش

قضايا عربية (بيروت) س ١٠: ع ٢ (٣/ ١٩٨٣ م) ص ٥٥- ٩٩

٤٦٧- جغرافية مكة المكرمة

مصطفى عطار

المنهل (جدة) مج ٥١: ع ٤٧٥ (٣- ٤/ ١٤١٠ هـ) ص ٦- ١١

٤٦٨- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام

ابن قيم الجوزية

تحقيق: شعيب الارناؤوط، عبد القادر الارناؤوط

الكويت: دار العربية، ١٩٨٧ م، ٤٩٢ ص

٤٦٩- جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام

(التوسل بجاه خير الأنام)

مختار بك بن أحمد مؤيد باشا العظمى (ت ١٣٤٠ هـ)

دمشق: ١٣٣٠ هـ، ٩٩، و ١٥ ص

ظ:

معجم المطبوعات لسركيس ١٧١٥

٤٧٠- جلوه هايي از سيمای محمدصلى الله عليه و آله و سلم «مناسك فكري حج» (بالفارسية)

على شريعتي

طهران: وزارة ارشاد ملي، ط ١، ١٣٥٩ ش

٤٧١- جمرات كجاست؟

(بالفارسية)

مهدى پيشواي، حسين گودرزي

ميقات مج س ٣: ع ٩ (پاييز ١٣٧٣ ش، ص ١٦- ٦)

٤٧٢- جمع الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي (ص)

صلاح الدين خليل بن الأمير كيكلدي ابن عبد الله العلائي الشافعي الدمشقي (٦٩٤- ٧٦١ هـ)

ظ:

فهرس الفهارس والاثبات ٧٩١، معجم ماكتب عن الرسول وأهل البيت ١/ ٤٤١

٤٧٣- جمعه خونين مکه به روايت شاعران امروز

(بالفارسية)

محمود شاهرخي، وعباس مشفق كاشاني، ومحمد رضا عبد الملکيان

(د. م): انتشارات سروش، ط ١، ١٣٦٨ ش، ٤٤٠ ص، ٢١ سم

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجلَ الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.
مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعيدته جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسايل الديتية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافته على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...
- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الديتية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" ومفترق "وفائي" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الالكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

